

```

pre

```

عبد العزيز شرف

## المدخل الى

علم الاعلام

# الغوى

# FINANCIAL TIMES

**Tuesday October 4 1983**

# EGYPT

**Mr. Mubarak's sober presidential style has drawn international respect**



# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

دكتور  
عبد العزيز شرف

المدخل الى

علم الاعلام

اللغوى





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا  
فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ  
وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ  
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

الجدولة ١١

صَلَّى اللّٰهُ عَلَى الْعَظِيمِ







الإهداء

إلى الأستاذ والمُبدع

الدكتور شوقي ضيف

الفكر

و

المنهج

عبد العزيز شرف









يشهد عالم اليوم اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله ، وایمانا صائقا برسائله ووظائفه ، وعملا جادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائيا عن تنظيمات يعود اليها وقواعد تحكمه .

وينطلق هذا الكتاب نحو تأسيس دعائم علم الاعلام اللغوي لأول مرة في لغتنا العربية من أن ما حدث من تطور مذهل في ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التي حققتها اللغة في سبيل تحقيق اتصال جماهيري على امتداد واسع . . أصبحت اللغة في ظل الاعلام ذات قوة وسلطان ، لما لها من تأثير هائل على تفكير الأفراد والجماعات أو على شعورهم وسلوكهم وأرائهم .

فأثر اللغة في عصرنا الحاضر قد ازداد قوة ، وأخذ الناس يحنون بوسائل الاتصال فيما بينهم . وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة والاذاعة المسبوعة والمرئية والسينما والأساليب العصرية للفنون الاعلام .

ولقد ذهب أصحاب النظرية اللغوية في معظم الاحوال الى أن البناء اللغوي لاحدى اللغات التي ينشأ عليها الناس ويلقنونها من أمهاتهم وأبائهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكريا سلوكيا قائما بذاته وكان من رأيهم أن اللغة إنما هي « عالم لغوي وسط » يقوم بين الواقع الموضوعي وبين الناس ، ويتربس عليه الفرد أثناء تعلمه لغة الأم ، أي أن اللغة هي التي تحدد للأفراد رؤيتهم للعالم وتجربتهم له ، كما تحدد موقفهم منه وأسلوب تعاملهم معه .

وأيا ما كان أمر هذه النظرية ، فإن اللغة مكتوبة ومنطوقة ، قد أصبحت في عصر الثورة التعليمية والتقنية ، أبرز ملامح العصر الذي نسميه عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة . لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأوسعهم أبعاده .



ولذلك فقد كان من الطبيعي أن ينشأ في السنوات الأخيرة علم متخصص في تأثير اللغة على الجماهير وهو « علم المنفعة العملية للغة » أو ما نحاول تأصيله في لغتنا العربية بهذه المحاولة المتواضعة تحت عنوان « الاعلام اللغوي » الذي يركز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة ، ويتوفر من الناحية اللغوية على البحث في قوة الكلمة وسلطانها . ومن الناحية الاعلامية على الخصائص الدقيقة التي تميز المستويات اللغوية في كل جنس اعلامي على حدة ، ووضع حدود دقيقة بين الاستعمالات الاعلامية الخالصة والدعائية الصارخة للغة .

وعلم الاعلام اللغوي ، يعد أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث من جهة ، ولعلم الاعلام ونظرياته من جهة أخرى وهو علم عايزال يتحسس طريقه الى النور ، ذلك أن دراسة « النفع العملي » للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى مناهج لغوية اعلامية متكاملة ، واطار نظري تستند اليه ، واسلوب محدد تتوخاه في الوصف والتحليل ، وهي أمور لم تستوف دراستها بعد .

على أن فصول هذا البحث ليست الا اضافة يسيرة الى جهود سابقة لأساتذة جيلنا ، ممن اشتغلوا بالدراسات اللغوية من المحيط الى الخليج ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة منارا على الطريق .

وقد حاولت فصول هذا البحث ، في عنايتها بتأصيل علم الاعلام اللغوي ، أن تؤكد على صلة اللغة العربية بالعصر والحضارة ، ولذلك تعرضت لبعض القضايا اللغوية التي تواجه الاعلام العربي المعاصر . وهي بذلك تسير نحو منحنى جديد من انحاء الدراسة اللغوية يريد بها المؤلف أن يشق له طريقه أولا ، ثم يؤصل هذا الطريق بعد ، في سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام العربي المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند جزئياتها وكلياتها .

وعنى ذلك فإن مهمة هذا البحث لم تكن في متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت في شق هذه الارض ، في سبيل التعرف اليها ، طريقا آخر ، يحاول هو أيضا أن يصل الى هذا الهدف البعيد في تمثل اللغة العربية ومزايها في الفن والاعلام والتعبير . أو على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا . . . اننا نحاول أن نرسم خطا جديدا لا يتوازي مع الخطوط السابقة وانما يقطعها مخالفا لاتجاهها ، ليظهر بما لم تظهر به



من جزئيات ، أو من أحداث أو من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه أو يفنيه ، وهو - هذا الخط الجديد - سينتهي على كل حال إلى الغاية الأولى ، وسيكون ردفا غنيا للدراسة اللغوية - الاعلامية .

وقد حاول هذا الكتاب إذن، وهو يتجه نحو علم جديد ، أن يكشف عن مزايا الفن والتعبير الاعلامي ومزايا التعبير على العموم في لغة الضاد ، لأنه في مبدأ الأمر بحوث دعت إليها المناقشة في موضوع الاعلام وتطوره أو تطور قواعده ونظرياته ، ومستقبله في العالم العربي ، وناسبته بحوث أخرى عن المزايا الاعلامية في لغتنا ترتبط بها ، وتصلح أن تكون مثالا للمزايا التي تثبت للغة .

ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا مزايا التعبير الاعلامي في اللغة العربية في هذا الكتاب . ويمكننا أن نوجز الأسباب التي تدفعنا إلى الاستمرار في هذا الطريق ، في أن اللغة العربية اليوم أحوج ما تكون إلى كل عمل علمي : لإبراز مزاياها الفنية والتعبيرية في مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة أخرى فإن الدراسة الاعلامية للغة تسعى إلى حل المشكلات الكبيرة والصغيرة في هذه اللغة ، لتكوين وعي لغوي صحيح يساير الوعي السياسي والفكري للأمة العربية ، سعيا إلى الوحدة اللغوية والتمرد اللغوي والقضاء على التجزئة والشعوبية أو النفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر .

وبعد ، فنرجو أن نكون قد وفقنا في شق طريق هذا العلم الجديد . .  
لعل من لا يخطئ تميزا أو تصورا في عالم البشر .

عبد العزيز شرف





# الفصل الأول

## اللغة والرأى العام





يبذل العلماء جهودا متواصلة لدراسة اثر اللغة في تكوين الراى العام واعتبارها اهم عناصر القوميات ، دراسة علمية حتى يمكن التنبؤ بنتائج اثار الاعلام والتحكم فيها .

على ان فهم طبيعة الراى العام وكن اساسى يساعد على كشف العلاقات التى تقوم بين عناصره المختلفة ، فاذا كان الراى العام ظاهرة تلقائيا اطلقوا عليها « عقل الجماعة » او التعبير الجمعى ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسى « اميل دركيم » فان « اللغة » ليست من صنع الافراد ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران . وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع اذ يقررون انها من « نتاج العقل الجماعى » .

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بأنه نظام خلقى ينشأ نتيجة تفاعل نشاط الافراد وتبادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم . وفى النهاية يصبح هذا العقل الجماعى هو القوة المسيطرة لاعماله الجماعية وتصرفاتها ، بحيث أنه عندما يقوم الافراد بأى نشاط اجتماعى فانهم يدخلون فى اعتبارهم ويضعون فى صلب ضمائرهم اهداف المجتمع واغراضه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية فى الجماعة التى ينتمون اليها ، ويتحدد سلوكهم وتضبط علاقاتهم وفقا للعقل الجمعى (١) .

فللغة فى كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد فى اتباعه ويتخذونه اساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم وفى تفاهيمهم بعضهم مع بعض ، وعلى ذلك فانا لا يمكن ان ندرس تأثير اللغة الاعلامية فى الراى العام دراسة موضوعية عن طريق دراسة سلوك الافراد باعتبارهم ذرات منفصلة ، كما

---

(١) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجمعى وراى فى طبيعة المجتمع البشرى ص ٩٦ .

لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الهيدروجين والاكسجين اللذين يتألف منهما (٢) .

فاللغة ليست من الامور التي يصنعها فرد معين او افراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية ، على حد تعبير الدكتور على عبد الواحد وافى (٣) وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للافكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عند سائر النظم الاجتماعية الاخرى ، ويصب اصواته في قوالبه ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره .

والرأى العام - كما يقول الدكتور امام (٤) - هو المنبع الذي تصدر منه احكام الجماهير ، كما انه القوة التي يسعى الاعلام - عن طريق اللغة - الى التأثير فيها . ومع ان الرأى العام وجود معنوى لا نراه ، فان ذلك لا ينقص شيئا من قوته ، شأنه شأن الضغط الجوى الذي لا نراه ولكنه موجود بمعدل عشرين رطلا على البوصة المربعة كما يقول جيمس رسل لاول .

واللغة من الامور التي يرى كل فرد نفسه مضطرا الى الخضوع لما ترسمه (٥) وكل خروج على نظامها ولو كان عن خطأ او جهل يلقي من الرأى العام مقاومة ، تكفل رد الأمور الى نصابها الصحيح وتأخذ المخالف ببعض انواع الجزاء .

فاللغة اذن ظاهرة اجتماعية ، وهي بوصفها هذا تؤلف اهم عناصر تكوين الرأى العام الذي يسعى الاعلام بوسائله المختلفة الى التأثير فيه .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والرأى العام . . ولقد درج العلماء على الكلام عن « الرأى العام » وكيف انه : الفكرة السائدة

---

(٢) د . ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٠٤ .

(٣) د . وافى : اللغة والمجتمع ص ٣ .

(٤) د . امام : العلاقات العامة والمجتمع ص ١٢٧ .

(٥) د . وافى : المرجع نفسه ص ٤ .



بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء مواقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم ، أو تتعلق بمصالحهم المشتركة . فالرأي العام يمثل محصلة الآراء والاحكام السائدة في المجتمع . وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف في وضوحها ودلالاتها في عقول الافراد ، ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم رغم اختلافهم في مدى ادراكهم لمفهومها ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة (٦) .

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون ان الاجتماع العام أو الرأي السائد يكون في اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات . اما الرأي العام فاساسه الحوار والنقاش واحتكاك الافكار وتفاعل الآراء ، والرأي السائد أو الرأي الاجتماعي قد يكون مبنيا على تقاليد موروثة أو على عادات كانت آراء في الماضي ولكنها أصبحت كالبدهييات المسلم بها .

### اللغة والاتصال الانساني :

ومع ان الرأي العام من المصطلحات الحديثة التي لم تعرف الا في اواخر القرن الثامن عشر ، ابان حرب الاستقلال الأمريكية والثورة الفرنسية ، فلا يمكن القول بان الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للرأي العام .

فلو اخذنا الحضارة أو الثقافة كما يفضل الانثروبولوجيون، تسميتها . على انها هي حصيلة النشاط البشري خلال تاريخه الطويل ، والتي تتمثل فيما أنتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون واداب وآلات وادوات وصناعات واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات في كل هذه الميادين ، لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التي تميز الحضارة هي خاصية الاستمرار ، والقدرة على الانتقال من جيل لآخر ، بحيث ياخذ كل جيل عن سبقوه ، ويضيف الي ما اخذه منهم ، ثم ينقلها بعد ذلك للأجيال التي تأتي

---

(٦) د . امام : المرجع السابق ص ٦٤٧ .

بعده . فخاصية التراكم - كما يقول الدكتور احمد ابو زيد (٧) - ان هي التي تجعل هناك فارقا أساسيا بين الحضارة الانسانية ومختلف أنواع النشاط التي تصادفها عند الجماعات الحيوانية الأخرى ، وأداة هذا التراكم هي اللغة ، والذي يمنع الحيوانات والقردة العليا من ان تكون لها حضارة . هو في المحل الأول افتقارها الى اللغة ، وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية على مواصلة تجاربها وخبراتها ، فما يكتسبه القرد مثلا من « معرفة » في حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راکدة مقصورة عليه هو وحده وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة أو موقف مماثل ، ولكنه في الفترات التي تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير في تلك الخبرة أو التجربة بقصد تحسينها أو استخلاص أية نتائج منها للاستفادة منها في حل المشاكل الأخرى مثلما يفعل الإنسان الذي يناقش في العادة المشكلة عن طريق اللغة ، ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات أخرى لتلك المعرفة . فعن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الإنسان وتجاريه مستمرة ومتصلة ، وهذا يساعد بالتالي على تطويرها وتنميتها . ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الإنسان ، هي قدره على نقل تلك الخبرات التي تؤلف في آخر الامر التراث الحضاري أو الثقافي من جيل لآخر عبر الزمن (٨) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والاكثر من هذا كله فانها هي ذلك الجزء من الثقافة أو الحضارة الذي يساعد أكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية ، أي أنها العامل الاساسي في عملية التراكم التي هي اهم عنصر في الحضارة الانسانية (٩) .

### تكوين الرأي العام :

على ان العوامل التي تؤدي الى تكوين الرأي العام كثيرة ومتشابهة ، كما انها تتفاعل مع بعضها البعض ، وفي رأي ماكدوجال ان اهم هذه العوامل هي : الثقافة والاحداث ، والزعماء ، والاتصال الجماهيري والاتصال الشخصي والشائعات .

---

(٨،٧) مجلة « عالم الفكر » - المجلد الثاني - العدد الاول - ١٩٧١ - الكويت ص ١٤ .  
Hoijer «Language and writing» pp. 197  
(٩) د . ابو زيد : المرجع السابق ص ١٥ .



ومن ذلك يتبين ان اللغة هي معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعا ،

ولقد درج العلماء على اعتبار الثقافة ، ذات اثر كبير في تكوين  
الرأى العام ، وذهب بعضهم في دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة الى  
الاكتفاء بتبين العلاقة الخارجية الواضحة بين مفردات اللغة ومحتوى  
الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هذه المفردات تمكس الى  
حد كبير اهتمامات المجتمع والجوانب التي تركز عليها والتي تشغل بال  
اعضائه مثل التقنية أو التنظيم الاجتماعى أو الدين أو الروابط القرابية ،  
وما الى ذلك من المسائل التي تحتل مكانا مركزيا في بناء المجتمع ، وتنبؤ  
حوله بالتالى أوجه النشاط الاجتماعى المختلفة .

وكل هذا يوضح ان ثمة صلة قوية بين مفردات اللغة وكثير من  
جوانب الثقافة غير اللغوية (١٠) ولكن الشيء الذى لم يهتم به معظم هؤلاء  
العلماء اهتماما كبيرا على الاقل ، هو ان اللغة قد تتدخل في تحديد وركيب  
أنماط الفكر في المجتمع الذى تسود فيه سواء ادرك الناس ذلك أم لم  
يدركوه . فكما ان الفنان وعالم النبات قد ينظران الى الاشجار والنباتات  
والزهور من ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التي  
تتكلم لغات مختلفة وتنظر الى العالم نظرات مختلفة ، وتدركه بطرق  
مختلفة ( ١١ ) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة  
والمحتوى الثقافى لا تعنى شيئا اكثر من ان اللغة لها أساس ثقافى أو  
حضرارى ، وانه لن يمكن بالتالى تحديد مفردات اللغة تحديدا دقيقا  
الا بمعرفة بقية مظاهر الثقافة .

ولذلك يؤكد اوديجارد انه من المستحيل ان نفهم الرأى العام في أمة  
من الأمم ما لم ندخل في اعتبارنا تلك القوى المادية والادبية التي تشكل  
شخصية هذه الأمة ، ولكى نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا  
ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التي تعطى للفرد معتقداته وتشكل  
اتجاهاته ، فالإنسان في المجتمع يتأثر بالأسرة والدين والتقاليد ونظام

---

(١٠) د . احمد أبو زيد : نفس المرجع ص ١٥ .

Peacock, J.L. Ikitsh, A.T. «The Human Direction» p. 16

C. Macdougall, Curtis D. «Undertonding Public Opinion»

(1955) New York

(١١) مجلة « عالم الفكر » - المجلد الثانى - العدد الاول - ١٩٦١ -

الكويت ص ١٦ .

الدولة والاصدقاء والاقربان والصحف واجهزة الاعلام ، والجماعات ذات النفوذ كالتنقابات والاحزاب والهيئات . ففي خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التأثيرات المختلفة كل يوم لكى تكون اتجاهات الراى .

ويرى ليمان ان المسائل العامة هى التى تهمنى من سلوك الناس وهذه المسائل العامة تتأثر بما يتصوره الناس أو بتلك الصور التى يكونونها فى رؤوسهم عن انفسهم وعن حاجاتهم واهدافهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض . ويقول ليمان ان هذه الصور التى توجد فى رؤوس الناس عن انفسهم وعن الآخرين ، هى آراؤهم العامة ومجموعة هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى بالراى العام .

فالناس لا يعيشون فى العالم الموضوعى الخارجى وهذه ، كما انهم لا يعيشون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط ، كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرحمة اللغة التى يتخذونها أداة ووسيلة للتعبير . « فعالم الواقع » أو الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابها كافيا ، بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة أو الواقع الاجتماعى . فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متميزة انى وليست هالما واحدا أضفيت عليه أسماء وعناوين مختلفة (١٢) .

ويذهب بنيامين فورف (١٣) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا . وهذه الفئات والانماط التى نصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها الا انها تواجهنا أو لا ، لانها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما . بمعنى ان العالم الخارجى أو الواقعى هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة ، الى ابعد حدود التباين ، وان العقول الانسانية ، هى التى تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ووسيلتها الى ذلك هى الانماط اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية ، ذاتها . فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة ، وتجزئتها وتنظيمها فى شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك أو اثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا .

Sapir «Language» p. 162

(١٢)

Whorf, B.L. «Science and Linguistics» the Technology (١٣

Review Vol. 42, 1940, p. 231.



## الانماط والرأى العام :

وتتخصّاف قوى التاثر الاعلامية والثقافية بما فى ذلك العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبى وغيرها ، لتشكيل الانسان الجديد الذى يجد نفسه فى وسط شبكة من التأثيرات المتقاطعة . فالخطب والافلام والاعغانى وصحف الحائط والرسوم البيانية ، وغيرها ، تكون فى مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام الناس والتاثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا عن المجتمع . ولكنه يخضع فى نفس الوقت - الى حد كبير - لرحمة اللغة التى يتخذها وسيلة للتعبير والاتصال .

فالشخص فى المجتمع الحديث لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يصبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة وقيمه ومبادئه .

والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا - من قبل - فى شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (١٤) .

ولا معنى ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد المدركات الحسية والتفكير ، ولكن عملها هو توجيه الادراك والتفكير فى اتجاهات معينة مألوفة مستعينة فى ذلك بالانماط الثقافية الاخرى .

وتختلف طرائق واساليب التفكير فى المجتمعات المختلفة بالنسبة للمذاهب ، وليست المذاهب نفسها فليست الماركسية هى المؤثرة ، ولكن النمط السائد عنها والذى يقدمه المفسرون لها هو المؤثر الحقيقى (١٥) . الخ .

## الاتصال والرأى العام :

وتأسيسا على هذا الفهم نحاول ان نلتمس اثر الاعلام فى تكوين الرأى العام ، فنجد ان الاتصال الاعلامى يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخلاص الرأى ، وحمايته .

(١٤) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجمهير » ، ص ٢٥٢ .

(١٥) د . امام : نفس المرجع ص ٢١٨ .

ووسيلة الاتصال الاعلامى فى تحقيق هاتين الوظيفتين هى : اللغة ،  
التي لا تصبح مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار أو مجرد رموز لما يدور فى  
الاذهان ، وانما تصبح تلك الوسيلة التي امتزجت بها عقولنا ونفوسنا ،  
وندين لها بتلك القوة التي ساعدتنا على التعاون مع رفاقنا ومنحتنا  
السيطرة على مخلوقات اقوى منا جسما .

فاذا كان للرأى العام وجود حقيقى أو مفهوم محدد ، وجب أن نلتمسه  
فى تلك الرابطة الوثقى التي تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكارهم  
واحاسيسهم وعواطفهم والتي تسمى باللغة أو اللسان .

فاقوى رباط يجمع اواصر الأسرة هو اللغة التي يشعر معها افراد  
الأسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة ، ويحسون باحساس واحد وينطقون  
نطقا متماثلا . فللأسرة صفات خاصة فى النطق والأداء واختيار اللفاظ  
وايثار بعضها على بعض . وهكذا تكون القومية بمعنى الرباط الوثيق بين  
افراد المجتمع ذات مستويات وذات أحكام ، واصغرها حجما ما نسميه  
بالأسرة ثم ما نسميه بالقرية ثم ما نسميه بالمدينة ثم ما نسميه بالدولة التي  
لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق ، ويعمد اليها كل افراد المجتمع .

وقبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقومية ، سنحاول علاج كيفية  
تأثير الاتصال فى الرأى العام .

سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين : استخلاص الرأى  
وحمايته فالرأى الفردى الكامن لابد وان يتحول الى رأى علنى ظاهر ،  
وليس معنى ذلك ان الاتصال لابد ان يسرى فى اتجاه واحد من القيادة الى  
ال جماهير ، ان الاتصال يتخذ ثلاث مسارات (١٧) :

اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد وهو يشتمل على  
التوجيهات والتعليمات والبيانات والتفسيرات وغيرها .

ثانيا : الاتصال الصاعد مع الجماهير الى القيادات وهو يشمل  
الملاحظات والشكاوى والخطابات التي تمثل اتجاهات الجماهير .

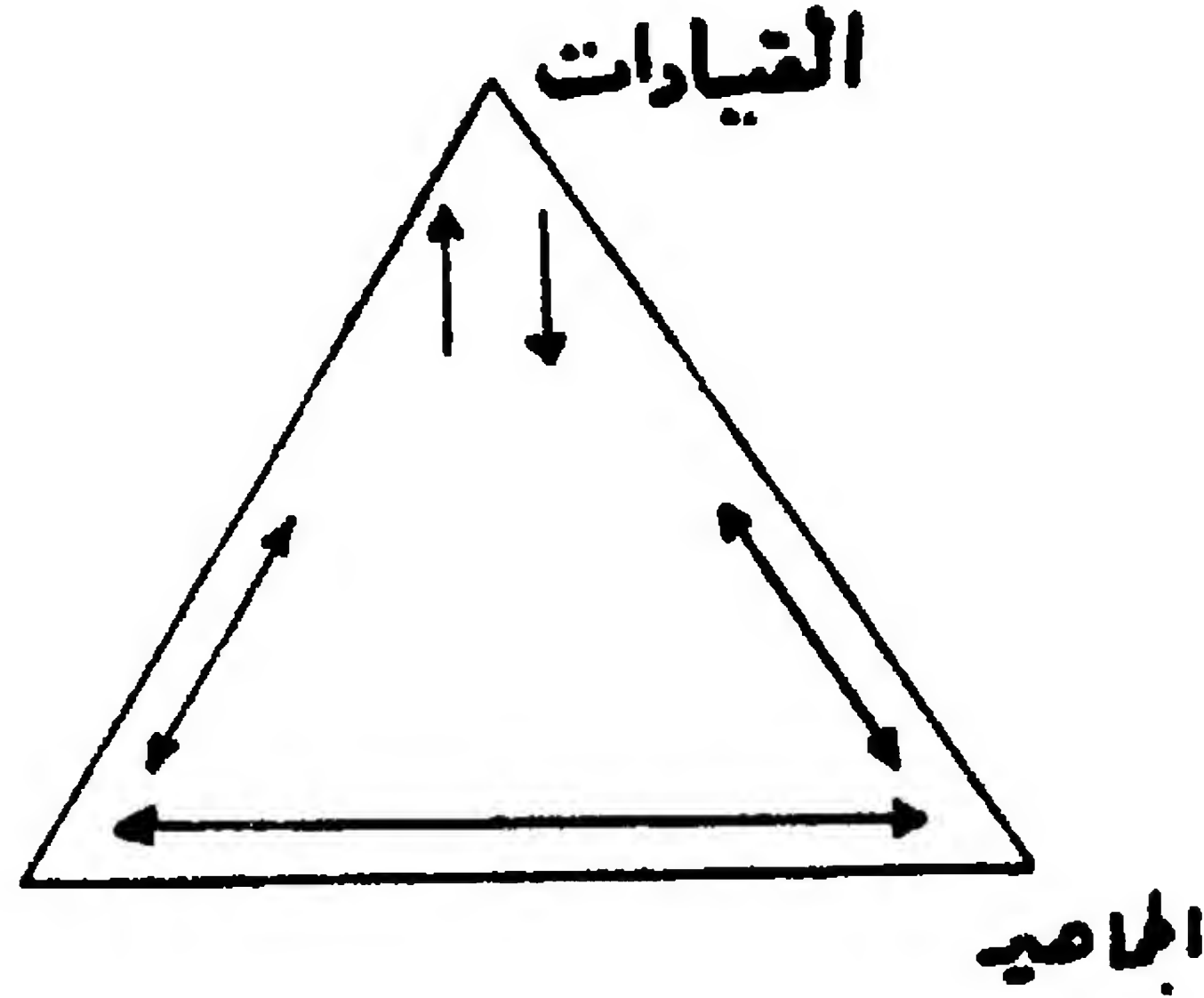
---

(١٦) د . ابراهيم انيس : اللغة القومية والعالية ص ١٠٢ .

(١٧) د . امام : د الاعلام والاتصال بالجماهير ، ص ٢٢٨ .

ثالثا : التيار الألفى الذى يسرى بين فئات الجماهير فى مستوياتها المختلفة .

وقد صور هانز سباير ، هذه التيارات الاتصالية على النحو التالى :



ولكن هذه التيارات جميعا ، لا بد وان تتفاعل وتتسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوين الراى العام .

وفى رآى ماكدوجال (١٨) كما سبق ان اهم عوامل تكوين الراى العام هى : الثقافة والاحداث والزعامة والاتصال الجماهيرى والاتصال الشخصى والشائعات .

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل فى تكوين الراى العام سواء عن طريق اجهزة الاعلام او عن طريق حملات الهمس ، او الشائعات ، وقد فطن خبراء الدعاية والاعلام من خلال تجارب الحربين العالميتين الى ان تأثير الاتصال فى الراى العام يزداد قوة باستخدام الاخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية ، فقد اكتشفت قيمة الخبر فى التوجيه والتأثير واصبح الخبر هو العامل الذى يحدد صورة الاحداث فى اذهان الجماهير ، وكلت الدعاية عن انتهاج الاساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الاسلوب الاخبارى الاعلامى .

(١٨)

C. Macdoogall, curtis D., «Understanding Public Opinion  
p. 25



وحتى عندما تقل الاخبار او ينضب معينها لا يجد الاعلاميون بأسا  
من خلقها أو اختلاقها (١٩) .

ويستغل خبراء الدعاية طبيعة الانسان بأدراكه المحدود للعالم ومعرفته  
للأشياء بطريقة غير مباشرة ، أى عن طريق المعلومات والصور التى تنقل  
إليه بدلا من الخبرة الموضوعية والادراك المباشر ، فيعملون على خلق  
الصور الذهنية التى تحقق اغراضهم ، ويسمى الدعاية دائما عن طريق  
التحكم فى المعلومات التى يعرفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التى  
يريدونها ان تنتشر بين الجماهير .

ومع ذلك فإن هناك حدودا لا يستطيع الدعاية ان يتجاوزها مهما  
كانت قدرته ، ومهما كانت سلطته فى الرقابة على الاخبار والمعلومات ، لأن  
الفرد يتمتع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما ان  
هذا الانتقاء يمتد الى قوى الادراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة القيم  
والمبادئ التى يعتنقها الفرد ويتأثر بها من خلال الجماعات الاولى التى  
يعيش فيها .

فالانسان العادى بمعتقداته الراسخة - دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا -  
لا يمكن ان يتقبل أى مناشدة دعائية تتعارض مع معتقداته . وقد أوضح  
«الدوس هكمسلى» (٢٠) انه ليس من الصعب اغراء الناس على فعل  
ما يتوقنون اليه . كما انهم لا يسلكون كما يسلكون نتيجة لصفحات قرأوها  
أو خطب سمعوها ، وانما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة الى  
تربية معينة ، وتوجيه سلوكى متراكم .

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الراى العام ، هو الاتصال الفكرى  
وحرية المناقشة فعندما يقارن الناس خبراتهم ويعبرون عن وجهات نظرهم  
فى مسألة من المسائل الجدلية ، ويعلنون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة وعن  
طريق المنظمات الاجتماعية ، فإن هذه المسألة أو المشكلة تصبح موضوعا  
للوعى العام أو الادراك الاجتماعى . فإذا تيسر الاتصال بين الناس تيسر  
صدور الراى العام ، أما اذا تعذر الاتصال فإن الراى العام يصبح  
متعذرا .

---

(١٩) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص ٢٥١ .  
(٢٠) نفس المرجع السابق ص ١٤٥ .

ذلك ان الاتصال يتيح للمناقشات والجدل بين الافراد ان تتبلور في رأى عام . ولا بد في الاتصال الاعلامى من وجود طرفين أو عنصرين هما عنصر المرسل ( بكسر السين ) وعنصر المستقبل ( بكسر الباء ) الاول : هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات أو الاخبار الى القارئ أو السامع سواء كان فردا أو جماعة ويختلف الافراد بعضهم عن بعض في استقبال المعلومات . لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء ، ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى العام في العادة ، ذلك ان الفرد في المجتمع الحديث لا يملك من الوقت أو الجهد أو المال أو العلم ما يمكنه من الوصول الى مدلولات دقيقة لجميع المعارف أو تكوين صور حقيقية للعالم الذى حوله . وفى معظم الاحيان يكون الحصول اللغوى للقارئ أو المستمع أو المشاهد محدودا فلا يفهم ما يقال له .

ومن ناحية أخرى تلجا أجهزة الاتصال بال جماهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق في المطبوعات والزمن المحدود في الاذاعة والتلفزيون ، كما يلعب عامل الوقت دورا رئيسيا في تغطية الانباء وتحريرها واخراجها .

والجماهير - كما يقول الدكتور امام - لا تتخذ التحليل الموضوعى والدراسة العلمية سبيلا للوصول الى الحقائق ، فالاشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السائدة بتاريخها وتجاربها وقيمتها . ومع ان الشخص في المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجردة عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحددة ، فانه لا يستطيع ان يتقبل المبركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه . والثقافة هي التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا - من قبل - في شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بنيتهم وثقافتهم . معتمدين في ذلك على ما تمدهم الثقافة واجهزة الاعلام من رؤى وأخيلة وانماط ، وما يسرى بين الناس من شائعات .

ومن ذاك يتبين ان الاعلام كما يقول « اوتوجروت » ، هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت .

وتتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

أولاً : عنصر المرسل .

ثانياً : عنصر المستقبل .

ثالثاً : عنصر الاداة أو الوسيلة .

وقد أوضح كلابار الادوار الوسيطة النفسية والاجتماعية والثقافية ،  
التي تقف بين المرسل والمستقبل فليست هناك علاقة بسيطة ومباشرة بين  
الاتصال والتأثير ، وإنما هناك تفاعل نفسي واجتماعي في مجال ثقافي بين  
المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمدرجات والماجات دوراً رئيسياً  
في الاتصال الجماهيري . فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقياً  
عشوائياً بانصياع ورضوخ ، كما يظن المفكرون النظريون - ولكنه ينتقى  
منها ما يفيد على ضوء بنيته النفسية الواقعي ، والمحيط الاجتماعي  
والثقافي الذي يعيش فيه . ومن الثابت ان احكام الآخرين في الجماعة  
الاولية التي يتخذها الفرد مرجعاً له تقرر الى حد بعيد مدى تأثير الفكر بما  
يسمع أو يشاهد .

ويقدم ، ويلبور شرام ، (٢١) نموذجاً لعملية الاتصال يصور فيه -  
أولاً - المصدر أو صاحب الفكرة وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة  
كافية بحيث تعذر الحاجة للتوصليل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر  
الثاني هو التعبير عن الفكرة وهيأغتها في رموز لتكوين الرسالة ،  
أو الإشارة والعنصر الثالث هو المستقبل الذي يملك رموز الرسالة كما  
تلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو  
الاستجابة ورجع الصدى الذي قد يصل وقد لا يصل الى انباء مرسل  
الرسالة الأصلية .

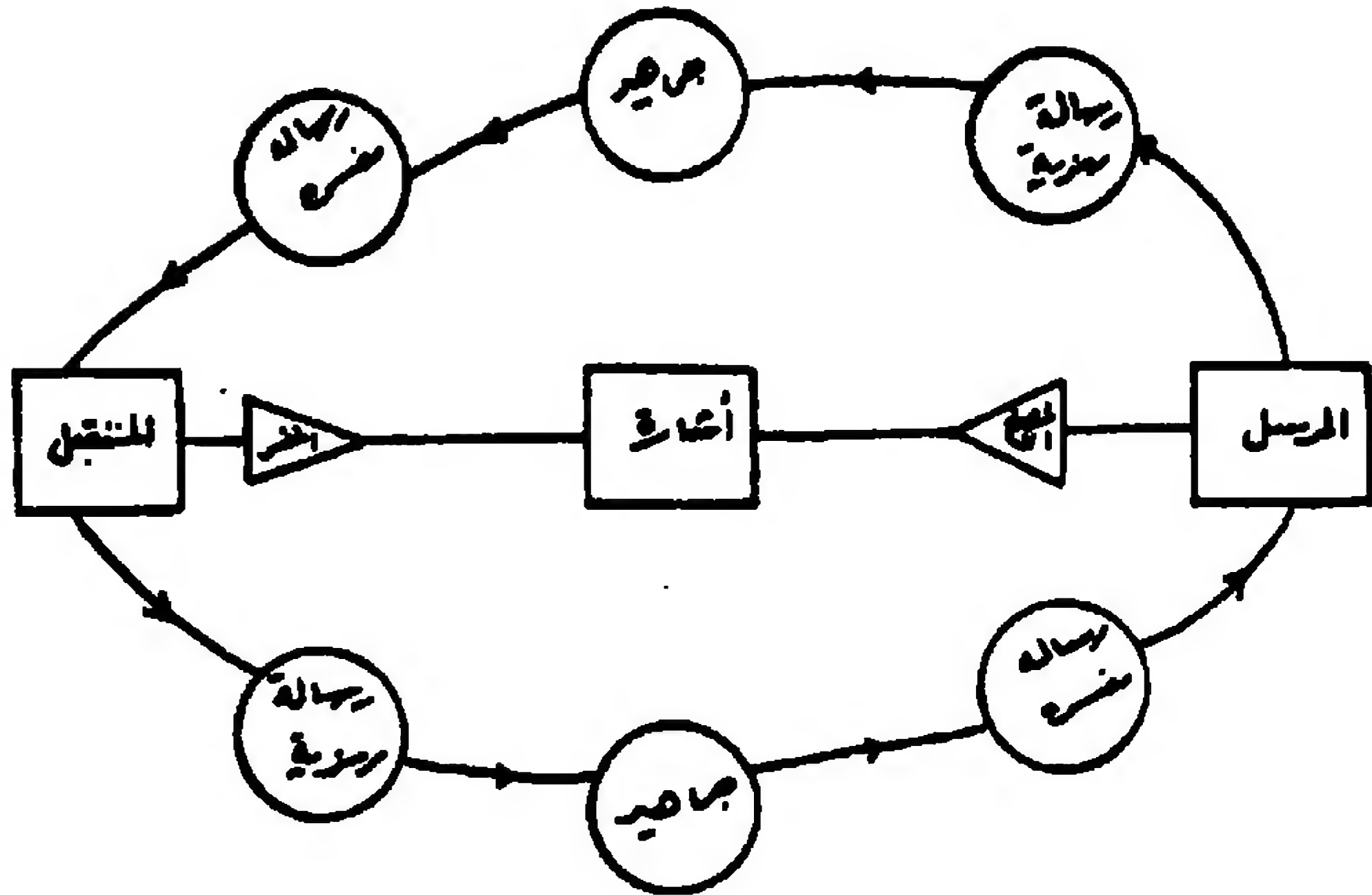
وإذا وصلت هذه الارجاع وفسرها المرسل تفسيراً صحيحاً فإن الدورة  
الاتصالية تكتمل ، وتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال - الى ما لا نهاية ،  
وهذه التفاعلات الاجتماعية هي التي تتيح البناء الاجتماعي والثقافي  
نفسه .

---

(٢١) Schramm, W., The Process & Effects of Mass Communi-  
cation (1954) Urbana Univ. of Illinois.



ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالي :



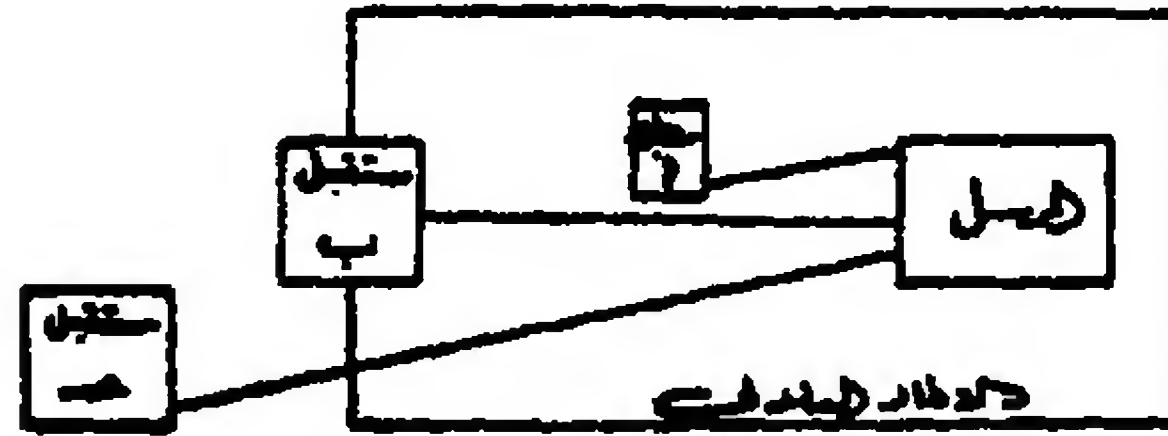
لا بد للمرسل اذن ان يضع رسالته في شكل معين أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات . ومن الطبيعي ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، أو وسائل اعلام - كالصحف والاذاعة والتليفزيون وغيرها - لكي تنتشر بسرعة في اماكن عديدة ، ومع ان الكلمات المسجلة والرموز المعروفة تكون ايضا من الرموز السمعية فانها اطول وابقى على الزمن كالاثار والاهرام والوثائق والكتب .

ويتوقف ذلك - كما يقول الدكتور امام - على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا في كتابته ، أو غير واثق من نفسه ، أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال . واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة فانها تقف في سبيل نجاح الاتصال . كما ان الوسيلة نفسها ، لا بد وان تكون من القوة والمرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل في الوقت المناسب والمكان المناسب مهما حدث من تداخل أو تنافس مع الوسائل الاخرى . كما ان المستقبل نفسه وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة من اهم العناصر لاتمام الدورة الاتصالية . فكفاءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال وقدرته المستقبل على حل الرموز ، لا بد وان ينظر اليها على انها عناصر متعددة لعملية واحدة ، ولا يكفي للتناغم بين المرسل والمستقبل ان تكون

رسالته هي لغة يفهمها الطرفان بل ينبغي ان تكون الخبرات مشتركة أيضا فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبية لا ينشئ، لن تعوضه معرفته للغة العربية في فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس علم الطبيعة والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة .

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالي . فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان في اطار دلالي واحد ، كان ذلك اقرب ما يمكن الى الفهم .

ويعبر عن ذلك على النحو التالي



فالمستقبل ( ١ ) يقع داخل الاطار الدلالي للمرسل ، فهو يفهم كل شيء والمستقبل ( ب ) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالي فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى اما المستقبل ( ج ) فانه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالي تماما .

### اللغة والاتصال :

قال بعض العلماء : ان اللغة الفراز مركب ضروري للفرد . وصالح لان يكيف بالكيفيات الاجتماعية وبهذا يمكننا ان نفسر كلام الفرد الى نفسه وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : ان اللغة هي دالة الفكر . والحقيقة ان اللغة في عمومها ، ذات وظيفة هامة جدا يمكن ان تلخص في امرين :

**الاول :** امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع .

**الثاني :** امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة التخصص تبدو في وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن ان يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا في وقت واحد .

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد فى اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم . ولا بد للتفاهم من لغة ، ولو راقب المرء نفسه واحدا من حقل الاستعمال اللغوى لراى كيف يعتمد الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لاعلى مجرد الاستخدام .

واما الشق الثانى : من وظيفة اللغة فهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شىء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة او فكرة بدونها ، او احساس لا يترجم عنه بها بعد ان يتم تكوينه بواسطتها او ارادة ، تقوم بغيرها او عمل يتحقق بعيدا عنها .

ان الشركة فى كل اولئك هى الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (٢٢) . ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر التى تمتاز لما لها من اهمية وخطورة بالفتين .

ونلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى الاتصال الجماهيرى التى نتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضيح معالمها ونعت مظاهرها هى اللغة .

فالوظيفة اللغوية فى الاتصال الاعلامى ، هى تمثيل الراى العام على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تنطوى على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للراى العام ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

### اللغة والقومية :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقوى الصلة بين منطقتى مجتمع من المجتمعات وتسهل بينها وسائل الاتصال تتكون لها مع الزمن

---

(٢٢) مجلة المجلة - العدد ١١٢ - مقال الدكتور تمام حسان - القاهرة ص ٩٥ .



« لغة مشتركة » ، تقرب بينهم وتعين أهلها على تفاهم أسرع وأيسر ، وتقضي لهم مصالحهم الدنيوية . ولدينا في العصر الحديث أمثلة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التي تسود في مناطق انجلترا وكالفرنسية المشتركة التي تسود مناطق فرنسا . . الخ (٢٣) .

وتتخذ اللغة المشتركة في بدء نشأتها مركزا معينًا يتاح له من الظروف والفرص ما لا يتاح لغيره فتتطوع اليه المناطق الأخرى ، وتسلم له الزمام في النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية وينزع اليه الناس من كل صوب ثم تتبدل عملية الاتصال إلى مزيج لغوي منسجم يقبله الجميع وهو ما يسمى باللغة المشتركة ومراكز اللغات المشتركة في العالم هي عادة الموانئ التي ينهض منها من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ما لا يتاح لغيرها من المناطق (٢٤) .

ولذلك نرى فريقا من العلماء يذهب إلى تفسير اللغة على أساس عقلي أو نفسي ويرى أن اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر ومن مؤيدي هذه المدرسة « ساير » . ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظرون إلى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الأفكار فيقول الأستاذ جفوتز في كتابه « مبادئ دروس المنطق » :  
ان اللغة ثلاث وظائف :

- ١- كونها وسيلة للتوصيل .
- ٢- كونها مساعداً ليا للتفكير .
- ٣- كونها أداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع إليها باعتبار وظائفها في المجتمع فيعرفونها أحد العلماء الأمريكيين بأنها : نظام من رموز مأفوضة بواسطة المجتمع ويتعامل أعضاؤه المجموعة الاجتماعية المعنية .

ومن ذلك يتبين أن تعريف علماء النفس والمنطق يهدف إلى ناحية واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع الإنساني لأنها لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار ، وتوصيلها للأذهان كما يقول علماء المنطق لأن

---

(٢٣) د . أنيس : اللغة بين القومية العالمية - ص ١٠٢ .  
(٢٤) مجلة « اللسان العربي » ، العدد ٦ - ١٣٨٨ هـ - الرباط - ص ١٩ .

ذلك يقصر اللغة على طبقة من الناس هم أهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن أن يقال أن اللغة أداة لنقل الأفكار وإنما هي وسيلة للتعاون والترابط بين أفراد المجتمع فأننا نثبין كثيرا من الناس يتكلمون في موضوعات ليس يعنيه منها نقل أفكارهم إلى غيرهم وإنما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية أو النظر في أمور تخصهم في إدارة شؤونهم (٢٥) .

وبذلك يبدو أن رأى علماء المجتمع بتعريف اللغة تعريفاً يتناسب مع وظيفتها في المجتمع هو خير ما تعرب به اللغة بوجه عام واللغة الاعلامية أو لغة الاتصال بالجمهور بوجه خاص .

وإذا كان ذلك صحيحا فينبغي أن نشير إلى تعريف الاقدمين للغة : وهو أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (٢٦) . وهذا التعريف للجرجاني وابن جنى ومن الملاحظ أن هذا التعريف قد تمشى مع وجهة نظر علماء الاتصال بالجمهور والباحثين في الرأى العام تمشيا دقيقا لأن الاصوات ما هي الا الرموز الصوتية التي تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الانسان في حياته سواء كان احتياجا عاديا كشتون الناس في حياتهم المتمشية مع احتياجاتهم في كل أوقاتهم والتي يسعى الاعلام الى تحقيقها عن طريق وظائفه الأساسية : الاخبار أو الاعلام ، والتفسير أو الشرح والتوجيه أو الإرشاد ، والتسلية أو الأمتاع والتسويق أو الاعلان والتعليم أو التنشئة الاجتماعية أم كان احتياجا للانسان ضروريا كاحتياج الاعلامى أو رجل الاتصال بالجمهور للتعبير عن الأفكار القائمة بنفسه لتوصيلها إلى اذهان الجمهور .

وعنى ذلك فإن اللغة المشتركة ذات اثر قوى في حياة الرأى العام لانها السبيل لفهم الأشياء المحيطة بالناس والطريق لارتباط الأفراد بعضهم ببعض والموصل للأفكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقى الأمم في شتى نواحيها .

واهم صفات اللغة المشتركة أنها على حد تعبير « هنرى سويت » - تلك اللغة التى لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى اليها التكلم .

---

(٢٥) « الخصائص » لابن جنى ج : ١ : ص ٢١ - ط الهلال - ١٩٢٦ .

(٢٦) « د انيس » اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٠٤ .

واللغة المشتركة هي في الحقيقة تعبير آخر لما يسميه السياسيون بالقومية . ولذلك لم يكن من المصادق أن القومية حين بدأت تتخذ شكلها في القرن الثامن عشر لم يكن روادها من العسكريين أو السياسيين وإنما كانوا من العلماء والشعراء والكتاب الذين حاولوا جهدهم أن يلمسوا أرواح الشعب في الأساطير القديمة والأغاني المجهولة الأصل وكانت اللغة في أعمال هؤلاء المفكرين أداء هذه الذكريات والتجارب المشتركة والسجل التاريخي . فليست القومية إلا تلك الصلة الروحية التي أساسها الأفكار والرغبات والشعور ، كلها تنتقل من عقل إلى عقل ومن نفس إلى نفس في كلمات شائعة وثيقة الاتصال بتلك العقول والنفوس فالكلام المشترك والتعابير العامة والنغم الكلامي بل المجازات كل هذا يتغلغل في نفوس أبناء البيئة الواحدة . ويصبح المهاد النفسي للشعب . ثم قد يتفجر في لحظة من لحظات التاريخ وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (٢٧) .

ولعل « هردر » ، العالم اللغوي ، في أواخر القرن الثامن عشر كان أول من نبه الأذهان في كتبه إلى علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها إذ يقول : « أن اللغة القومية بمنزلة الوعي الذي تتشكل به وتحفظ فيه وتنتقل بواسطة أفكار الشعب . واللغة سواء قلنا أنها خلقت دفعة واحدة من قبل الله أم ذهبنا إلى أنها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن أن نشك في أنها الآن تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا وتسدده وتوجهه توجيهها خاصا والآيب الذي يسود بين الطبقات العليا من الأمة يعكس تأثيرات خارجية أو اجنبية ولكن لغة الشعب تتمثل في كل روح الشعب نفسه .

أن لغة الآباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين . أن قلب الشعب ينبض في لغته - أن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والاجداد (٢٨) .

ويؤكد الفيلسوف الألماني « فيخته » من بعد « هردر » في أوائل القرن التاسع عشر ، أن اللغة والقومية امران متلازمان ومتمادلان . أن اللغة ترافق المراء وتحركه حتى أعماق أدوار تفكيره وإرادته هي التي تجعل منا نحن الألمان مجتمعا متماسكا يديره عقل واحد . أن الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط

(٢٧) ساطع الحصري : « ما هي القومية » - ص ٥٦ .

(٢٨) « أنيس » اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٠٨ .



متينه ، وأن لم نرها • أن الحدود التي تستحق أن تسمى حدودا طبيعية بين الشعوب هي التي ترسمها اللغات •

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبنون فكرة أن اللغة أساس القومية منهم « ماكس نورداو » الذي كان يقول : أن الفرد يندمج في المجتمع باللغة وبها وحدها باللغة يصبح عضوا في الشعب الذي يتكلمها وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي للأمة سواء منه ما انحدر عن قرائع الكتاب والشعراء والمفكرين ، السالفين أو المعاصرين •

ويتضح صدق الرأي الذي نادت به النظرية الألمانية من أن القومية مرادفه للغة حين نتذكر تلك القوميات التي نشأت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر •

فقد قامت ألمانيا على أساس اللغة وحدتها بعد أن كانت مجزأة إلى دويلات كثيرة وكذلك وحدت إيطاليا على أساس اللغة أيضا • وأن استقلال بولندا واتحادها قد تم أيضا على أساس أن الناطقين بالبولندية أصحاب قومية واحدة وكذلك استقلال اليونان وبلغاريا ورومانيا والبنانيا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا فكل هذه الدول قامت على أساس أن لكل منها لغة قومية متميزة عن غيرها • أي أن تلك كل من السلطنة العثمانية والامبراطورية النمساوية إنما كان بسبب اختلاف اللغات فيهما ، فانفصلت عن السلطنة العثمانية الشعوب التي تتكلم بغير التركي وانفصلت عن الامبراطورية النمساوية الشعوب التي تتكلم بغير الألمانية (٢٩) •

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت في وضوح أن اللغة على الإطلاق هي أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوي سايبير إلى أن اللغة هي على الأرجح أعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ومضمون هذا الرأي امران :

الأول : أن اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري لا يتيسر حصوله بدون اللغة •

والثاني : أن وجود لغة مشتركة بين أفراد أو أمة من شأنه أن يكون هو نفسه رمزا ثابتا وفريدا للتضامن بين الأفراد المتكلمين بها (٣٠) •

---

(٢٩) د. عثمان أمين : « فلسفة اللغة العربية » ص ١٦ •

(٣٠) مجلة اللسان العربي - العدد السادس - ص ١٩ •

فاللغة عنصر ضرورى لبقاء وتماسك وحدات المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للأشياء والأفعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشيء أو الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوى دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة أفراد مجتمع اللغة الواحدة .

### اللغة والاتصال الاعلامى :

الوجود البشرى ملتحم باللغة فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة ، وترافق المجتمعات فى اطوارها التاريخية والمتلاحقة فيصيرها ناموس التغير الحتمى الذى يجعلها أداة صادقة للتعبير باللفظ والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعيارا دقيقا لرقبها أو انحطاطها فى ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

وحاول الكاتب الانجليزى هـ.ج . ويلز أن يكشف العامل الذى يفضل غيره فى حركة التاريخ الانسانى .

وبدا بمزية الانسان الاولى وهى الكلام أو اللغة اللسانية وجعلها المحور الرئيسى لحركة التاريخ الانسانى بأسره وقسم هذا التاريخ انساما رئيسية : الأول : عصر الكلام والثانى : عصر الكتابه والثالث : عصر الطباعة والرابع : عصر الأذاعة . وادخل فى اعتباره العوامل المساعدة لهذا المحور الرئيسى ، كاختراع البخار والكهرباء واقتراح الطباعة بالانتاج الآلى الكبير .

وليس من شك فى ان ويلز كان من المبشرين بلغة جديدة . ولئن اعلامى جديد كان من القلائل الذين ادركوا أن التقدم الانسانى يسير بخطى سريعة ، وبخاصة فى التحكم فى الطاقات الهائلة .

على ان ذلك يؤكد أن اللغة لاتعرف التحجر ، وهى قادرة على العمل ، لقدرة كاملة وهى لا تفتا تتغير شكلا ومبنى ، تتغير حروفها وأصواتها أو صيغتها وبناءها أو من ناحية معناها فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر أو تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون أن تترك الأول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التى تنطبق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ أقدم العصور ولا سبيل لتفضيل

لغة على أخرى وإنما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات  
وأثرها تعبيرى .

الأمم البدائية حتما لغتها بدائية وغير معقولة ومفتقرة إلى العديد من  
المعارف والألفاظ التى تؤدى المعانى الحسية والمجردة فهى المحدودة وكلما  
ازداد تفكير المجتمع اتساعا وثقافته نموا تطورت لغته وازدادت قدرتها  
على التعبير وأعطاه كل سمع لفظا مناسباً (٣١) .

إن اللغة تمنح الإنسان بالاضافة إلى وراثته البيولوجية خطا آخر  
للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة أمرا ممكنا .

وقد أتاح العلم الحديث للغة إمكانات ووسائل متعددة للتعبير من  
بقائى الأحكام العقلية فى صورها النظرية والتطبيقية كما أتاح للألفاظ  
المعنوية المجردة طاقات جديدة . مالت بها نحو وضوح أكثر وتفحص أدق  
وأصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الإعلام والاتصال بالجمهور  
غنية بالمدلولات التى تعمقت فى أغوار النفس البشرية وحاجات الإنسان  
حتى صار عدد من الألفاظ اللغوية عالما من الإشارات والرموز المعبرة عن أدق  
المعانى المجردة وأعقبتها (٣٢) .

وكان طبيعيا أن يشتد الإحساس بالحاجة إلى لغة إعلامية بعد ظهور  
وسائل الإعلام وتنوعها إلى : وسائل مكانية ووسائل زمانية ، ووسائل  
مكانية زمانية .

ويقصد بالوسائل المكانية تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالصحف  
أما الوسائل الزمنية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالإذاعة والتلفزيون  
أما الوسائل الزمنية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالإذاعة والتلفزة  
والأحاديث المسموعة وهى وسائل شفوية أو سمعية وتعتبر الأفلام الناطقة  
والتلفزيون والمعارف الشخصية المباشرة وسائل مكانية زمانية لأنها تشغل  
حيزا مكانيا ووقتا زمنيا فى نفس الوقت وهى وسائل سمعية وبصرية .

وأدى هذا التطور إلى ظهور لغة من نوع جديد غير اللغة الأدبية  
بمستواها التذوقى الجمالى وغير لغة العلم فاللغة الإعلامية الجديدة هى التى  
تدعى إلى جميع فئات القراء وإلى تحقيق المستوى العلى على الصعيد  
الاجتماعى للغة .

---

(٣١) مجلة د اللسان العربى ، - العدد الاول - ص ٢٨ - المغرب -

١٣٨١ هـ .

(٣٢) د . امام : المرجع السابق - ١٩٩ .



وبالغ البعض في تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة وتخيّلوا أن عصر التدوين على المنهج القديم قد انتهى وأن اللغة اللسانية تستعيد مكانتها وتعود إلى طبيعتها المهجورة ويكل ما في الصوت من نير وإيقاع وأن الصورة تتخذ بدورها مكانها إلى جانب اللسان ، ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس أن هذه الجارحة كانت أكثر وسائل الاتصال مرونة لأنها تستطيع أن تسجل الصور الحسية على اختلافها وأن تحكى أو ترمز أو تشير إلى الصور البصرية والسمعية والذوقية إلى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال . والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على بعض الوسائل الأخرى .

وأهم هذه المميزات أن القارئ أو المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة ثلاثية ، فالقارئ مثلا : في حالة الصحيفة أو الكتاب يستطيع أن يقرأ بالسرعة التي تناسبه ، كما يتمكن من إعادة ومراجعة ما قرأه في أي وقت يشاء . لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقدة والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة ، وغنى عن البيان أن هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكن الناس من النقد المدروس والعناية بالتفاصيل الدقيقة . فلا غرابة إذن ، أن تتفوق هذه الوسائل في التعبير عن الدراسات الدقيقة والموضوعات ذات التفاصيل الكثيرة .

ومن أهم مميزات الوسائل المكانية البصرية أيضا أنها تخدم الأذواق المختلفة وتعبّر عن الاتجاهات المتعددة فمن الممكن مثلا أن تصدر الاقليات صحفا لها كما يمكن للجمعيات المختلفة أن تسجل نشاطها في صحف ومجلات خاصة بها . ومن الثابت أيضا أن الاتجاهات المتطرفة والحركات الثورية والمذاهب الجديدة لا تجد خيرا من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وأرائها .

ويندر أن تستعمل الوسائل الأخرى كالإذاعة في مثل هذه الأحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة في معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الأخرى . ومع أن التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة فقد أثبتت أن ٦٢٪ من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها ولا شك أن مرد ذلك إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطني المشرف .

والدليل على ذلك ان كثيرا من الاميين في مصر يشتركون الصحف  
ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون في القاهرة أو الدور الريفية  
للاستماع الى تلاوة الصحف .

أما الوسائل الزمانية السمعية كالإذاعة فتتناسب مع التنظيمات  
اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة وإذا كانت المطبوعات  
والصحافة تناسب ذوى الثقافة فإن الإذاعة تناسب قليلي الحظ منها ،  
بل والاميين انفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا في  
الصوت الاذاعي النابض بالحياة فإنه من الطبيعي ان تتفوق الإذاعة على  
الصحافة في هذه الناحية ومن نتائج ذلك ايضا ان الإذاعة من أصلح  
الوسائل للاستهواء والايحاء (٣٣) .

ويعلل « دوب » سر القوة الايحائية بانها وسيلة سريعة للنشر بحيث  
تتفوق على الصحافة ومعظم وسائل النشر الاخرى وبذلك تنفرد الإذاعة  
بأسبق وأرادية النشر والاثر الاول للخبر أو الرأي لا يحد بسهولة كما  
تصعب معارضته ، والواقع ان الاحساس الجماعي من اهم مميزات الإذاعة  
فقد يستطيع المستمع ان يشترك فعلا في البرنامج أو انه على الأقل يحس  
وهو في بيته انه عضو في جمهور كبير من المستمعين وهذا الاحساس يعنى  
من قوة الاستهواء . ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعي الإذاعة من  
الاميين ومتوسطى الثقافة فإن الاستهواء يكون أسرع وأقوى اثرا ولا غرابة  
اذن ان تلعب الإذاعة دورا خطيرا في الدعاية السياسية الموجهة الى  
الشعوب المتخلفة ثقافيا كما يقوم بدور رئيسي في الترويج التجارى وخاصة  
في الولايات المتحدة الامريكية . غير ان الإذاعة - والوسائل الزمانية  
السمعية عموما - لا تمنح تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التي يتمتع  
بها قارئ الصحيفة أو الكتاب . فالمستمع مقيد دائما بموعد الإذاعة  
المحدد ، الذي لا يمكن تغييره . وهو لا يستطيع ان يطلب من المتحدث ان  
يعيد ما يقول ، أو ان يقرأ بسرعة معينة تناسبه .

ويتضح لنا من التجارب التي اجراها « بلومر » (٣٤) و « دوب » ان  
الوسائل السمعية البصرية كالافلام الناطقة والتلفزيون تمتاز بتأثيرها القوي

(٣٣) د . امام : المرجع السابق - ص ١٩٩ .

(٣٤) H. Blumer : Movies and Conduct (N.Y.) The Macmillan Company 1933, Doob, Propaganda, Its psychology and Technique (N.Y. Holland Compagny 1935)

بحكم واقعية الصورة وحيويتها مقترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية ، ومع أن نتائج أبحاث هذين العالمين تشير الى أن الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الأخرى فى درجة تذكر الأفراد المعرضين لها ، فإن هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة .

أما التجارب التى أجراها « ستودارد » و « هول وادى » فقد أثبتت أن الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الفائقة على الاستهواء ، ويؤكد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للأطفال فهم يصدقون كل ما يرونه فى الأفلام ، حتى أنه ليصعب جدا تعديل التأثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم وغنى عن البيان أن عادات الممثلين على الشاشة - كالتدخين أو اختيار أزياء معينة - سرعان ما تنشر بين المراهقين وغيرهم من شديدى الحساسية للاستهواء .

والأفلام من الوسائل القوية التى تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين كما أنها تنجح بالنسبة للأجانب الذين لا يجيدون لغة الفيلم إذ يمكنهم متابعة تسلسل الموضوع خلال الصور وحدها ، ومن الثابت أن واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الألوان أما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو أقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الأخرى . ولكن هذه النتيجة الأخيرة لازالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (٣٥) .

وليس الأمر مقصورا على المميزات الطبيعية وحدها بل أن العادات والتقاليد والأساليب الحضارية لها تأثيرها القوي على تكوين الجماعات السمعية أو البصرية فقبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد .

فعند العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الأساسية للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها فى مناصرة صاحب الدعوة . ثم فى عصر بنى أمية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » وعلى الشعراء السياسيين من أمثال جرير والفرزدق والاختل والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى أمية فى كثير من قضاياهم السياسية .

---

(٣٥) د . امام : نفس المرجع - ص ١٩٢ .



ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعبوية » وحلت محل العصبية القبلية . وتحمس الشعراء الشعبويون للامم او الاجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الاخرى .

اما فى المدنيات الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها ، ويبدو ان التقدم الحديث فى فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية .

والبقاء او الدوام مقياس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة فالكتب اطول وسائل الاعلام بقاء وتشهد بذلك تلك الدرر الخادة فى الاداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا فن العمارة وسيلة من وسائل الاعلام - وانه كذلك - كانت الاهرام والاثار المصرية والمساجد الاسلامية العريقة من اخلد هذه الوسائل جميعا . وتحتل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ثم تاتى المجلات التى تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، واقل وسائل الاعلام بقاء هى الاذاعة والتلفزيون ، فلا تترك اثرا باقيا بعد النشر ومع ذلك فينبغى الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفزيون لانهما يؤديان واجب الاعلام السريع والاستهواء العاجل بالنسبة للأطفال وقليلى الحظ من الثقافة اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلى الوسائل لمعالجة المعانى الصعبة والمبادئ الفلسفية والافكار المعقدة بوجه عام .

وسواء كان النمط الاتصالي شخصيا او جماعيا او جماهيريا فثمة حقيقة واقعة وهى ان عملية الاتصال الاعلامى فى جميع انماطها تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ومعانيها الثقافية تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى والاتصال فى جوهره هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها والتى يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى . فالرموز هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفكرى ويدونها لا يمكن ان تعمل .



## الفصل الثاني

اللغة والاتصال بالجمهور





## اللغة والاتصال بالجماهير

تعتبر مشكلات اللغة من المسائل الرئيسية الهامة في الدراسات الانسانية ان لم تتجاوزها بالتخطي الى الاهمية المطلقة .

والتعريف الشائع للغة هو انها مرآة تعكس الفكر او وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها او تبادلها ، اذ يعرف « هنرى سويت » اللغة في كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بانها « التعبير عن الفكر عن طريق الاصوات اللفوية » كما يعرفها العالم الامريكى « ساپير » في كتابه « اللغة » بانها « وسيلة لتوصيل الافكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره » .

على ان احدث تعريف للغة هو ذاك الذى وضعه العلامة « جسرسن » في كتاب « فلسفة النحو » : « تكمن روح اللغة في نوع من النشاط الانسانى، نشاط من جانب فرد يجد في افهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بفرض فهم ماكان يجرى في ذهن الشخص الاول » .

ولكن علم الاتصال بالجماهير بوصفه عملية اجتماعية هامة هو العلم الذى يدرس هذه الظواهر دراسة منظمة تعتمد على المنهج التجريبي وتقوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس وقد هيات ظروف الحريين العالميتين فرصة سانحة لدراسة اساليب الاتصال وفنون التأثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هذه الظروف ففيها استطاع العلماء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تاثرهم بالاتصال وقد خرجوا من دراسة الحالات واجراء التجارب مجموعة النظريات التى تربط بين عدد من الوقائع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا (١) .

---

(١) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » - ص ٢٥ .  
Sapir, «Language» Harcourt Brace N.Y. 1921, p. 23

ويعتمد علم الاتصال بالجماهير على عدد كبير من البحوث التي أجريت في العلوم الاجتماعية الأخرى وأهمها علم النفس ، وخاصة علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ( الأنثروبولوجيا ) وعلم السياسة فضلا عن علوم الاقتصاد والتاريخ واللغات ولا شك أن دراسة علم الدلالة قد أثر تأثيرا كبيرا بفهم حقيقة الرموز ودلالاتها وصياغتها الاتصالية ، ونظرا لاعتماد علم الاتصال بالجماهير على سائر هذه العلوم الاجتماعية فقد رأى البعض أن هذا العلم ليس علما مستقلا أو قائما بذاته ولكنه عبارة عن مجموعة من الدراسات المتعددة ، ومما لا شك فيه أن ظاهرة الاتصال بالجماهير هي الموضوع الرئيسي للمستقبل الذي يدرسه هذا العلم دراسة منهجية ، ولا ينقص من شأنه واستقلاله استعانته بالعلوم الأخرى التي تتصل بجوانب متعددة من هذه الظاهرة الهامة .

### اللغة عند افلاطون وأرسطو :

ومع أن علم الاتصال بالجماهير من أحدث الدراسات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية فإن عملية التأثير والافتناع كانت موضع دراسة عميقة وجادة منذ أقدم العصور ، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة فيقول الإنجيل بأنه « في الأصل كان الكلمة والكلمة عند الله والله هو الكلمة » كذلك يقول القرآن « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين » قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم » .

وقد تطور افلاطون وأرسطو بهذه النزعة الروحية في تفسير نشأة اللغة فعنينا عنابة فائقة بدراساتها وهي من الموضوعات الهامة في علم الأهل ، فيذهب افلاطون إلى أن اللغة الهام ومقدرة فطرية يكتسبها الإنسان منذ الخلق ، وقد نهج باديء ذي بدء نهجا خاصا عبر به فرأى أن لا سبيل إلى فهم الحقيقة اللغوية إلا بالنظر في الألفاظ الأولى في لغات عدة ولذا فقد رأى أن النظر في اللغات الأخرى للشعوب المختلفة أمر ضروري للوصول إلى الهدف المنشود ، ويدرك افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر أن السبيل إليها هو معرفة اللغات الأخرى .

على أن افلاطون يرى أن الألفاظ تساعد على التوضيح وأن الفكر لا يتولد من اللغة ولكن اللغة هي التي تتولد من الفكر فلكي نسمى الأشياء بأسمائها لا بد لنا من أن نعرفها أولا .

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخرى حين يتنازل موضوع الاتصال بطريقة مباشرة في كتابه « الخطابة » فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجاه افلاطون فاكد ان اللغة لا يمكن ان تكون الهاما وموهبة انسانية وان اللغة نظام لغوي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية في مكان ما .

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون في الاخذ بالنظر العلمي ، فقسم الالفاظ الى اسماء وافعال وحروف وتحدث عن موضوعات لغوية منها التذكير والتانيث والبسيط والمركب .

ولآراء ارسطو في اللغة مكانتها التاريخية في علم الاتصال بالجماهير حين يؤكد أن « الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل الى الاقتناع في أية مسألة من المسائل » ذلك ان الخطابة أو البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة في الجماهير هي محور ودراسة علم الاتصال الجماهيري الحديثة فارسطو يقسم الموقف الاتصالي الى ثلاثة عناصر .

هي الخطيب أو المرسل والجمهور أو المستقبل والخطبة أو الرسالة مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء وهذا هو ما ظهر تماما في الدراسات الحديثة .

### الدراسات الاسلامية :

وقد تأثر العرب بهذا العلم الاغريقي وقرأوه مترجما على يد الاراميين والسريان ، ومن العجيب أنهم لم يتأثروا بالتفكير الهندوكي اللغوي بالرغم من اتصالهم بهم (٢) . ومن هنا انطبعت الدراسات اللغوية العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التي يغلب عليها طابع الفلسفة (٣) .

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية « السياسة » (٤) كما ورد في « مروج الذهب » للمسعودي عندما يقول :

« وقد بلغ من احكام معاوية للسياسة واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه ... الخ » ويقصد بذلك تأثير معاوية في الجماهير عن

---

(٢) ابراهيم السامرائي : « التطور اللغوي التاريخي » - ص ١١ .

(٣) د . عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » - ص ١٦ .

(٤) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ، ص ٢٩ .

طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ به الأمر الى حد تزيف الاحاديث ، واختلاق الروايات وتلفيق المواقف التاريخية من أجل التحكم في نفوس الجماهير .

ومن يتتبع تاريخ الطبري وابن الاثير يستطيع ان يقف على تفاصيل الدعاية الاسلامية في العصرين الاموي والعباسي كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة في الدعاية السياسية والدينية معا (٥) .

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير في الجماهير في كتابه « البيان والتبيين » ومتى شاكل ابقاك الله - ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك اقدر لفظا وخرج من سماحة الاستكراه وسلم من فساد الكلف كان قمينا بحسن الموقع وانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحصى عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به مغمورة مأمولة ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه متعيزا جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبيب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على السن الرواه وشاع في الافاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيسي ورياضة للمتعلم المريض . فاذا اراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يحصى وينصح ولا يفش وكان مشغولها بأهل الجماعة شغفا لأهل الاختلاف والفرقة رجعت له الحظوظ من اقطارها وسيقت اليه القلوب بازمتهما وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من حبه دنويا حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد اغنى المستمع من كد الكلف وراح قارئ الكتاب من علاج التفهم (٦) .

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم بعد نزول القرآن واتساع الفتوحات وخاصة بعد قيام الدولة العباسية فجنّدوا انفسهم للعناية بأمور اللغة حرصا على كتاب الله فاتجهت الدراسات اللغوية في اتجاهات عدة واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها قال الفراء :

وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الأمم اختصاصا من الله

(٥) د . امام « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص ٢٩ .

(٦) « البيان والتبيين » ج ٣ ص ٢٠ .



تعالى وكرامة اكرمهم بها ومن خصائصها انه يوجد فيها من الایجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات (٧) .

ويبرز الاتجاه الاول في عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب « بالسنتكس التعليمي » أي « علم التنظيم التعليمي » (٨) أو « علم النحو » الذي بدأ يظهر على يد الباحث اللغوي أبي الاسود الدؤلي ، وظلت العناية موجهة في هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجري ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة باجزاء الكلام وتباين صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها ببعض وأنسام الكلمة ووظيفتها في الدلالة . كما اخذ العلماء العرب في هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير ابنيتها بتغيير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التي يطلق عليها الغرب « المورفولوجيا التعليمية » ، أي « علم البنية التعليمية » (٩) .

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذي عرفناه « بعلم الصرف » .

واتجهت الدراسات العربية كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب على النحو الذي وجدناه لدى ارسطو وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلوم البلاغة » التي تضم المعاني ، والبيان والبديع وعلم المعاني بحث في بيان ما ينبغي ان يكون عليه الاسلوب العربي ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد ابلغ تعبير اما البيان فهو علم يشرح المناهج التي يسلكها الاسلوب العربي في استخدام التشبيهات والمجازات والكنائيات والبديع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التي يحتملها الاسلوب العربي الذي تتجه اليه علوم الاتصال بالجماهير وهي من جهة اخرى « ترجع الى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة « الستيلستيك التعليمي » ، أي « علم الاسلوب التعليمي » .

وقد عني المتقدمون بالكتابة في بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » ، لأبي عبيدة و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة في هذه العلوم في مؤلفات تضمها جميعا « كالصناعتين » لأبي هلال العسكري و « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجاني .

---

٩،٨،٧ د . والى : نفس المرجع ص ٥٩ وما بعدها .

وفى الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون فى الكلمة العربية من حيث نطقها وادائها ، لبيان الوجوه التى قرئ بها القرآن الكريم . وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وانواعها ومخارجها والفن وضروبه وتأثر اصوات الكلمة المتجاورة بعضها ببعض . وما الى ذلك من مسائل « الفونتيك » الخاصة باللغة العربية (١٠) .

واتجهت جهود الباحثين العرب فى الاتجاه الرابع الى البحث فى اشعار العرب فجعلتها ونقبت عن معانى الغريب فى مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله .

ويدلنا على ذلك ما روى (١١) عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضا : « اذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى » .

وعنى الاتجاه الخاص « بمقتن اللغة » والذى تفرعت منه ثلاثة اقسام ، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » .

وعنى القسم الثانى بوضع معجمات ترمى الى بيان المفردات الموضوعية المختلفة المعانى وترتيب المعانى بطريقة خاصة وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب « الالفاظ » لابن السكيت ، و « الالفاظ الكتابية » للهمدانى ، و « فقه اللغة » للثعالبى .

اما القسم الثالث فقد عنى بتأليف رسائل خاصة فى الالفاظ او المعانى ، ككتاب أبى حنيفة فى الانواء والنبات وكتاب يعقوب فى النبات والاصوات والفرق وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى . الخ .

---

(١٠) القلقشندى : « صبح الاعشى » ج ١ - ص ١٤٩ .

- د . واهى « علم اللغة » - ص ٥٢ .

- المرجع السابق - ص ٥٣ .

- المرجع السابق - ص ٥٦ .

(١١) « تفسير القرطبي » - ج ١٠ - ص ١٢٩ .

واتجه البحث اللغوى عند العرب - فى الاتجاه الاخير - الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (١٢) .

فمن ذلك دراسة الاصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية ، ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس فى كتابه « الصحاح » فى فقه اللغة وسوق العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى والقياس والاشتقاق . الخ ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى فى كتابه « الخصائص » كبحثه فى أصل اللغة وهل هى الهام أم اصطلاح . . . وهلم جرا .

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت فى دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ونعنى اللغة حيث نتعرف على تطور اللفظ والاساليب والعوامل التى اثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا .

وقد وجدنا ان الفارابى (١٣) المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع . كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتأثير فى الناس . ويتحدث الفارابى فى « آراء اهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تماسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب والاشتراك فى شر يداهمم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض والاشتراك فى لذة ما . اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان ويتشابه الشيم والخلق .

ويذهب ابن خلدون فى مقدمته الى تحليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على أسس اجتماعية ويرفض ما ذهب اليه المسعودى من اسباب تقصل بتركيب الانسجة . . . ولعل هذا الاتجاه الذى يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية فى تحليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذى يرفض التعليلات الخيبية والاقتراضات المتصلة بالفرائز والعوامل البيولوجية المتيقة . . . وحين يتحدث ابن خلدون عن التعليم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

---

(١٢) د . وافى : « علم اللغة » ص ٥٩ .

(١٣) الفارابى - ابو النصر : « آراء اهل المدينة الفاضلة » ، -

القاهرة ١٩٤٨ .

« لان الافعال لا بد من عود اثارها على النفس فافعال الخير تعود  
بأثار الخير والذكاء وافعال الشر والسفسفة تعود بغير ذلك فتمسك وترسخ  
ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من اثارهم  
المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن افعال » .

### اللغة في ضوء البحث الحديث :

ظلت البحوث اللغوية في أوروبا حتى أواخر القرن الثامن عشر  
الميلادي محصورة في دائرة ضيقة ولا تعدو كثيرا مسائل علوم البنية  
والتنظيم والاسلوب ( المورفولوجيا والسنتكس والسيتيلستيك ) في اشكالها  
التعليمية (١٤) .

ولما بدأت النهضة الأوروبية في أواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على  
العلوم العربية مترجمة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية حين بدأ  
علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز أحد قضاة الانجليز في الهند  
والذي لاحظ الشبه القوي بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية  
هذه اللغات جميعا صدرت عن أصل واحد .

وكان من أشهر من افتتح هذه السبل فون شليجل الذي قرر ان الوسيلة  
الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هي مقارنة قواعدها  
وتراثيها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالى الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل  
الى قوانين في تلك اللغات مثل القوانين في اللغات الهندية والتي جعلت  
أساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايذانا بالتوصل الى  
دراسة القواعد دراسة مقارنة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد  
التاريخي التي قام بها جريم ودبيز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم . وقد  
أسدى هذا المنهج المقارن في دراسة اللغة خدمة جليلة في بيان طبيعتها  
وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق وكشف لأول مرة عن وجود  
ما اطلقوا عليه اسم « القوانين الصوتية » وظهر علم الاصوات التشريحي  
على يد مولر ، وقد تهيأ لهؤلاء العلماء ان ينتهوا الى طريقة في الاصوات  
تميز الحروف اللاتينية .

---

(١٤) د . وافي : « علم اللغة » ص ٤٠ .



كما اثمر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولر محاضرات في علم اللغة وقد نشر سنة ١٨٦١ . كما جاء في كتاب الامريكي Whitney في كتابين في نفس الموضوع هما :

• اللغة ودراساتها ، و • حياة اللغة وتطورها ، • وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب دارون في التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التي يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على انها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليل اللغوي في العصر الحديث اُرتبطت بتيارات الفكر العلمي التي سادت القرن التاسع عشر . ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات في اطار علم اللغة المقارن .

ومن جهة اخرى فقد هالج توماس هوبز الذي عاش في انجلترا في القرن التاسع عشر مسائل التفاعل الاجتماعي عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك في كتابه « التنين » ويقول هوبز ان التجمع ليس صفة مقصورة على البشر فهناك تجمعات النمل وخلايا النحل التي تتصرف بالتماسك ودقة العمل .

ثم يقول ان اهم ما يميز التجمعات البشرية عن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكن الفرد من ان ينقل الى الآخرين افكاره واراهه بما يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة فان الاتصال الانساني على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الأفكار والآراء ، فليس غريبا ان الانسان وهو الحيوان الناطق ، وهو ايضا الحيوان الذي يحارب بالفكر والعقيدة والدعاية والسلاح ، ولذلك يتطلب الأمر وجود قوة تتمثل في الدولة أو الحكومة التي تنظم الاطماع وتنسق الأفكار ، حتى لا تعم الفوضى ويذهب الناس في سبيلهم شقى .

وفي سنة ١٨٦٠ ، بدأ اثنان من الباحثين هما لازاروس ، وستينثال نشر بحوث متصلة بعلم النفس للشعوب وفيها دراسات عن أسباب الشعور المتماثل لدى الأفراد وهي الروح الصامة التي تظهر في اللغة والأساطير والدين والتراث الشعبي والفن والادب وقواعد الاخلاق السائدة والعرف والقانون ويبدو ان ستينثال قد وقع تحت تأثير الرونية وقولها بوجود قوانين عامة تحكم التطور ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد ومبولة

النفسية وقوله بوجود سيكولوجية جماعية - أو عقل جمعى - هى التى تتمثل فيها النزاعات والميول النفسية الاجتماعية .

ويرى هيرمان باول أن علم النفس الاجتماعى بالمعنى الذى ذكره ستينثال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الأول . كما يقرر أن اللغة هى أهم الأدوات التعبيرية التى تستعمل فى المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكره من الأفكار نشأ تلديه بفضل كونه عضوا فى جماعة ، وهى :

١ - يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيما حوله من أشياء أو أدوات تعبيرية .

٢ - تنتقل هذه الأشياء والأدوات الى فرد أو أفراد سواء .

٣ - يقوم الآخرون بنشاط مادم يؤثر على بعضهم البعض تأثيرا قد يفيدهم ولكنه ينسجم مع مقتضيات ثقافتهم .

وقد استطاع « فونت » أن يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الانطباعات الماضيه فى تشكيل عملية الادراك .

ومن المعروف أن دراسات الاتصال الحديثة تعنى عناية فائقة بأثر هذه الانطباعات المترسبه التى تكون الانمساط والتصورات الذهنية على ادراك المفاهيم الجديدة . لأن الأفكار لا تنشأ فى ذهن الفرد مستقلة عن تراث جماعته وذلك لأنه بالرغم من أن تجارب كل فرد هى التى تخلق فى ذهنه أفكاره ، إلا أن للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا فى الحكم على أمر ما بالخير أو بالشر وبالجمال أو بالقيح ، كما أن ثقافة المجتمع هى التى تحدد للفرد معالم أفكاره .

وبعد ذلك أصبح موضوع الأيحاء والقابلية للتأثر أو الاستهواء من أهم الموضوعات التى عالجها كبار المفكرين من أمثال جوستاف لوبون (١٥) وجبريل تارد وقد اهتم لوبون بدراسة سيكولوجية الجماعات فى كتاب روح الاجتماع وكان متأثرا بالدراسات السابقة فى الأيحاء ، والجديد فى كتاب لوبون أنه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التأثير بينهما . ويقرر لوبون أن تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان وكثرة العدد ولكن المهم هو

---

(١٥) « روح الاجتماع » ترجمة احمد فتى زغلول - القاهرة ١٩٠٩ .

اتجاه المشاعر والعواطف والأفكار نحو هدف واحد وذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيري .

وبينما يؤكد لوبون أهمية الإيحاء في التأثير الاجتماعي نجد أن تارد يذهب إلى أن المحاكاة هي أساس التفاعل الذي يتم في الجماعة ، والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هي اللغة فهي الأداة الأولى لنقل كثير من العادات والتقاليد ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الأجيال وعبر الجماعات والأفراد ، فكان المحاكاة هي القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير .

### اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسري فرديناندي سوسير ( ١٨٥٧ - ١٩١٣ ) نقطة تحول حاسمة في تاريخ البحث اللغوي الحديث . فقد كانت رؤيته الواضحة لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارا أمام تلاميذه وأجيال الباحثين من بعده .

فقد ذهب دي سوسير إلى أن اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المترابطة المتكاملة في نظام رمزي ، ولذلك حاول أن يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخي والاتجاه الوصفي الواقعي ، وأخذ على أصحاب الاتجاه التاريخي أنهم قد أهملوا إلى حد كبير دراسة اللغة من واقع نشاط متكلميها الذين يعيشون بين ظهوراتهم . ومن ثم حرموا أنفسهم من دراسة هذا الجانب الحي . كما أنهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية في أحكامهم على اللغة الواقعية وهذا لا يتيح إدراك طبيعة اللغة ، فالتسلسل التاريخي للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذي يواجه وضعاً لغوياً ثابتاً . . ويستطيع الباحث ولا شك أن يصل إلى أعماق ذهن المتكلم مع تجاهل ما ضيحه اللغوي تجاهلاً تاماً (١٦) .

كذلك قسم دي سوسير ظواهر اللغة في وقت ما إلى عناصر موروثه وعناصر مبتكره . والعناصر الموروثة هي التي يسميها *Langue* أو لسان ويعنى بذلك لغة جماعة يعينها . أما العناصر المبتكرة فتتمثل في الكلام واللغة بمعناها الإنساني *Langage* ظاهرة عامة تظهر في هذين العنصرين

---

(١٦) ص ٧٦ وما بعدها من الترجمة الانجليزية لكتابه .  
Course in general Linguistics

مجتمعين . واللسان - أو لغة جماعة معينه - مجموعة من الرموز يتلقاها الفرد من الجماعة التي يعيش فيها عن طريق السماع . أما الكلام فانه مجموعه من الاصوات التي تمثل نشاط الفرد باعتباره متكلماً . ووحدة الكلام الجملة أما وحدة اللسان فهي النمط . ومن ثم فان اللسان ليس مجرد مجموعة من المفردات ولكنه بصفة أساسية نظام يشمل الرموز والانماط وعلى الباحث ان يحاول بلورة هذا النظام بوجودانه وبملاقاته المتكاملة .

وقد نحاول دى سوسير ايضاح الطبيعة الرمزية للغة ، فالرمز دال يشير الى مضمون يدل عليه Signifié وهدف الباحث ان يتبين عناصر الدلالة المختلفة مكتشفاً قدرتها الرمزية فاللغة عند دى سوسير هي ذلك النظام المستقر عند الجماعة ككل والذي يمكن تبين عناصره من الظواهر اللغوية المتاحة .

### نظرية الانماط الجامدة :

ومن جهة أخرى ، فقد كان والتر ليمان من الرواد الاوائل في دراسة الاتصال الجماهيري الذين افادوا من الدراسات اللغوية فذهب الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك فهو لا يستطيع ان يفهم العالم او يتصوره بمجرد ملاحظته وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذي يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات .

فالعالم الموضوعي الذي نتعامل معه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يقع خارج نطاق احساسنا وخارج بصرنا وعقلنا .

ويرى ليمان ان المسائل العامة كالسياسة والحكم التربوية والانتخابات والاصلاحيات وغيرها تتأثر بما يصدره الناس من احكام نابعه من الصور الذهنية التي يكونونها عن انفسهم وعن الآخرين وهذه هي آراؤهم اما الرأي العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة في رؤوس الجماهير وهو القوة التي تسعى اجهزة الاتصال وجماعات الرأي كالأحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التأثير فيها .

ويؤكد ليمان ان تصرفات الناس لا تكون نتيجة لملاحظات موضوعية عن العالم الخارجي بل تكون في حقيقة الأمر مبنية على التصرفات الذاتية أو الصور الذهنية الكامنة في نفوس الناس . وهذه لا تتكون بطريقة الملاحظة الموضوعية ولكنها تتكون نتيجة الاتصال الشخصي بالناس والأصدقاء والاتصال الجماهيري بالصحف والاذاعة المرئية والمسموعة ، وفي أغلب الاحيان تتكون من تفاعل هذين النوعين من الاتصال .



فالمؤثرات التي تحيط بالإنسان لا تكون السبب المباشر في الاستجابة للبيئة ولكن معنى هذه المؤثرات أو صورتها في ذهن الإنسان ، هي التي تحدث الاستجابة ولما كانت البيئة الموضوعية اعظم واعمق من ان تفهم لهما مباشرة فلابد للإنسان ان يبسطها ويختصرها في شكل صور او رموز يستجيب لها في بساطة وامان . وهكذا يكون الفرد عالما خاصا له ، كما تكون الجماعة عالما خاصا لها . ولا شك ان الاتصال، هو الذي يلعب اهم الانوار في تكوين هذه البيئة الثقافية التي تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة .

ويقول ليان ان الصور التي تتكون في اذهان الجماهير تكون بعيدة عن الحقيقة الموضوعية ويرجع ذلك في نظره الى عدة عوامل اهمها الرقابة على الموارد الاعلامية والسرية التي تضرب حولها والعقبات المادية والاجتماعية التي تحول دون وصول المعلومات الى الجمهور وضغط المكونات النفسية اللاشعورية وتأثير المتاعب والتكرار والعنف والرقابة وهناك أيضا غموض الحقائق وتعقيدها مما يؤثر في الوضوح فينشأ سوء الفهم وصعوبة الادراك وعلى هذا الأساس لا تتكون في عقول الناس افكار وانما تنشأ اخيلة واوهام وهذه هي التي تسيطر على سلوك الناس .

والبيئة الثقافية التي تعيش فيها هي التي تحدّد لنا ما نذكره . فنحن لا نرى ثم نحدد ولكن التحديد يكون سابقا على الرؤية والادراك . وملاحظتنا للأشياء والاحداث تتمشى دائما مع الانماط المصدده التي تصبها البيئة الثقافية في نفوس الجماهير ولا يلبث الإنسان أن يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التي تصبح بمثابة المرشحات التي تصبغ لون المراثيات والانماط ضروره هامه للادراك والمعرفة ولا يمكن الاستغناء عنها .

وتساعد هذه الانماط على تأكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا وتعصبنا لمركزنا الاجتماعي والادبي ونقول دائما ان هذه الانماط شيء طبيعي .

### اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر ليان المجال أمام دراسة الاتصال الاعلامي دراسة علمية منظمة وخاصة من ناحية تأثيرها في اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكهم . فتوفر فريق من العلماء ذوي الاختصاصات المتعدده على هذه الدراسات وكان من بينهم متخصصون في علوم الحيوان والاقتصاد والرياضة واللغويات والتاريخ والهندسة والتشريح .

وتمخضت هذه البحوث جميعا عن كتاب صدر سنة ١٩٥٧ بعنوان  
« الاتصال الانساني » ، يتجه الى دراسة المخ البشرى على اعتبار انه مركز  
الاتصال والسيطر عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات للعمليات النفسية  
كالتذكر والانتباه والادراك وغيرها كما درست اللغة من ناحية التعبير عن  
المعلومات ونقلها . وتفرعت دراسات فى الموسيقى والفنون ودراسات فى  
الكلام ومشكلات النطق وبعوث مستفيضه حول الشائعات وعلم الدلالة .

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات الذى  
وجه الباحثين الى دراسة اللغة كنظام رمزى وكان للباحث الروسى  
تروتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجى » وتطبيقه تطبيقات ناجحة فقد  
اتجه البحث الصوتى قبل تروتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة تشريعية -  
فيزيائية فانصرف جهدهم الى الصوت نفسه دون النظر فى طبيعته كجزء  
من نظام رمزى متكامل وعندما بلور تروتسكوى نظريته فى الوحدة  
الصوتية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب  
الآخر . وعلى ذلك يكون المعنى وتغييره أو عدم تغييره فيصلا فى التمييز بين  
الوحدة الصوتية والصورة الصوتية وهذا مرتبط بالنظام اللغوى قيد  
الدراسة فلكل لغة نظامها الفونولوجى الصوتى .

وقد اوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات أى علم من  
العلوم هى رموز لا قيمة لها الا فى اطار نظام نظرى متكامل وان المصطلحات  
والمفهرمات لا تتحدد قيمتها داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكامل .

### اللغة والانماط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوى فى مكوناته على بعض الوحدات الصوتية  
ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنظم هذه الوحدات ولكل لغة نظامها  
الصرفى الخاص بها على ان البحث الصرفى الاعلامى يهدف الى تحديد  
الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة انواعها وانماطها المختلفة وعلاقاتها  
فى النظام اللغوى من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة  
ومن حيث اسهام هذه الانماط فى اللغة الاعلامية التى ترمى الى النمذجة  
والتبسيط لان العقلية الجماهيرية تركز الى الاستعانة بالرموز والانماط  
والنماذج والتحديد ، فاللغة الاعلامية لا تتألف كلماتها الا منتظمة فى  
انماط تتخذها الجملة وهنا تظهر دراسات اللغوى الأمريكى شوسكى فى  
بناء الجملة والتى تذهب الى ان النظام اللغوى ليس المجموع الحسابى لما  
سجل من عبارات بل هو شيء مجرد له وجوده الفعال وغير الواعى لدى

أفراد المجتمع اللغوي وهدف النظام اللغوي هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفي بل عليه ان ينطلق من المادة المتاحة لوضع فروض حول انماط الحيل الممكنة ثم نختبر هذه الفروض في ضوء الواقع اللغوي .

### اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيا النهوض الدرامي بالاصوات واللهجات الشعبية وعلم النفس اللغوي الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها فقد بذل الباحثون في علم الدلالة جهودهم للوصول به الى مناهج البحث العلمي فاهملوا الابحاث الفلسفية التي لا تؤدي الى نتائج متيقنة وعملوا على استخدام التجارب الفعالة كطريقة التجارب وقياس الغابر على الحاضر والموازنة والاستنباط المبني على أسس سليمة . وقد اثمرت هذه الدراسة واتجهت في اتجاهات عدة لبحث الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالا بمناهج البحث الاعلامي حيث يفيد في كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة بحيث تنتقل المعاني كاملة ودقيقة كما يفيد هذا العلم في دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتقوير ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل وليأمنوا شرها ويجنبوا الناس خطر الزلل والانزلاق .

### اللغة والبحث الاعلامي :

ولقد اثبت علماء الدلالة ان الالفاظ تؤثر على الجهاز العصبي للانسان كما ان اختيار الالفاظ هو الذي يساعد على التحكم في اتجاهات الناس وتصرفاتهم ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات وتكوين الاراء لكسب التأييد وتعبئة الشعور عن طريق الوعي والتقوير مما يؤدي الى تصرفات اجتماعية سليمة فان نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التي يفيد منها هؤلاء الخبراء .

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق بمنهجه في تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة بحيث اصبح كثيرون من المشتغلين بعلم الاتصال بالجماهير يطبقون الاسس المنهجية للتحليل اللغوي او تحليل البنية اللغوية في بحث عمليات الاتصال بالجماهير المختلفة فبدأ التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطورية لها ، وتوصلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه في اطار المجتمع .

واحد الباحثون في الاتصال بالجمهير يبحثون في اللغة باعتبارها  
عنصرا أساسيا في عملية الاتصال الاعلامي .

فاللغة اذن هي العروة الوثقى التي جعلت الاتصال عملية اجتماعية  
وهي التي تحدد الكيان الاجتماعي للاتصال الاعلامي او اضطرابه في  
مواجهة المعايير التي يفرضها المجتمع في المظهر والسلوك وعلى ذلك فان  
منهج البحث الاعلامي في اللغة انما يهدف الى البحث في ماهية اللغة من  
حيث كونها اداة اتصال يستعملها المشتغلون في الاجهزة الاعلامية بحيث  
ينصب المنهج على البحث بشكل خاص في اللغة الاعلامية بمستواها العلمي  
الاجتماعي باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات مستقلا عن اللغة  
بمستوياتها التنوقى الفنى الجمالى والعلمى النظرى التجريدى .

ذلك ان اللغة الاعلامية لا تهدف الى مناشدة حاسة الجمال لدى  
القراء بل على العكس من ذلك تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح  
والسهولة .

وقد قال هيرت سينسر ذات مرة : « ان لدى القارئ او المستمع في  
اي لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير  
الرموز المعروضة عليه والتي تتطلب جزءا من طاقته الذهنية ، اما ترتيب  
وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءا اكبر من القدرة ، والجزء  
الباقى يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها . اما الطاقة الذهنية الاقل حيوية فهي  
لفهم هذه الفكرة » .

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بانها سيارة او حافلة الافكار التي  
يكون من الطبيعى ان الاحتكاك والقصور الذاتى في كل احوالها يعدان  
كفاءتها ، والهدف الاساسى في الموضوع وهو ليس الهدف الوحيد ، ان نقل  
من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة .

على ان المنهج الاعلامي في اللغة يستخدم طرقا عامة يشترك فيها مع  
غيره من البحوث اللغوية .

ويستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التي يعرض  
لدراستها كما سترى - هذه الطرق جميعا انما هي من ثمرات البحث  
الحديث . لان اللغة الاعلامية ليست بحثا لنظريات قديمة او عرضا لنتائج  
العلوم التطبيقية على المجال الانساني ، ولكنها افادت من ذلك جميعا طاقات



جديدة ولعل برنارد شو من الرواد - الذين فطنوا الى وجوب البحث في التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكي يساير الهجاء مقتضيات الحياة ، ولكي يصور في الوقت نفسه الموقع اللغوي والذي لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبديهي ولا بد من الوصول الى رموز في حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصور ذلك الواقع اللغوي ولا بد في الوقت نفسه من الاتكاء على الاختزال افادة من الوقت الضائع سدى في الاملاء والتدوين والطباعة •



## الفصل الثالث

اللغة وعلم الاعلام اللغوى





لعل القارئ يحس أننا نستخدم لفظ ( اعلام ) استخداما شديدا  
المداخلة ، فاللفظ بهذا الاستعمال يشير فحسب الى الحقيقة العامة وهي أن  
السامع قد فهم أن المتحدث يريد أن يقول شيئا ، هذه الملاحظة تؤدي الى  
التساؤل عن الكيفية التي يجب أن نتحدث بها بمعنى آخر .. لابد أن  
نستوضح المعنى الذي تؤيد به الكلمات أو كما يقول الألماني جيرهارد  
نجهوير (١) .

هذه المشكلة يواجهها كل عرض علمي فقبل أن نشرح الثابت من  
الحقائق ( facts ) أي قبل أن نتناولها بالتحليل ، يجب أن نوضح  
المفاهيم التي سنستخدمها في التحليل والشرح . وفي إطار هذا الفصل  
لا نستطيع تفصيل هذه المسألة ويكفي الإشارة الى القاعدة العامة ، وهي  
أننا لا نستطيع شرح المفاهيم بعيدا عن الحقائق أي لا نستطيع شرح  
المفاهيم دون مراعاة الخبرة التي تتضمنها الحقائق .

فلنتأمل عن قرب هذا المثال « الصيف أكثر دفئا من الشتاء » ..  
كل قارئ أو سامع ( يتكلم العربية يفهم هذه الجملة . هل يعتبر هذه  
الجملة أيضا صحيحة ؟ ... بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في أوروبا -  
يسهل الإجابة على هذا السؤال .. فهم يعرفون أن الصيف أكثر دفئا من  
الشتاء مضمون هذه الجملة بالنسبة لهم بديهي ، بحيث أن صادفتهم في  
حديث ما - فلن تنقل اليهم اعلاما ما ، فهم على دراية سابقة بما تقوله ) على  
أننا نستخدم هنا تعبير ( اعلام ) بالمعنى الضيق ، وهو المعنى الشائع  
المعروف .. فالاعلام معرفة يكتسبها السامع عن طريق عمل الاتصال  
act of Communication بمعنى أن هناك ثغرة في معلومات السامع  
يسدها الاعلام ... والسؤال الآن هو .. ماذا يحدث حقيقة عندما تسمع

---

(١) اعتمدنا في مدخل هذا الفصل على دراسة « جير ولدنجهوير » :  
اللغة كوسيلة لتوصيل المعلومات في « فكر وفن » ، ١٩٧٨ .

وتفهم جملة « الصيف أكثر دفئا من الشتاء » .. دون ان يؤخذ هذا الفصل كعملية ابلاغية أو اعلامية .

أحدى الاجابات هي اننا في هذه الحالة نستعيد شيئا نعرفه من قبل عندما ينطق المتحدث بجملة « الصيف أكثر دفئا من الشتاء » فهو يطلب من السامع ان يفكر في التو في هذه العلاقة أو ان يسترجعها في مخيلته لانها في اطار الكلام أو الحديث ، أو بالنسبة لشيء ما على ذات أهمية تقتضمن عملية الاسترجاع والتذكر شرحا لمجرى عملية الاتصال .. ونستطيع ان نستعويض بها عن نموذج نقل المعلومات الاول الذى عرضناه في البداية دون ان يقدم لنا شرحا مرضيا .

لتدعيم ذلك يمكن ان نقول ان المثال السابق نحتاج لفهمه الى اشياء نعرفها من قبل فالسؤال : كيف إهبت كولونيا ؟ .. يتطلب لفهمه معرفة سابقة بنوادي كرة القدم في المانيا الاتحادية ومركز هذه النوادي في الدوري العام .. ونفس الشيء ينطبق على المثال الاول .. أما المثال الأخير « اياك والقتل » ... فهو يذكرنا بأحدى الفواهي أو الوصايا التي نصابها في صورة أو أخرى في جميع الأنظمة الخلقية .

أما اذا وضعنا هذا المنظر في اطار آخر كجزء من حديث طويل يحاول فيه ( عمرو ) ان يقنع زيدا ان كولونيا ستهزم في مقابلتها التالية مع فريق بافاريا كما هزمت من قبل .. ففي هذه الحالة يعرف زيد نتيجة المفايلة السابقة .. وهذا يعنى استحالة تطبيق « نموذج نقل المعلومات » على هذا الحديث .

بعد هذه الايضاحات لابد وان نصف عملية الاتصال اللغوى بطريقة أخرى تختلف عما افترضناه في البداية ، من الواضح ان عملية توصيل المعلومات من جانب المتحدث وعملية اكتساب المعلومات من جانب السامع تتوقف على خبرة اطراف عملية الاتصال ، وعلى الموقف الذى يتم فيه التواصل ، وعلى الوظيفة التي يضيفها الاطراف على فعل التواصل .. فتبادل المعلومات وعدم تبادلها ليس عنصرا حيويا مباشرا في موقف الاتصال .. رغم ان النقص في المعلومات تتم معالجته بطبيعة الحال بواسطة الاخبار اللغوى . واما كان الامر ففهم أى قول لغوى يحتاج الى نشاط عقلى خاص من جانب المستمع .. فهو اذ يذكر ببعض ما لديه من معرفة وخبرة سابقة في حياته .. يقوم في فكره وتصوره بتنظيم ما يسمى بمضمون ومعنى ، وربما أيضا مقصد ما صرح به المتحدث .. فهو في جميع الحالات أكثر من مجرد مستقبل يتلقى شيئا ثم يمتلك ما تلقى ، ففهم كلام

التكلم هو نتيجة نشاطه الذاتى ، نتيجة يصل اليها بنفسه مسترشدا بعبارات التكلم .

يمكن اختيار الشرح السابق لعملية الاتصال اللغوى بواسطة الجمل والكلمات والاحاديث التى لا تتضمن الا قاعدة طفيفة للغاية من الخبرة اللازمة لاتمام عملية الفهم . ويمكن ان نستخدم فى هذا السبيل عبارة هيجل : « الوحدة التى مكوناها الوجود والعدم كعاملين لا ينفصلان تختلف فى نفس الوقت عنهما ، ان تكون ثالثا مضادا لهما وهو فى صورته الخاصة الصيرورة » لاستيعاب هذه الفقرة ليس امام غير المتخصص فى الفلسفة الا القواعد النظرية التى يصادفها فى صياغة هذه الجمل ، من الميسر ان نفترض هنا خبرات سابقة عند السامع او القارئ كما هو الحال فى الامثلة السابقة . كعمرفة بكرة القدم او دراية بتفاوت درجة الحرارة حسب الفصول او الاقتناع بنظام ما خلقى . . . الوسائل اللغوية التى تؤدى الى الفهم فى هذا المثال هى فى المقام الاول . . . القاموس كمعجم للالفاظ ومعانيها وعلم النحو والصرف كمجموعة القواعد اللازمة لتركيب الجمل تركيبا صحيحا . . . وليس من الضروري ان نفترض ان مضامين الكلمات التى تسمى عادة بمعانى الكلمات حاضرة فى ذهن السامع او القارئ بالصورة الوصفية التى نصادفها فى المعاجم ، على انه يمكن ان نفترض ان معانى الكلمات حاضرة بشكل ما فى ذهن القارئ او السامع الذى يتكلم الالمانية بشكل يرتبط بخبرته السابقة .

وتتلخص عملية الاتصال هنا . . . فى وضع هذه المعانى الحاضرة فى الذهن فى محلها المناسب حسب تكوين الجمل . . ثم تكوين مضمون فكرى منها يلصح عن المعنى المحتمل لعبارة هيجل .

من هذا الغرض الاولى يتضح جانب هام لجميع عمليات التواصل اللغوى : فكما قلت عناصر الموقف المساندة النابعة عن الخبرة العملية فى الحاضر او الماضى توقف فهم الصياغة اللغوية على وسائل المعجم والنحو للغة المستخدمة واستغرقت عملية الفهم وقتا أطول وكانت أقل قطعا وبقينا . وهذا يؤدى بنا الى التساؤل عن مدى اليقين ومدى الثقة فى عمليات الاتصال . . فمن الواضح اننا لا نستطيع تجاهل احتمال الخطأ أو سوء الفهم . . وهذه هى احدى دروس الخبرة اليومية .

ان الثقة بنظام الاتصال اللغوى ليست بالقدر الذى يسمح لنا عند صياغة مضمون ما بالاطمئنان الى صواب هذه الصياغة ، اى أنها ستفهم حسب المعنى الذى قصده المتكلم . . . فلو صح نموذج النقل لتفسير عمليات الاخبار اللغوى الذى اوردناه أولا ثم استبعدناه لكان لنا ان نطمئن الى صواب عمليات الاتصال اللغوى . . . بل ان خبرتنا بالنقص الى رفض النقل المذكور . . . واذا كان لابد ان ندخل احتمال الخطأ فى الحساب فمن الضرورى ان نختبر عمليات الاتصال اللغوى وتوضيح ما نقصده بتغيير غرض الاتصال . . . فالمقصود هو المضمون الذى يمكن أن يتصوره السامع او يفكر فيه او يذهب اليه والذي يريد المتحدث نقله اليه بواسطة الصياغة اللغوية .

ولكن كيف لنا ان نختبر غرض الاتصال اللغوى ؟ فى مستطاع عمرو على سبيل المثال ان يتأكد بواسطة الجريدة اليومية من صحة النبأ الذى سمعه من زيد . . . وفى مستطاع الهندى ساكن جزائر Kordilleren بالاكوادور ان يرحل الى أوروبا لكى يتأكد . . . ان كان الجو هناك صيفا ايضا منه شتاء . وقد تؤكد للمتكلم ايماءة من المتلقى او اشارة منه صحة فهم كلماته ، ولكن فى مواقف الاتصال الصعبة . . . حيث يتطلب نظام الاتصال اللغوى . لضالة الخبرة السابقة أقصى درجات الجهد ( كما هو الأمر لفهم عبارة هيجل ) لا يمكن اختبار غرض او غاية عملية الاتصال عن طريق آخر غير طريق الاتصال اللغوى ذاته . فى هذه الحالة اذا اهتم المتحدث والمتلقى بنجاح عملية الاتصال فليس امامهما فى هذا الموقف غير رد الفعل اللغوى للمتلقى . وليس بوسع المتلقى ان يحسم الموقف هنا بواسطة حركة او ايماءة تثبت فهمه . . . وانما عليه ان يضع غرض او هدف عملية الاتصال موضع الاختبار بواسطة عملية اتصال لغوى جديدة .

ان قاتل اياك والقتل ! ، وارىت اختبار مدى فهمه لذلك فلاستطيع بدورى ان اسال : اتطلب منى الا اقضى على حياة انسان ما ؟ ، واذا رد الآخر قائلا هذا صحيح ولكن هناك حالات استثنائية ، مثلا عقوبة الاعدام او الحرب انتصارا للحق او لتنفيذ هدف محمود ، ففي هذه الحالة لابد لى ان اصح من فهمى الاول للجملة . كذلك فى استفهامى تحدثت عن القضاء على حياة انسان . . . اما المتحدث فقد استخدم تعبير القتل . . . وقد يكون الموضوع الآن هو الاختلاف بين القتل والقضاء على حياة انسان ما . . . عما اذا كانت وسائل القتل سواء فى عرف هذا المبدأ الخلقى ؟ هل يستوى القتل بواسطة ضربة فأس والقتل عن طريق دفع انسان ما الى حافة اليأس . . . ام لابد من التفريق بين الحالتين ؟



من هذا المثال نثبت ان اختبار غاية الجملة السابقة ، « اياه والقتل » ،  
 أى فهم مضمونها يؤدي بنا الى موقف اتصال حوارى ، وهو موقف يحمل  
 فى الواقع دائما ملامح الجدل حول التفسير الصحيح للصياغة اللغوية ،  
 ان تفاضينا عن هذا الجدل واقتصرنا على تأمل ملامح الاتصال فى عملية  
 الاختبار فسنواجه سؤالاً لا مهرب منه .. وهو متى تنتهى عملية اختبار  
 الفهم نهايتها الاكيدة ؟ من واقع الاتصال ليس من اليسير الاجابة على هذا  
 السؤال .. لان عمليات الاتصال فى الواقع محدودة الابد .. وغالبها  
 ما تنتهى لأسباب عملية لا بسبب الوصول الى وضوح تام .. أى لأسباب  
 لا تتعلق بعملية الاتصال ذاتها واذا ادخلنا الكتب العلمية والنصوص الفلسفية  
 فى حسابنا باعتبارها صياغات لغوية تهدف الى الاتصال .. فيمكن ازاء  
 التفسيرات التى لقيتها هذه المؤلفات منذ قرون وما زالت تلاقيها .. وازاء  
 التفسيرات المختلفة للتفسيرات ان نصوغ المبدأ التالى : « فى حالات الاتصال  
 اللغوى الصرف حيث يتوقف الفهم عند القارئ أو السامع على وسائل  
 الاتصال المعجمية والنحوية لا يمكن القطع من حيث المبدأ باكتمال الفهم بين  
 اطراف عملية الاتصال .. أى لا يمكن القطع بالوصول الى أقصى درجات  
 الفهم ونهى دائما عملية اختبار غاية الاتصال لأسباب خارجية » .

ربما تضمن هذا الفرض القائل بعدم الاعتماد من حيث المبدأ على دقة  
 الاتصال اللغوى شيئاً من القدرية ... على ان العرض السابق قد ابتعد  
 بنا فى الواقع كثيراً عن الفروض الأولية التى انطلقنا منها .. وليس لنا  
 ان نجزع من هذه القدرية التى هى فى الحقيقة وصف لجانب هام من عالم  
 الحياة الفعلية .. فنصور انظمة الاتصال الانسانى من حيث الاساس حقيقة  
 يمكن تقبلها .. لجميع انظمة الاتصال ومن بينها الاتصال اللغوى تتضمن  
 من الوسائل ما يكفل القطع بعد معقول من الفهم للصياغة اللغوية ( او لما  
 يصرح به المتكلم ) ثم فروعاً عديدة من فروع الحياة لا تحتاج لمثل هذا القطع  
 بمضمون عمليات الاتصال ... اذ تكفى صحة الافعال او قد يعوض النقص  
 فى الفهم الاتصالى عن طريق التعاطف والامل فى الوصول الى اتفاق  
 جماعى .

ولعله قد اتضح الآن ان الحديث عن اللغة كأداة لنقل المعلومات حديث  
 مجازى بالمقارنة بما يجرى فى الواقع عند الاتصال اللغوى ، وبالرغم من  
 ذلك فلهذا التعبير ما يبرره اذا تذكرنا ان من وظائف اللغة الهامة أن تستخدم  
 كوسيلة لنقل المعلومات وكطريقة لنشرها .. اما اذا اخذنا تعبير « نقل  
 المعلومات » كمفهوم بديهي بحيث تبدو الاخبار أو المعلومات هى سلعة عملية  
 التبادل الاعلامى ، فى هذه الحالة يبدو طبيعياً ان تذهب الى محاولة

الاستعانة بطرق العمل لنظرية المعلومات Theory of Information لتحليل عمليات الاتصال اللغوي . وبما ان نظرية المعلومات تدخل عادة في نطاق العلم المسمى بالسوبرناتيقا Kybernetik لذا نطرح السؤال عن اركان النظر الى انظمة الاتصال كأنظمة سوبرناتيقية ، ولابد أولا ان نتمهل قليلا قبل معالجة هذه الافكار .

لقد كانت نشأة نظرية المعلومات من مجال هندسة الاتصالات الكهربائية وترتبط هذه النظرية بنموذج اتصال مبسط للغاية ومحدد التركيب . ويشمل النموذج مرسلًا transmitter ومستقبلا receiver يرتبطان بواسطة قناة اتصال . . . ولدى المرسل معلومات للارسال يمكن تسميتها بالاشارات signals وكل ما نعرفه عن هذه الاشارات انها تتميز بعضها عن البعض كما انها محدودة العدد يرتبط بكل اشارة احتمال رياضي ، أى رقم بين الصفر والواحد الصحيح يحدد مدى احتمال ارسال الاشارة المذكورة في فترة ما من فترات الارسال . . ومن خصائص هذا النموذج المهمة دراية المستقبل بالاشارات الممكن ارسالها وباحتمالات الارسال ، وعادة لا تحمل القناة هذه الاشارات دون تشويش . . فالمستقبل يتلقى جانب الاشارات المرسل في القناة تشويشا غريبا تتوقف كثافتها على درجة التشويش . . وتبعاً لذلك فمن المشاكل الرئيسية لنظرية المعلومات ، . كيف يمكن للمرسل ان يرسل اشاراته بشكل شفيرة ( نبضات كودية ) بحيث يستطيع ان يقلل من التشويش المحتمل ( أى من التحويل الممكن ) الى اقصى حد ممكن ؟ ولمواجهة ذلك يعرف مقياس للمعلومات يمكن بواسطته قياس أو تقدير درجة التشويش . . ويعرف مقياس المعلومات - وربما كانت هذه اهم نقطة في الموضوع بواسطة احتمالات الارسال للاشارات فحسب - دون ان يعرف عنها اكثر من ذلك . . والمنطق هنا كالتالى :

كلما قل احتمال الارسال لاشارة من الاشارات قل توقع المستقبل انه سيستقبل هذه الاشارة . . فان ارسلت بالفعل اشارة ذات احتمال ارسال منخفض قلت درجة الشك أو عدم التأكد . . . . . ويعكس ذلك عند استقبال اشارة ذات احتمال ارسال مرتفع ، ويربط مفهوم المعلومات بدرجة الشك أو عدم التأكد . . بحيث تكون علاقة مقياس المعلومات علاقة عكسية بالنسبة لاحتمالات الاشارة وبذلك يصبح للاشارة قيمة معلومات كبيرة كلما قل احتمال الارسال في لحظة معينة .

وعادة عندما يستخدم تعبير « نظرية المعلومات » تنسى بسهولة هذه الخلفية للنظرية ، وغالبا ما تتضح سريعا صعوبات التوفيق بين هذه

النظرية وبين العلاقات المعقدة للاتصال اللغوي .. فحتى تستخدم القيمة القياسية الاحصائية لنظرية المعلومات لابد ان نعين عدد الاشارات المختلفة التى فى حوزة المتكلم ، ولابد ان نحسب احتمال الارسال لكل من هذه الاشارات .. وهذا ايضا ضرورى بالنسبة للمستقبل ولا يكفى الرجوع الى الكلمات المدونة بالمعجم .. اذ ان عدد الكلمات هناك لا يمكن ان يتطابق مع عدد الاشارات المرسله .. هذا ان غرضنا الطرف عن مشكلة المقارنة بين معاني الكلمات ومضمون الاشارات ... وقد اجريت بالفعل مثل هذه الدراسات الاحصائية التى تقارن نسبة ورود الكلمات فى النصوص المختلفة مع استخدام الجهاز الرياضى لنظرية المعلومات ، الا ان هذه الدراسات تختص فى الواقع بالوجهة الهندسية للاشارات الصوتية فحسب .. وهنا تكتشف نقصا آخر لنموذج نظرية المعلومات ، فانظرية تدخل فى حسابها موضوعات اتصال ذات تعديد بسيط للغاية وكل ما يفترض فيها انه يمكن التمييز بينها .. فى حين ان الاتصال الانسانى يستخدم اشارات او رموزا لها طابع معقد مزيج ( كاشارة Signal ومعنى meaning ) وبواسطتها يصل المستقبل عن طريق اجتهاده الخاص الى معنى الكلام ، يضاف الى ذلك ان اهتمام نظرية المعلومات ينصب على قياس قيم معلومات محدودة التعريف ... فى حين انها تتغاضى كلية عن شرح عمليات الاتصال ، يكفى هذا العرض لبيان اننا لا نتوقع ان تقدم لنا نظرية المعلومات رغم الاسم الجذاب الذى تحمله - اكثر من مساهمة جانبية فى فهم نصيغ الاتصال الانسانى ..

يبقى ان نستوضح مدى المساعدة التى يمكن ان تقدمها السوبرناطيقا ويمكن ان نعرف السوبرناطيقا بانها فرع العلوم الذى يختص بالبحث فى الانظمة الديناميكية التى من عناصرها الرئيسية عمليات التحكم الذاتى ، ونقابل هذه الانظمة فى فروع مختلفة .. فى الهندسة الكهربائية وفى الاقتصاد القومى وفى العمليات الفسيولوجية للجسم الانسانى وفى عمليات التعامل الانسانى ... من هذه الاشكال المختلفة لانظمة التحكم الذاتى يمكن ان نستخرج نظاما نموذجيا نستطيع بحث خواصه وقياسها من الاسئلة المهمة هنا مثلا ، كيف تتغير طبيعة هذا النظام بارتباطه بالعناصر المختلفة التى يتكون منها ؟ وما هى الاشارات المحتملة التى يمكن ان تصدر عنه فى هذه الاحوال ؟ وتحت اى ظروف يتميز هذا النظام بالثبات وتحت اى ظروف يصيبه الاضطراب وينتهى به الامر الى الانهيار ؟

بهذا المعنى يمكن بالفعل النظر الى المشتركين فى عملية الاتصال كنظام سوبرناطيقى .. فنجد ان عملية اختبار غاية الاتصال التى شرحناها



من قبل بوضوح معالم عمليات التحكم الذاتى فى كل العمليات الجماعية المشتركة يؤثر المشتركين بعضهم فى البعض .. ويوجه بعضهم بعضا وتستهدف المجموعة .. أى النظام للوصول عن طريق التحكم الذاتى الى حال يمكن اعتباره مقصد التعاون بينهم . وفى حالة الاتصال اللغوى فهذا المقصد هو التفاهم المتبادل ، على اننا نتساءل عما اذا كانت السوبرناطيقا تستطيع ان تساهم فى تحليل عمليات الاتصال الانسانى مساهمة لا تقف عند حد اطلاق مسمى جديد على الافراد المشتركين فى عملية الاتصال .. فى الواقع ان الانطباع حتى الآن انه لم يحدث اكثر من ذلك ، ولا تفسير الدلائل الى احتمال تحقيق شيء اكثر من ذلك .. فهناك عقبة رئيسية تقف دون تداق نماذج السوبرناطيقا على اشكال الاتصال الانسانى ، وتكمن فى ان هذه النماذج تقوم عادة على مبدأ الكم أى على الحساب والقياس وتعداد الاحوال الطارئة ، ولا يمكن قصر عمليات التبادل الانسانى على الحركات الكمية الا اذا استبعدنا بعض الخصائص الرئيسية لعملية الاتصال .. ويمكن بطبيعة الحال ان نقتصر على الشروط الفسيولوجية والفيزيائية للاتصال اللغوى .. ويمكن ايضا ان نستخدم فى هذا المجال نتائج وطرق ابحاث السوبرناطيقا بنجاح .. على ان مكونات عمليات الاتصال الانسانى الرئيسية هى المقاصد والمضامين الفكرية والعمليات العقلية او انعلمية ، فمن غير المحتمل ان يؤدى تطبيق السوبرناطيقا هنا الى النتائج التى نسمى اليها والتى نحتاج اليها احتياجا ملحا لفهم العمليات الاجتماعية الواقعية .. والاخرى هو القيام بابحاث مستقلة لعمليات الاتصال الانسانى .

ولقد تطورت الدراسات اللغوية تطورا سريعا خلال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة وقد حدث هذا التطور فى الأهم بعيدا عن الاضواء ومع ان قضايا اللغة تلقى منا دائما اهتماما الا ان علماء اللغة لم يفلحوا فى وضع مشاكلهم وتفسيراتهم لتلك المشاكل امام الراى العام ... بل غالبا ما تركت معالجة المسائل اللغوية فى الصحف والمجلات الى رجال الاعلام والى الهواة غير المتخصصين .

ان اسباب ذلك لا تكمن فى الصعوبات التى يواجهها مثلا من يعالج قضايا لغوية نظرية من علماء اللغة فى تقريب مادته الى القارئ فحسب .. او الى عدم اهتمام علماء اللغة بالتعريف بقضايا اللغة ... وانما ايضا فى اهتمام الراى العام بقضايا بعينها دون غيرها .. وتلخيصه لطرق محددة فى معالجة تلك القضايا ، وقد أدت معالجة هذه القضايا على هذا



النحو بدورها الى تعضيد نظرة الرأي العام اليها بهذه الصورة . فالموقف الاعلامي في الصحف ، وفي دور الاذاعة لا يتيح لعالم اللغة المتخصص فرصة التعبير عن افكاره بسهولة . . . فضلا عن تشككه عالم اللغة في امكانية نقل افكاره الى الرأي العام . . . على حد تعبير العالم الالماني هنز بورجن هرينجر الذي يقول :

ان هناك ظاهرتين تلفتان النظر في التطور الحديث لعلم اللغة - الظاهرة الاولى . . . تزايد الاساليب النظرية والمعايير ، للابحاث اللغوية مما يجعلها عسيرة على غير المتخصص وما يلقى على علماء اللغة عبء تفسير هذه الاساليب الى الجمهور العام . والظاهرة الثانية : اتجاه الدراسات اللغوية الى الارتباط بالعلوم الاجتماعية والتحلل من ارتباطها بلغة اللغة والدراسات الادبية . . . والافكار التي نعرضها هنا تقتصر على هذا الجانب .

فيما يتعلق بوظائف اللغة فقد سلطت الاضواء حتى الآن على نقطة واحدة ، الا وهي الصلة بين اللغة والفكر ، او بمعنى ابقى بين الكلام والفكر . . . وهناك وجهتان متطرفتان في هذا الباب . . . الاولى تذهب الى ان الفكر محدود بحدود اللغة ويتوقف عليها ، والثانية تنفي هذه التبعية . . . النظرية الاولى تقود الى مقولات اخرى منها مثلا . . . نحن سجناء لفتنا ولا يمكننا التفكير خارج نطاقها . . . وليس في وسع هذه النظرية على هذا النحو ان تشرح كيف نستطيع تغيير اللغة وكيف نستطيع اكتشاف الجديد . والنظرية الثانية تقود ايضا الى مقولات منها ان اللغة لا تتناسب مع ما يدور بنا من افكار ولا تعبر عن افكارنا التعبير الصادق . . . بل انها في النهاية موطن الداء . وغالبا ما تطالح النظرية اجمالية وتخيلية للغاية . واخيرا . . . منذ عهد قريب بدىء باجراء تجارب سيكولوجية في هذا الباب .

ان صعوبة ايجاد المبررات لاحدى النظريتين مرجعها في اعتقاد « بنجر » الى ان افكار المتكلم لا يمكن الالمام بها او تدوينها دون الاعتماد على اللغة وحتى او افترضنا ان رسم تيارات المخ قد يعطينا فكرة من الافكار . . . فان تفسير تلك الرسوم هو دائما مسألة لغوية وفي النهاية فنحن نقارن بين لغويات .

هذه الصعوبات قد تدفعنا الى عدم الاهتمام في المقام الاول بالصلة بين اللغة والفكر . . . الامر الذي لقي اهتماما كبيرا حتى الآن ، فلندرس

بعض الحالات العادية للاتصال اللغوي أو للاتصال البشري عامة ... وربما  
تعرفنا على عناصر أخرى هامة تلعب دورا .

ان الاتصال اللغوي يتضمن عملا .. لان الاتصال هو نوع من التعامل  
الانسانى ، وحيث ان كل اتصال يتطلب طرفين على الاقل ، فهو اذن نوع  
من العمل المشترك كذى نسميه ، التفاعل المتبادل ، ونود ان نفرق بين  
جانبين من هذا التعامل : اولا الجانب اللغوي أو اللفظى .. الذى يعنى  
نطق جملة ما مثلا حين نقول على المائدة « اعطنى الملح من فضلك » ..  
وثانيا تبعات هذا الفعل اللغوي ، مثلا ان يعطيك أحد الملح ، نلاحظ فى  
الحال ان كلا النوعين من الفعل متصلان .. وان هذه الصلة ليست صلة  
سببية ، ان تحقيق طلبك ليس نتيجة سببية لذلك الطلب .. كما نثبتين  
بسهولة ان اوقفنا مثلا شخصا فى الطريق وطلبنا منه « مائة جنيه » فمن  
غير المحتمل ان يحقق هذا الطلب ، ومهما يكن من امر لتحقيق الطلب يتطلب  
لفهم الطلب - أى يفهم الطرف الاخر ما يرمى اليه المتكلم ، فلو افترضنا  
ان ببغاء نطق تلك الجملة لما فكرنا اطلاقا فى تحقيق الطلب .. لاننا نفترض  
ان الببغاء قد قام باتمام الفعل اللغوي لفظيا .. ولكنه لا يعرف اللفظة  
العربية مثلا ، من هذا يتضح ان من يتكلم لغة من اللغات غالبا ما يهدف  
عن طريق الفعل اللفظى الى ان يحقق شريك الاتصال فعلا ما - او على الاقل  
ان يفهم شريك الاتصال شيئا ما . ذكرنا من قبل ان قيام الشريك بتحقيق  
فعل ما ليس نتيجة سببية للاتصال ومع ذلك فانه يرتبط بالجملة التى قيلت .  
كيف يمكن تفسير ذلك ؟ فلنتصور طفلا قد تعلم « عندما يطلب منك شخص  
ان تعطيه الملح فلا بد ان تعطيه اياه » وقد ننهى الجملة بلفظ « والا » ، أى  
بالتهديد بالعقاب . مثل هذا الطفل سيحقق غالبا الطلب اكثر من طفل آخر  
لم يتعلم تلك الجملة بهذه الصيغة .. المسألة تتوقف اذن على علاقة الجمل  
المختلفة بعضها ببعض ، ويمكن ايضا ذلك بواسطة المثال الثانى ..  
فلنتصور مجتمعا يخالف مجتمعا تعتبر فيه الجملة التالية صادقة « اذا  
طالب أحد منك نقودا ، فهو فى ضيق ، وعليك ان تجيبه ان استطعت . فى مثل  
ذلك المجتمع سيلبى الكثيرون هذا السؤال ، اكثر مما يلبيه الناس فى  
مجتمعنا .. ولكن هل لهذا حقا علاقة بالجمل او بمعناها ؟ قد يوجه الى  
هذا السؤال ، وجوابى انى لا اعرف تفسيراً آخر افضل لدور الجملة فى عملية  
الاتصال .. فالدور الذى يمكن ان تلعبه الجملة فى عملية الاتصال هو  
معنى هذه الجملة .

ما يستحق الملاحظة فى هذا الوصف هو ان معنى جملة ما ليس شيئا  
شخصيا يتعلق بالتكلم أو بالاستمع ، وانما هو شيء مشترك تحدده اللغة

التي تتبعها الجملة .. فالمعنى بمثابة نموذج أو قالب حاضر تمدنا به اللغة ويمدنا به بالتالي مجتمع هذه اللغة .

فمن يتحدث لغة ما يتعلم باكتساب هذه اللغة نماذج الافعال ، وتلك النماذج تحدد له الطرق التي يمكن ان يعمل ويمارس افعاله في نطاقها دون ان يخرج عما هو متبع .. ونحن نسمى القدرة التي يكتسبها المتكلم .. حين يستخدم جزءا من لغة ما بكفائته اللغوية .. ولا تقتصر الكفاءة اللغوية على معرفة نماذج الافعال اللفظية ، وانما تتضمن ايضا بدرجة ما كفاءته الاجتماعية التي تتيح له التعامل ، وفقا لنماذج بعينها بهذا المعنى ، تشكل الكفاءة اللغوية عنصرا هاما من عناصر الحياة الاجتماعية ، ومن خصائص النماذج السلوكية التي اشرنا اليها انها في التطبيق تستطيع ان تغير من مجرى الاشياء وان هذه النماذج نفسها قابلة للتغيير .. بهذا نصل الى موضوعنا وهو : امكانيات التدليس أو التضليل كما يحدث في الدعاية التي نفرق بينها وبين الاعلام . ان كلمة تدليس Manipulation مثل لما تصفه ، فهذه الكلمة محملة بالكثير من المعاني بحيث يتعذر استخدامها دون اثاره الكثير من المشاعر . ما هو التدليس ؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال .. كما هو الحال في جميع الالفاظ المستخدمة التي تلوكها الالسن .. ومن الافضل في بداية البحث ان تأخذ من اللفظ معناه الأعم .. ويمكن تعريف التدليس بصفة مبدئية على انه تغيير سلوك انسان أو جماعات من الناس بواسطة غيرهم من الافراد أو المجموعات . وربما كان من الأفضل تقييد هذا التعريف العام بعض الشيء .. كان نقول ان التدليس يقع في الحالات التي يحدث فيها التغيير دون وعي من هذه الجماعات .. وفي الحالات التي يكون فيها هذا التغيير مضرا بمصالح هذه الجماعات . على ان هذا المقياس الأخير صعب التحديد .

هناك العديد من الأمثلة المباشرة الواضحة التي تستخدم فيها اللغة كوسيلة للتدليس . ولنذكر التحليل النفسي على سبيل المثال .. فالاساس الذي يقوم عليه لا يتعدى التعامل اللغوي بين المحلل النفسي والمحلل (أى المريض) ومن تبعات هذا الاتصال اللغوي بين الطرفين . وهو غالبا ما يكون اتصالا طويلا شاقا ، تحول سلوك المحلل ، دون ان يعي نفسه طبيعة هذا التحول . ونفترض عادة ان هذا التحول أو التغيير في صالح المريض ، ولكن من اليسير ان نشك في ذلك ، ان ادركنا ان التحليل النفسي يأخذ في الاعتبار معالجة اعراض المرض .. واسبابه الظاهرية دون ان يتناول الاسباب الاجتماعية التي نتجت عنها متاعب المريض .. وأبعد من

ذلك فمن الممكن ممارسة التحليل النفسي كوسيلة للتكيف مع كل شكل من أشكال المجتمع دون تمييز .

اما في التدليس اللغوي فنستطيع التمييز بين شكليين أو لونين مختلفين شديدي الاختلاف ، وان كانا في النهاية مترابطين . في الحالة الأولى يعنى التدليس ايهام شخص ما بصحة مقولات أو اقوال محددة ، ويؤدي الاعتقاد بصحة هذه المقولات الى اتخاذ مواقف معينة من الاشياء والاشخاص واساليب السلوك الخ . . وينعكس هذا الموقف بدوره على افعال وتصرفات المفرر بهم ( أو المدلسين ) كما اثبتت التجارب بوضوح شديد .

اما في الحالة الثانية فيتضمن التدليس تغيير نماذج السلوك لفئات محددة ، أى تغيير قدرات الافراد والجماعات ، ويرتبط هذا الشكل من اشكال التدليس بالشكل الأول ، من حيث ان تغيير القدرات والكفاءات لا يتم الا عن طريق المقولات والافعال . . من الامثلة البسيطة لذلك استخدام بعض الالفاظ كلفظ « شيوعى » مثلا في اطار التعبيرات السلبية باستمرار .

ومن الواضح ان تدليس القدرات والمناهى ابعد خطرا من تدليس الأفعال ، لان تدليس القدرات والمناهى يعد من الاطر المتاحة أو الممكنة للأفراد والجماعات ، بحيث لا يجول بخاطرهم القيام بأفعال بعينها .

وربما كان من الأفضل شرح هذين الشكليين من اشكال التدليس عن طريق التمثيل . . من المهم في حالة التأثير على الأفعال بواسطة المقولات ان يعتقد الفرد بصحة مقولات أو ادعاءات بعينها . . وهذا على سبيل المثال - هدف تسعى الاعلانات التجارية الى تحقيقه بوسائل متعددة . أهم تلك الوسائل وأكثرها شيوعا - وبسطها في نفس الوقت - هو تكرار الجمل الخبرية : في مدن المانية عديدة ثم اختبار مسحوق الغسيل « آل » تحت انظار الراى العام . في كل مكان جاء البرهان القاطع « آل » أقوى من كل مواد غسيل الماضى . . « آل » ينتصر على القذارة العنيدة والبقع الصعبة . . « آل » يزيل البقع وينظف تماما ، ولا تؤثر على النسيج والألوان . « آل » يغسل بقوة حيوية ، وهو أقوى وأقوى من كل مواد الغسيل السابقة . آل من انتاج سنليت . الى جانب التكرار استعملت هنا وسيلة من الوسائل الشائعة التي تستخدم لاثبات صحة جملة ما - ألا وهي وضع « الادعاء » في اطار من الجمل الصحيحة أو التي يعتقد بالفعل في صحتها .



وتسمى هذه الوسيلة « التدليل » . وتستخدم هذه الطريقة بوفرة في  
تصويع الاعلانات التجارية ونجدها في مثالنا السابق وان كانت صورة  
خاصة للغاية ، فالادلة او الحجج التي تساق لا تصلح اطلاقا للبرهنة على  
صحة الادعاء ، وانما يحاول النص ايها المستمع صحة الجملة القائلة ..  
« ال اقوى من كل مواد فسيل الماضى » .

والمفروض على هذا الاساس ان يغير المستمع سلوكه ويختار عند  
الشراء مسحوق « ال » . والجملة نفسها مصاغة بطريقة توحي بانها تضم  
البرهان ، اذ تشير الى مواد الفسيل في الماضى ، ووفقا للايمان الشائع  
بالتطور والتقدم فلا بد ان يكون مسحوق فسيل « ال » الحديث افضل من  
مواد الفسيل السابقة عليه ، كذلك يذكر الاعلان برهانا اخر وهو الاختبارات  
العلمية ، ولكن هذه الحجة الثانية لا تزيد عن ذكر الجملة الخيرية : « في  
عديد من المدن الالمانية ثم اختبار مسحوق الفسيل ال امام الراى العام في  
كل مكان » . البرهان القاطع ، ولكن صحة هذه الجملة ذاتها تظل دون اثبات .

ينطبق نفس الشيء على بقية الجمل التي سبقت لاثبات جودة مسحوق  
الفسيل « ال » وعلى نفس المنوال يختم الاعلان بعبارة « ال من انتاج  
سنليت » وهو امر لا يشك فيه ولكنه لا يعنى دون شك جودة مسحوق « ال »  
الا اذا افترضنا ان كل ما يصدر عن سنليت هو جديد ، وهو ما يسمى النص  
الاعلاني ايضا الى البرهنة عليه ويمكن ان نطلق على هذه الطريقة طريقة  
« التدليل » المعاد « والادعاء بدون تدليل » .

### اللغة والبحث الاعلامي :

ولذلك في دراسة لغة الاعلام لابد من التفريق بينها وبين لغة الدعاية  
وهو تفريق وظيفي ، ذلك ان اللغة تحتل موقعا رئيسيا في عملية الاتصال  
الاعلامي التي تسرى في كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث  
استخدام اللغة والرموز على اعتبار ان الرسالة الاعلامية من اهم عناصر  
عملية الاتصال الاعلامي بابعادها النفسية والاجتماعية والثقافية .

ولذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال في « من ، يقول  
ماذا - لن وكيفو باى تأثير » . فان اهم عناصر الاتصال يتمثل في  
« اللغة » او « الرسالة الاعلامية » ولما كانت الرسالة تمثل الوسائل التي  
التي يتصل من خلالها فرد باخر او جهة باخرى فان بحوث الاتصال تعنى  
بوصف هذه الرسالة بدقة وان تفسر ببصيرة نافذة .

ولقد انفق العلماء جهودا مضعية ووقتا طويلا فى بحوث الرسالة الاعلامية من حيث كتابتها وتحريرها وفنون صياغتها حتى انه يخيّل للمرء ان زاوية الرسالة هى الزاوية الوحيدة التى شغلت الباحثين دون الزوايا الأخرى . . غير ان المواقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم - فهى مواقف سلوكية تقدم فرصا مضطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم واقتراض الفروض بشكل عام للسيطرة على البيئة من خلال الرموز (٢) .

والمنهج الاعلامى فى اللغة انما هو اسلوب علمى يستخدم لوصف عملية الاتصال الاعلامى وصفا موضوعيا منظما على اساس كمى للمضمون الظاهر للاتصال . أى لمجموعة المعانى التى تظهر من خلال الرموز المستخدمة فى عملية الاتصال . . فهو اذن منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة فى عملية الاتصال الاعلامى بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لمحللين مختلفين ان يطبقوها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج .

اما التنظيم الذى يقتضيه المنهج الاعلامى - فيعنى تحليل الرسالة الاعلامية على ضوء حصر كل الفئات المناسبة لموضوع التحليل - كما يعنى ان يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية او فرض لغوى يمكن من خلال التحقيق منه ان يكون لنتائج تحليل اللغة الاعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد .

ويعنى الاساس الكمى للمنهج الاعلامى انه من اكثر الخصائص تميزا للمنهج الاعلامى فى اللغة عن المناهج اللغوية الأخرى ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عددية لفئات التحليل - اذ يتخذ التقرير احيانا شكل كلمات كمية .

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع - انما تقع فى كرنها من جهة ضربا من السلوك البيولوجى بابق المعانى ناشئا تلقائيا من الناشئ العضوية الأولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه - من جهة أخرى - تضطر الفرد الواحد من افراد الناس الى ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور وان يجرى عليها البحث من

---

(٢) د . امام : الاعلام والاتصال بالجواهر ص ١٣٥ .

زاوية لا تقتصر على فريته الذاتية وحدها بل تكون مشتركة بينه وبينهم باعتبارهم شركاء أو أطرافا متعاقدين أن شئت فهي مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتى هو الوجه والهدف لنشر اللغة ولكن الذى لا شك فيه أيضا - أنها تهم أول ما تهم شخصا آخر - المستمع ، المستقبل ، أو اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم ، المرسل ، الحديث فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (٢) .

وعلى ذلك فإن لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والاثارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هي وسائل للتفاهم . أى وسائل اعلامية .

### اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما فى اللغة من معلومات وتقويم دقتها على أساس كمى بالأرقام ؟ وكيف نفرق بين أصوات أو حروف تعطى قدرا كبيرا من المعلومات وأخرى تعطى نذرا يسيرا ؟ .

ذلك المنهج الاعلامى فى اللغة هو موضوع نظرية الاعلام وهي نظرية حديثة تركز على اسس رياضية راسخة وقد وضع أساس هذه النظرية العالم الأمريكى كلود شانون - ثم ما لبث أن تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين فى مختلف ميادين الفكر والبحث العلمى - علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلاسفة وعلماء النفس وتقوم هذه النظرية على أساس أن اللغة هي " شفرة " أى نسق اصطلاحى من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامى .

وحجر الزاوية الاعلامى الرياضى هو مفهوم عدم التحدد أى الغموض - فإن أى مجموعة من الحروف نسطرها أو أى مجموعة من الوحدات الصوتية " الفونيمات " نطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديد ما . . فقد تكون ذات معنى وهنا يزول عنها عدم التحدد وقد تظل بلا معنى فيكتنفها الغموض أو عدم التحديد ، ومعنى ذلك أنه للكشف عما يكون هناك من معنى أو

---

(٢) مجلة اللسان العربى - ٣٤ ص ٥٥ - الرباط ١٣٧٥ هـ .

لقياس حجم المعلومات في جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولى الحروف الابجدية ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد في اللغة - والحرفين والثلاث ٠٠ الخ واحتمال تجاوز حرفين معا والثلاثة حروف الخ ٠٠ ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى لحروف الابجدية هي الذرات او اللبئات الاولى التي يتألف منها بناء اللغة في شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل ولكن الملاحظ - كما يقول كوندراتوف - ان معظم الحروف المفردة في اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوي من الحروف يحمل معنى وهذا هو ما يسمى بخاصية الفضل في اللغة أي الأفراد أو الزيادة في الاقتصاد .

فاللغة العادية ليست كلفة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى فحرف ( ١ ) في الكيمياء يعنى الاكسجين بينما لا يعنى شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحي فيبدو كأنه فضلة أو زيادة لا يبررها الاقتصاد ، وكذلك الحرف ( ب ) قد تعنى ( ب ) و ( أم ) تعنى ( أم ) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على أن هذه الزيادة في اللغة والتي لا يبررها الاقتصاد تقتضيها الضرورة - فهي « حد الامان » وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل في كل لغات الانسان العادية تتراوح ما بين ٧٠ و ٨٠ وتزيد هذه النسبة في لغة الفنون المتخصصة وذلك لان حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصصة ايسر من القراءة الشاملة - او انها افقر منها لغة وتقل هذه النسبة في لغة الادب - ذلك لان الادب فيه تلوين وتصوير وثناء وخيال .

ومن ذلك يبين ان احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة في الكتابة او الكلام ليست احتمالات متساوية - كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة ، ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ثم دراسة احتمالات تجاوز كل حرفين على حدة ثم دراسة احتمالات تجاوز كل حرفين على حدة ، وكذا كل ثلاثة حروف وأربع ٠٠٠ الخ .

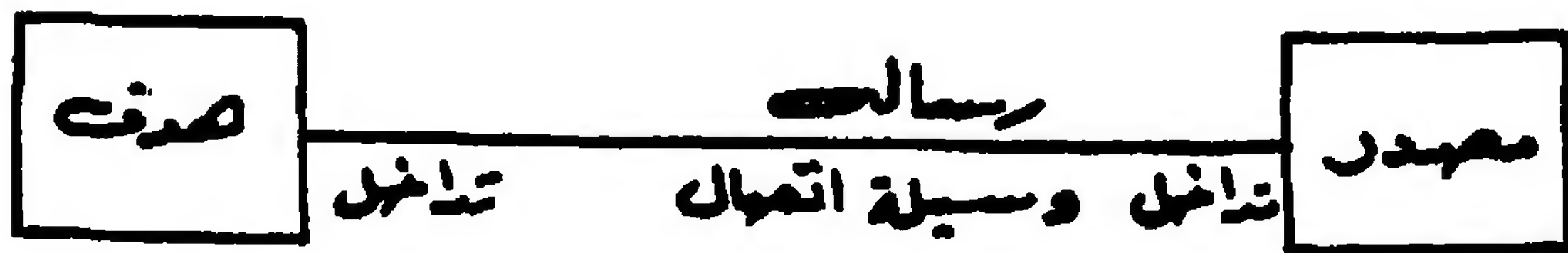
واحتتمالات الفواصل بين الكلمات والجمال واحتمالات تجاوز الحروف المتحركة والساكنة وقواعد النحو والبناء اللغوي ٠٠ ولكن اللغة ليست فقط حروفا متجاورة وكلمات بينها فواصل بل هي اشارات لها ما وراءها أي لها مدلول أو معنى - فان بناء لغويا فارها من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفة الاصلية للغة وهي التفاهم أو نقل المعلومات أي واقعتها - ويختلف معيار



التحقق من اللغة : هل هي ذات معنى أم لا ؟ باختلاف ميدان استخدامها -  
فالتجربة هي معيار الحكم في العلوم الطبيعية والفهم المشترك معيار الحكم  
في اللغة العامة بين الناس ، كما أنه معيار الحكم في لغة الاعلام .

وتأسيسا على هذا الفهم تعنى نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات  
التي يمكن لمخ الانسان ان يستقبلها ويقتضى ذلك دراسة معدل الوارد من  
المعلومات الى المخ في وحدة زمنية معينة ، وهو ما يسمى بسعة الجهاز  
العصبي أو طاقته ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من أعضاء  
الاستقبال الحسى وكفاءتها في الاستجابة وأوجه الاختلاف والتمايز بين كل  
منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبي في الاستقبال والاختزان  
للمعلومات ذات المعنى سواء في مجال الحديث الشفاهي أو القراءة أو  
السرعة اللازمة وتختلف هذه النسب أيضا على أساس الخصائص الفردية  
للإنسان وحالته العضوية والنفسية ودرجة التدريب .. الخ .

وترتكز نظرية الاعلام عند « شانون » على أن عقل المصور هو المنبع  
وإن المرسل يستخدم اللغة والآثار لنقل الرسالة فيتلقاها المستقبل -  
ويدبرها بعقله وهو المصوب أو الهدف - يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه  
النظرية لعنصر التداخل والتشويش الذي يعوق عملية الاتصال الاعلامي  
وقد ينشأ التداخل من المرسل أو الرسالة أو الوسيلة أو المستقبل - فتلقد  
عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر الى الهدف ، ويمكن  
أيضاح ذلك بقولنا أن حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير - تعتبر تداخلا  
في الاتصال الصحفي ، كما أن سوء الاضاءة وعدم ارتياح القارئ لأسباب  
صحية أو نفسية قد تعرق الفهم أيضا ، وتعتبر تداخلا ، ومن الأمثلة على ذلك  
أيضا - دق جرس الهاتف اثناء الاستماع الاذاعي أو حدوث ضجة مفاجئة  
وكأنها تمثل فكرة التشويش أو التداخل ، ولا بد للاعلامي الناجح أن يدخل هذه  
الامور جميعها في اعتباره - وقد يكون العيب في ارسال التلفزيون أو الاذاعة  
نفسه - أو عيب أو مرض يعترض المستقبل ويمكن تصوير التداخل هكذا .



وقد يعالج التداخل بالاعادة أو التكرار حتى تتاح الفرصة للمستقبل  
لتلقى الإشارة ، غير أن المرسل يراعى تجنب التكرار الممل البطيء كما يتجنب

الاسراع الشديد، ويعتبر مفهوم رجوع الصدى من المفاهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية أيضا وتعتبر هذه الارجاع اختبارا لسلامة الدائرة أو ما يصيبها من اعطال - وبنفس الطريقة نجد ان رجوع الصدى في الاتصال الانساني - يعطى للمرسل فكرة عن استجابة المستقبل للرسالة أو رفضه لها .

ومن جهة أخرى يذهب علم « السيميوطيقا » أو نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية أى متواضع عليها بين الناس وكونها تستلزم وجود عنصرى المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعي والادراك المقصود ، لان وظيفة الاشارة اعلامية أى نقل المعلومات - اما العلاقة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة .

ويعايز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة أنماط من العلاقات ، علامات دالة علامات التطابق أو العلامات المصورة - وتتسم بأن المعنى أو المحتوى والصورة الخارجية أو التعبير متطابقان ومتماثلان - والنمط الثالث علامات الاتصال أو الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والدقيق لهذه الكلمة - واكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هي من هذا النمط على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا في اطار هذا النسق دون غيره ، والاتشارات أو اللغة في عمومها سواء كانت الفاظا أم حركات لها شكل ومعنى أو وعاء ومحتوى - وقد يتفق الشكل ويختلف المعنى وجوهر اللغة في معناها أساسا .

ويقرر علماء « السيميوطيقا » ان لغة الاستعمال المنطوقة هي نسق من الاشارات نشأ في المجتمع وللمجتمع الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم - ف لغة الكلام الشائعة ليست كما تبدو في ظاهرها لغة بسيطة انها تبدو لنا كذلك فقط لاننا تمثلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكمنا في قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعى وادراك طبيعية العملية - وان كان هذا هو ما يتوفر لنا بعد ذلك في سنى الدراسة بالمدرسة حين نتعلم القراءة والكتابة .

ان لغة الانسان نسق اشارى بالغ التعقيد - قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعي المطلق وهو ما لا يتأتى من أى نسق اشارى لغيرى الانسان - ومن ثم فهي لغة أكثر شراه وغنى

واكثر اقتصادا ويرى علماء السيميوطيقا انها اصبحت كذلك لانها لغة  
ارتقائية .

ونخلص من ذلك - الى ان اللغة تتميز على غيرها من الرموز والنظم  
الاشارية بانها في متناول الجميع وهذا يميزها عن العلم والفن أو الادب  
اللذين يتطلبان تدبيرا خاصا - فالمعالم رموزه وصيغة وارقامه في علوم  
الطبيعة والرياضة والكيمياء والفلك والمنطق وغيرها ولا يمكن فهم الرياضة  
الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريج خاص .

اما اللغة العملية - اللغة اليومية - اللغة الاجتماعية لغة الفن الاعلامي  
فتمتاز بالشمول كما انها لغة طبيعية نتعلمها منذ الطفولة في حين ان لغة  
العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التي لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات  
من المران والتدريب (٤) .

### اللغة الاعلامية :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي : اولها المستوى التقني  
الفني والجمالي ويستعمل في الادب والفن - والثاني هو المستوى العلمي  
النظري التجريدي ويستعمل في العلوم - والثالث هو المستوى العلمي  
الاجتماعي العادي وهو الذي يستخدم الصحافة والاعلام بوجه عام - وهذه  
المستويات الثلاثة كائنه في كل مجتمع انساني والفرق بين المجتمع المتكامل  
السليم والمجتمع المنحل المريض هو تقارب المستويات اللغوية في الاول -  
وتباعدها في الاخر - فتقارب مستويات التعبير اللغوي دليل على تجانس  
المجتمع - واوازن طبقاته - وحيوية ثقافته - ومن ثم الى تكامله وسلامته  
العقلية فمن الثابت ان المصور التي يسود فيها نوع من التآليف بين  
المستويات العلمية والادبية والعلمية وهي غالبا ازهى المصور وارقاها -  
اما اذا كان كل مستوى لغوي بعيدا كل البعد عن الاخر فهو دليل على  
لانفصام العقلي في المجتمع وهذا يؤدي الى التدهور والانحطاط والشيوخة  
الانحلال .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار  
النمو والقدرة على الانتقال والاكثر من هذا كله فانها هي ذلك الجزء من

الثقافة أو الحضارة الذي يساعد أكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين - سواء الخبرات الماضية أو الحالية أي أنها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى أهم عنصر فى الحضارة الإنسانية (٥) .

وتعتمد اللغة فى صحتها وقوتها على المستوى العام للغة القائم على التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية لان الحديث اليومى حين يحسنه افراد المجتمع ينشط اللغة ويعيد لها الشباب - فليس الكلام الانسانى من خلق العلماء أو اللغويين بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (٦) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم فى مدرسة - وممن لا يكدون يحسون كتابه أو قراءة .

حقا ان العلماء والادباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تظهر وراء الجمال الرائع فى النصوص الادبية - ولكننا نلاحظ ان اندر النويرات واروعها هى تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية أو تعهد . . . على ان جذور اللغة لا تعمق الا فى القرية العامة التى منها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها - هذا اذا قدر للغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى - فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الادب وتصبح أشبه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها واشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى الجامعات اللغوية باوروبا - فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبى - وقد يفرض النصوص التى يجب ان تعلم فى المدارس - ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائع فى الاسواق وعلى الخطاب العادى فى البيوت وبين افراد الأسرة (٧) .

وقد حدث هذا لاوروبا فى العصور الوسطى عندما كانت اللغة اللاتينية مستاثرة بالدراسات الادبية وبينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت فى عصور مظلمة وباتت تتردد فى الجهل والتعصب والتنافر والتناذب وفى الوقت نفسه - سادت فى

---

(٥) د. احمد ابو زيد - مجلة عالم الفكر الكويت - ج ١ م ٢ - ١٩٧١ ص ١٩ .

(٦) اللغة بين القومية والعالمية ص ٣٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٢ .



العالم الاسلامى ادا ب رفيعه - وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والمحكومين - مستعملة فى الاداب والعلوم وفى الحياة العملية ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شائعة مفرجة كما كانت فى أوروبا بين اللاتينية والانجليزية او الألمانية مثلا .

وقد كانت اللغة العربية فى اتس ايامها واحلك عصورها فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر - تعاني من الانقسام العقلى فى المجتمع حيث سادت لغة ادبيه منمقة متكلفة كتقليد سخيى للطريقة الفاضلية فى الكتابه - عقيمة مصطنعة لم يالفها الشعب - اما اساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامع ان يقلد الكاتب اسلوب الحريرى فى مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المترادفة وليس على من يريد ان يكتب فى موضوع الا ان يأخذ ينصبتها .

ومن جهة اخرى اختلفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة بحيث لم يعد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية واصبح مرضا من امراضها الوافدة المنتشرة وغلب على الناس استعمال الالفاظ فى معانيها الصامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى هرلت بها العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها واصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من ان يعيشوا فى الحياة ومعانيها . (٨)

وصفوة القول ان الخضوع السياسى والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الادب كان لها جميعا اثرها فى اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة فى تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هى اغراض سمية مصطنعة متراكمة - يصبح المجتمع المريض والحضارة المنحلة - وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى أوروبا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل الصادفة ان يكون ظهور اول صحفى مصرى وهو رفاعة

---

(٨) محمد المبارك ( خصائص العربية ) ص ٦ .

الطهطاوى فى عصر محمد على مهمتها بنهضة علمية والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (٩) فقد كانت اللغة الموروثة التى كانت تؤدى أغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جهود وضيق فى الأفق - وحملت الحياة الحديثة فى أوروبا الى العرب آلات جديدة وأفكارا جديدة ومشاعر جديدة - حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب النشاط الانسانى فى الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من ألوان وصور جديدة فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاءمة بين الأمرين عسيرة صعبة وكان ينادى بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاصطلاح به فكان على جمال الدين الافغانى ويعقوب صنوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الأوروبية أن يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الادب - وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة وبالتنوع فى وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية والعناية بالاخبار النائية وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحفية تتلاءم مع شعبية الصحافة تتوخى السهولة والتبسيط دون أن تهبط الى العامة فى اللفظ أو السوقية فى الفكر (١٠) .

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية لاننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات وحدنا فروقا شاسعة بين المستويين الادبى والعلمى للغة .

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والاشراق وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته - فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر

---

(٩) د . ابراهيم امام دراسات فى الفن الصحفى ص ٤٤ .  
(١٠) المرجع السابق ص ٤٥ .

النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى ... الخ هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والأفكار اليهم فهو أداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام والتفجير والتوجيه والتسويق والامتناع والتنشئة الاجتماعية - ومع ذلك فلفن الفن الصحفى يختلف عن كل هذه جميعا لانها تتضمنها كلها ولا تقتصر على أى منها - لاي القراء أو جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ... ولان الصحفى يكتب لكل الناس فى كل الاوقات - وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات أو لكل الناس بعضا من الوقت - فانه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع .

وليست على هذا الاساس - البيئة التى يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ماديا فقط - بل ثقافيا كذلك فافعال الانسان وكيفية ادائه لها - لا تتوقف على التكوين العضوى لجسده فقط - بل البيئة والانسان يتأثر ان كذلك بمؤثرات الثقافة فى التقليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ الغوية فى طيها وتوحى بها .

والمشكلات التى تبعث على التقصى والبحث حول الرسالة الاعلامية انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض - ولا تقتصر الاعضاء التى تختص بهذه العلاقات - على العين والان واللسان - بل من ادواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا أو جامدا - وانما هو عملية دينامية متحركة بحيث تحتل - اللغة - فى مركب العناصر التى يتألف منها المحيط الثقافى للعملية الاتصالية مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدي وظيفة ذات خاصية أيضا فهى فى حد ذاتها نظام اعلامى وهى الاداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة كما تتغلغل الالفاظ خلال الصور ومضموناتها فى ان واحد - وتتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة - فاللغة بهذا المعنى هو الوسيلة التى تنقصها الثقافة فتبقى وعن طرقها تنتقل وهى ذلك التدوين الذى يديم بقاء الحوادث ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ومن جهة أخرى

فان الأفكار او المعانى لا وجود لها الا على رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل تلك الرموز - نوعا من البقاء الضرورى لوجود الاشياء الرموز اليها بعد ان كانت بداية استخدامهما وسيلة فقط للتعبير الرمزي عنها (١١) .

ومن هذا يتبين ان علاقة العالم الداخلى النفسانى والعالم الخارجى تتجسم فى التعابير المختلفة التى توجد بوجودها وتعدم بنعدامها - انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات - أى المفعول والفاعل يلتقيان فى الشعور الفردى ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسائية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة فن تقنى ( لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها ) ولكن حقيقتها تندمج فى حقيقة تاريخية التاريخ الفكرى والنفسانى والصناعى والجغرافى للأمة او للأمم المتكلمة بهذه اللغة ونقصد هنا بالتاريخ الماضى طبعاً - ولكنه حتى يسترسل من الحاضر مع التأكيد بان الحاضر لا ينحصر فى الحال - بل هو ما يعبر عنه النحويون - بالمضارع - أى الحال والمستقبل يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس للبعيد كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر فحاضره ليس وصفا لحالته - بل اسم فاعل - أى انه الزمن الذى يقع فيه فعل فعليا (١٢) .

فالحاضر يختلف عن الماضى - لان الماضى قد انتهى كحركة مباشرة . . ولما يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة ويخالف أيضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقصر الامال .

فالتكلم بغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كى يفهم - فالكلام أداة للتفاهم لا غاية فى ذاته - ان المرسل يرمى من وراء الكلام ان يفهم المستقبل انه يريد تواصل .

والانسان هو الحيوان الذى يتكلم أى يصنع العلم بالالفاظ فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او أداة مواصلة واتجاه واما تحديد لسلك - فردى او جماعى فالكلمات الأوراق النقدية والاسلحة او الخاتم السحرى قد يد

---

(١١) مجلة د اللسان العربى ، العدد ٣ - ص ٥٤ - المغرب الرباط .

(١٢) مجلة اللسان العربى ٦٤ ص ١٥ - الرباط ١٣٨٨ هـ .



الانسان يكتفية ان ينطق ليحدث شيئاً في شعوره - ورد فعل شعور الآخرين ومن هذا التجاوب الشعوري - ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية فالكلام خلقي - ان الكلمة الواحدة تحدث أحياناً فساداً - وأحياناً إصلاحاً - وإذا لم يتسبب عنه شيء محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين أو عند متكلم آخر ، مرة أخرى فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ بقيمته التوالية سواء انتقل الى بائع أو الى مشتر ، أو لم ينتقل « ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة » (١٣) .

فالببحث في الكلمات من حيث تركيبها المادى ومدلولاتها المحسوسة ، وأثارها النفسانية ، يلتقى في ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاغلام أو الاتصال بالجماهير وحول المعرفة .

ومن هنا كان التأمل في اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم أداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة في نفس الوقت - مادة للبحث وأداة له اذ ان العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية - أى ليست علاقة تجاور في المكان أو تصاحب في الزمان - بل هي علاقة داخلية ، بمعنى ان الفكر ليس قبل الكلام وكذلك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامى وانما هي داخلية تصوغة وتحدده بقدر ما تقيمه وتشكله .

فاللغة ليست شيئاً خاصاً بفرد - بل ملكاً مشتركاً ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات وبين ابرازها كاحداث بين المعنويات والماديات بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لفظ العقل واللغة أو « النطق » أو « القول » في اليونانية كما اشار الفارابى . والفلاسفة الرواقيون كانوا يرون كبعض الفلاسفة المعاصرين ان الفكر واللغة متطابقان - وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات المتعاقبة التى تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلقوم والتى يستطيع فم الانسان ان ينطق بها كما تستطيع الكتابة ان تمثلها - فان مثل هذه الاصوات قد لا يكون لها معنى ما ومن ماهية اللغة ان تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملفوظ فهناك « كلام داخلى » نفسانى يكفى لاستعمال الفكر وليس « الكلام الخارجى » الملفوظ سوى مظهر من مظاهره .

---

(١٣) د. عثمان أمين : « الفلسفة الرواقية » - ط ٢ القاهرة ١٩٥٩ ص ١١٩ - ١٢٠ .

اللغة هي « الواسطة » العظمى والصغرى في الغياب وفي الحضور فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين - أي دعوة ودعاء . فالمرء يعطى كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام مسئولية ورجل لا كلمة له - رجل ينقصه الضمير ونعنى ان انسنيته غير كاملة - فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجيه » ربما استطعنا ان نقول « الانسان جسم وروح ولغة » (١٤) .

ان اللغة - داخل هذا اطار - تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع لانها اهم وسيلة يلجأ اليها ليتم التفاهم بين الافراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والادبية والفنية .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة أو الثقافة . ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيراً واضحاً وصادقاً من الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة في المجتمع الذي توجد فيه مفردات اللغة والأساليب والتصورات وبناء الجملة والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك في المجتمع الصناعي الحديث الذي يتميز بتعقيد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشغور أعضائه بمفرديتهم الذاتية - تختلف اختلافاً جذرياً عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها في المجتمع البدوي الذي يعيش على الرعي والترحال والذي يرتبط الفرد فيه ارتباطاً وثيقاً بالجماعة القبلية التي ينتمي اليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماماً في تلك الجماعة وهذه مسألة كثر الكلام فيها - على حد تعبير الدكتور احمد ابو زيد (١٥) ولكن حديثنا عن الاعلام واللغة يرتبط بما يمكن ان يسمى « حضارة اللغة » هي فكرة مستعارة من عبارة عارضة ورد في محاضرة للفيلسوف الرياضى الفرد نورث وايتهيد ونشرها في كتاب بعنوان « انماط الفكر » وتعنى بانه ثمة حضارة معينة هي حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطاً قوياً باللغة بحيث يمكن القول انه لولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة أو لظهرت حضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة - فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحيه - بما فيها القرود العليا التي تعتبر اقرب الكائنات العضوية الينا - بالفكر واللغة وعلى الرغم من ان القرود العليا بالذات تعيش في تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض

(١٤) مجلة « دعوة الحق » ع ٥ م ٦ - ١٣٨٢ هـ المغرب ص ٩ .

(١٥) نفس المرجع ص ١٤ .

الحركات ومحاكاة بعضها فانها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه نحن من هاتين الكلمتين .

ومن هنا تختلف الثروة اللفظية من لغة الى أخرى ، بل فى اللغة الواحدة تختلف هذه الثروة اللفظية من عصر الى آخر بالنسبة لحياة اللغة نفسها - ذلك انه بقدر ما تزيد حاجيات المجتمع وتثرى معانيه يزيد عدد هذه المجموعات الصوتية حتى تكون متجاوبة تماما مع هذه المعانى وتلك الحاجيات .

وعلى ذلك تصبح اللغة - التى قال عنها ابن جنى فى « الخصائص » والجرجاني فى « التعريفات » انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم - هى اداة التفكير الانسانى - فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهاته كما تصبح اللغة بالنسبة للاعلام « الرسالة » التى يتم من خلالها نقل الافكار والآراء والمعلومات من المرسل الى المستقبل .

فهناك من المجتمعات الانسانية من لا يزال يعيش فى عالم المادة وفى دنيا الامور الحسية - لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدود من الالفاظ اللغوية تسد حاجة عدد محدود فى دنياه وتتجاوب مع ما يدور فى عالمه ، وهناك من استطاع لعوامل مختلفة - ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا أخرى تتصل بعالم روحى او معنوى فيضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى - على ضوء تجربته - تشرح مدلول هذه الامور النفسية او الروحية او المعنوية (١٦) .

من ذلك نجد انه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها او حين نسمع عنها ان تطورها رهن بتطور المجتمع بحيث تتجه اهداف اللغة فى اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الافكار والمشاعر - والآخرى الى داخل الذات - حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته وكمرحلة

---

(١٦) د . حسن عونه : دراسات فى اللغة والنحو العربى - القاهرة ١٩٦٩م ص ٨

لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان يفشا الهدف الثالث . . وهو الهدف الاجتماعى والترايط الانسانى والتفاهم البشرى (١٧) . وقد احدى العالم اولبرت « وظائف اللغة الاجتماعية » فقال :

١ - انها تجعل للمعارف والأفكار البشرية - قيما اجتماعية بسبب يقوم على استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاريه .

٢ - وانها تحتفظ بالتراث الثقافى والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

٣ - وانها عبارة باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد - تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

٤ - وانها تزود الفرد بادوات التفكير - وما وصل المجتمع البشرى البصير الى ما هو عليه الان - بدون التعاون الفكرى لتنظيم حياته .

ولا يتأتى هذا التعاون الفكرى الا بالتفاهم وتبادل الأفكار بين افراد المجتمع والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العملى الاجتماعى .

فاللغة الاعلامية اهم مظهر للمحافظة على كيان المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال - وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك سيدل على هذا الشئ أو الفعل (١٨) وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

#### تطبيقات المنهج الاعلامى فى اللغة :

وتأسيسا على هذا الفهم - فان المنهج الاعلامى فى بحث اللغة - يسهم فى الكشف عن أساليب الدعاية عن طريق تحليلها الى فئات مثل التحليل أساس الموضوع أو الصياغات المختلفة للمضمون أو على أساس الدعوى أو مقصد الاتصال واثره - وقد ثبت ان تحليل الاتصال على أساس فئات المضمون أفضل من تحليله على أساس ما يفترض من مقاصده واثار .

(١٧) مجلة اللسان العربى - ع ٢ ص ٥٥ - الرباط - المغرب ١٣٨٥ هـ

(١٨) عبد العزيز عبد المجيد : اللغة العربية ج ١ ص ١٩ - القاهرة .



وقد استخدم هذا الأسلوب فى تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود أربعة أهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء ، هى :  
اثارة الكراهية لدى العدو ، والابقاء على صداقة الحلفاء ، والابقاء على صداقة المحايدين وضمان تعاونهم أن أمكن والقضاء على الروح المعنوية للعدو .

واستخدمت فئات أخرى فى تحليل الدعاية وهى ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهى الحيل الخاصة المخفية التى لا يكون الناس عادة على وعى بها - ومن ذلك أن معهد تحليل الدعاية الأمريكى قد اكتشف فى سنة ١٩٦٧ أن هناك سبع حيل رئيسية يستخدمها خبراء الدعاية فى تكوين رموزهم اللغوية للتأثير فى الناس وكسبهم الى صفهم - اما الحيلة الاولى فهى استعمال الفاظ التعميم الرابطة لتهويل القارئ ، وأخذة على غرة بحيث يتأثر ببريق اللفظ الطنان - فيخدعه ذلك عن التفكير أو المطالبة بالادلة والبراهين فهناك مثلا الفاظ الصدق - والشرف والحرية والتقدم التى تتناثر فى انحاء الجمل والعبارات وهناك أيضا الكلمات الدينية والقومية التى يتوسل بها الدعاة مثل الديمقراطية والاسلام والمسيحية والدين - والشرف والامة والوطنية والحرية والقومية والانسانية وغيرها .

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة - فهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطة موضوعة - وهناك تقصير خطوطنا وقد استعملت هذه العبارة الأخيرة لتغطية مرارة الانسحاب فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وتستعمل احيانا عبارة « عاشرته مباشرة الازواج » للإشارة الى جريمة الزنا أو هتك العرض وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة أو المتعة لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب .

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضوع مناسب وتثبيته فى ذهن الجمهور وتبسيطه له وإطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامة وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخلق الأمور على الجمهور وتقديم الدعاية فى ظل معلومات أخرى يصدقها واستغلال الظروف النفسية للجماهير التى تجعلهم أكثر تصديقا لما يقدم لهم .

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب وانما تستعمل كذلك للخداع والآثارة والتعمية وايفاظ الفرائز فقد تستعمل اللغة للتعبير عن المعارف والأحداث بدقة ووضوح فهى لغة اخبارية - كما

هو الحال فى الرياضه والعلوم والاعلام - وقد تستعمل اللغة أيضا لاثارة  
المواطن والانفعالات فى نفوس الناس كما فى الدعاية .

فالرموز اما معرفية تؤدى الى معلومات - واما لا معرفية تؤدى الى  
انفعالات او اوهام (١٩) .

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حرص مختلف انواع الدعاية الموجهة  
الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة فى نفس الوقت او فى  
فترات زمنية متعاقبة ، على اثارة استجابات انفعاليه بواسطة رموز لا معرفية  
تختلف باختلاف نوع الجمهور .

### اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه المنهج الاعلامى الى دراسة الأسلوب الذى يؤثر فى قابلية  
اللغة الاعلامية للقراءة أو الفهم على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هى العماد  
والأساس بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة فكان على المنهج  
الاعلامى ان يقيس قابلية الرموز المطبوعة أو المذاعة للقراءة أو الفهم من  
حيث العوامل التى تميز الرموز التى يسهل أو يصعب قراءتها أو فهمها  
والاختلاف فى الأسلوب - ومدى سرعة القراءة لدى القارئ ومدى التركيز  
على الكلمات أو مجموعات الكلمات ومدى ما يستوعب فى ذاكرته من المعانى  
المؤقتة حتى ينتهى من قراءة الجملة - وكان المنهج الاعلامى يركز فى البداية  
على الكلمة فى قياس قابلية القراءة فقسمت الدراسات الأولى القابلية  
لقراءة المواد الى نسبة الكلمات ( السهلة ) أو الصعبة الموجودة كما  
تدل على ذلك قائمة مقننه للكلمات مثل قائمة ثورندايك - وفى السنوات  
التالية أضيفت عناصر أخرى لبحثها مثل - طول الجملة البسيطة والجملة  
الناقصة التى لا تحتوى على فعل ، والجملة ذات الفعل فقط ثم تبع ذلك ما لا يقل  
عن ٨٢ عنصرا من عناصر الصعوبة التى زعم بحثها اختيار منها أخيرا  
خمسة على أساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهى الكلمة  
السهلة والكلمات الصعبة المختلفة والضمائر الشخصية والجملة الناقصة  
التي تتضمن حرفا للجذر وطول الجملة ووضعت فى لغة تعد تعبيراً مباشراً  
عن القابلية للقراءة على أساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة  
بسهولة وفى نفس الفسحة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة أخرى منتشرة

---

(١٩) د . امام والاعلام والاتصال بالجماهير ص ٨ .

مجموعة أخرى من ثلاثة عوامل هي : طول الجملة والتفصيلات الشخصية  
وخصائص الوصل .

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ذلك أنه يتحقق من  
صدقها عن طريق القارئ العام لاختبارات الفهم . وهذا القارئ يمثل  
جماعات تعليمية مختلفة - لذا فهي تنطبق على القارئ العام أي الاهتمام  
العام ، ولا تضع في حسابها أثرا لاهتمامات القارئ الخاصة على قابلية  
قراءته للمادة ، فالقابلية للقراءة إذن تعتمد على اهتمام القارئ وخبرته .

### اللغة الاعلامية والاطار الدلالي :

وإذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته فإن  
الرسالة الاعلامية تفقد قيمتها عندما ينعدم الفهم . ان لكل جماعة - بل لكل  
عدد مجموعة من التصورات والاتجاهات تتحكم في سلوكه وفي نظريته  
للأشياء فالإنسان يعيش في عالين عالم خارجي موضوعي وعالم باطني  
ذاتي هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجي أو مجموعة المفاهيم والدلالات .

ولا يستطيع الاعلامي أن ينجح في تحقيق هدفه إلا إذا عرف هذه  
العوامل الباطنية أو التطورات الخاصة أو الدلالات الحقيقية للأشياء في ذهن  
المستقبل - ذلك أن لكل فرد عالمه الخاص وتصوراته الذاتية المشتقة من  
بيئته وثقافته بما فيها وسائل الاتصال المختلفة .

والإنسان يميل إلى تنظيم المدركات ، وخلع المعاني عليها وفقا  
لاطاره الدلالي أو مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة ولا يمكن للاعلامي  
أن ينجح في أداء مهمته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجماعات  
والأفراد .

ويخطئ الاعلامي حين يظن أن ما يقدمه من معلومات أو أفكار سوف  
تفهم بالطريقة التي يفهمها هو بها فهناك عقبات عديدة في سبيل ذلك منها  
التحيز والتعصب والخرافات والالوهام كما أن هناك عقبات تنشأ عن عوامل  
السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

وعلى ذلك - فإن عناية المنهج الاعلامي بدراسة الدلالة والاطار الدلالي  
هي عناية بالعوامل التي تؤثر في معاني الكلمات وفي قواعد اللغة وأساليبها

فتؤدى الى اختلافها وتطورها . . وما الى ذلك فى اطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية . . الخ .

يقول الدكتور انيس (٢٠) :

واقصى ما يطمع فيه اللغوى هو ان يجعل الدلالة المركزية واضحة فى اذهان الناس ولذا يعمد الى ذلك القدر المشترك فيحدده ويشرحه فى معجمه مستعينا فى هذا بطبقة المثقفين من جمهور الناس ومتخذاً منهم نماذج الدلالة فى ذلك المعجم .

فالدلالة المركزية لكلمة مثل « الشجرة » تتضح فى ذهن الطفل منذ السنين الاولى من حياته وتظل واضحة فى ذهنه طول حياته دون زيادة كبيرة فى دلالتها المركزية معنا وتأخذ وضعا فى طفولتنا غير الذى تأخذه فى شبابنا ثم تستقر على حال معينة فى شيخوختنا .

ومع اختلاف كثير من الناس فى تلك الدلالة المركزية لا يعوقهم هذا الاختلاف عن التفاهم وتبادل وجهات النظر لانه خلاف فى نسبة الوضوح لتلك الدلالة فهى عند بعضهم أوضح منها عند آخرين ولكنها على كل حال واضحة وضوحا كافيا عندهم جميعا .

اما الدلالة الهامشية فهى تلك الظلال التى تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وامزجتهم وتركيب أجسامهم ، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم – فالتكلم ينطق باللفظة أمام السامع محاولا بهذا أن يوصل الى ذهن السامع دلالتها فتبعث تلك اللفظة فى ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها هذا السامع من تجاربه السابقة ويفترض بعد سماعها ان ما دار فى خلد هذا المتكلم يطابق تمام المطابقة ما يجول فى ذهنه ولم يقف على حدود دلالاته وما حولها من ظلال أو هالة ، وانما بنى فهمه واسسه على تجاربه هو وفهمه الخاص لمثل تلك اللفظة .

فهناك شاب يسمع لفظ ( المسدس ) ويدرك من توه دلالاته المركزية ولكن هذا اللفظ لا يكاد يثير مع دلالاته المركزية شيئا من ظلال المعانى أو ربما يذكره بطفولته وملاعب صباه حين كانت له لعبة صغيرة فى صورة

---

(٢٠) المتحدنا فى توضيح المركز والهامش فى الدلالة على كتاب « دلالة الالفاظ » للدكتور ابراهيم انيس – مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٦ – ص ١٠٧



المسدس يطلقها في الهواء فتبعث شررا او نقذف قطرات من الماء لداته من الاطفال ، والجميع يضحكون ويمرحون وهو بلعبته فخور مسرور .

وهناك شاب اخر مر به في حياته حادث اليم رأى فيه مجرما اثيما يصوب مسدسا نحو ابيه او أحد اقاربه ثم يطلقه فينبعث منه طلق يدوى في انحاء المكان ويخر الأب بعده صريحا تتدفق الدماء من صدر فلفظ المسدس امام هذا الشاب لا يصور تلك الدلالة المركزية وحدها بل يبعث في ذهنه صورة بغيضة مؤلة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تجول في ذهن زميله الآخر .

ولفظ « البنسلين » امام قروى صحيح البدن ان دل على شيء فانما تقتصر دلالاته على نوع من الدواء سمع عنه أو رآه ولكن نفس اللفظ يقع من اذن المريض وقعا اخر بعد ان جرب الام الحقن عدة مرات وقاسى عذاب المرض زمنا فاحيط لفظ البنسلين في ذهنه بظلال من المعانى لا اثر لها في ذهن القروى .

واصحاب الأمزجة المرحه يسمعون لفظ « الموت » فلا يفزعهم في حين ان التشائم يحفل لدى سماعه - وترتعد فرائصه وقد يتصور ملاك الموت مقبلا عليه في صورة بشعة مخيفة .

من أجل هذا اختلفت الدلالة الهامشية باختلاف تجارب الناس وامتزجتهم وما ورثوه من أسلافهم .

فبينما تجمع الدلالة المركزية بين الناس تفرق بينهم الدلالة الهامشية وبينما تساعد الأولى على تكوين المجتمع وتعاونه وقضاء مصالحه قد تعمل الثانية على خلق الشقاء والنزاع بين أفرادهم ولكن الناس في حياتهم العامة يعتمدون على الدلالات المركزية ويكتفون بها عادة وهو من يمن الطالع أو رحمة الخالق بعباده والا كانت الحياة جحيما لا يطاق .. كلها شقاق ونزاع وسوء فهم بعضهم لبعض .

وتسود دلالة الهامشية في بعض مجالات الحياة وتصبح حينئذ شرا مستطيرا لبنى الانسان واوضح مجال للدلالة الهامشية المجال السياسى .

### الدلالة في المجال السياسى :

هنا تفرق الدلالة الهامشية بين الانسان واخيه الانسان .. وتتفرق الشعوب بعضها من بعض وتقيم بينهم أسوارا أو حواجز - بل قد تدفعهم الى

الحروب وويلاتها فالديمقراطية كنظام سياسى يفهمها الروسى فهما مباينا لفهم الأمريكى اها والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الالمان ايام هتلر والحرية لدى هؤلاء هؤلاء تتخذ مظاهر متباينة .

ويعمد السياسيون احيانا الى شحن تلك الالفاظ السياسية بقدر كبير من الدلالات الهامشية ويستغلونها اسوا استغلال فى دعاياتهم وفرض ارائهم وعقائدهم على جمهور الناس فالفدائى يجعلونه اربابيا والوطنى قد يصفونه بالمتهور المتعصب والهزيمة يصورونها فى صورة النصر المبين .

فالفاظ السياسة فوق انها الفاظ كاذبة الدلالة فى غالب الاحيان تحاط عادة بهالة من الدلالات الهامشية التى تؤثر فى عقول الناس ونفوسهم وتوجيههم توجيهها معيننا نحو الخير حيننا ونحو الشر احيانا .

واذا صح ما يقوله بعض علماء الفرنسيين من ان الانسان انما يتكلم ليخفى ما يدور فى ذهنه فليس ينطبق هذا القول على شىء مثل انطباقه على لغة السياسة ومؤتمرات السياسيين ففيها يحتدم النقاش ويشتد الجدل حول مدلولات الالفاظ لانها شحنت فى اذهان المؤتمرين بظلال من المعانى تفرق بين وجهات النظر وقد تؤدى الى فشلهم فى الوصول الى حل من الحلول .

وفى مثل هذه المجالات السياسية لا تحقق اللغة الهدف الاساسى لها بل تصبح نقمة على بنى الانسان وهى التى اريد بها ان تكون نعمة لهم .

ولا تفشل المؤتمرات السياسية لتباين العقائد والمبادئ وحدها بل كثيرا ما تفشل لتباين دلالات الالفاظ وما تتضمن فى الازهان من دلالات هامشية مختلفة .

### الدلالة امام القضاء والمحاكم :

تهدف الشرائع السماوية والقوانين الوضعية الى الوئام والتعاون وتبادل المصالح بين الناس ولكن الناس لا يزالون يختصمون لما قطر عليه بعضهم من شر أو أنانية ولكن ذلك الخصام يزداد اشتعالا ويمتد لهبه نتيجة تلك الدلالات الهامشية التى تختلف فى اذهانهم وتباعد بينهم ويشهد القضاء كل يوم صراعا قويا ينشأ عن تلك الدلالات الهامشية فيحاول المشرع سد الشفرات وتحديد الدلالات ولكن هيهات .

حتى الالفاظ القرآنية تراها أحيانا مثار النزاع فى تفسيرها بين الائمة وعلماء الشريعة فهم جميعا يقرأون « والمطلقات يتربصن بأنفسهن قروء » ويختلفون فى مدلول « القروء » ويرتبون على هذا الخلاف أحكاما شرعية .

ولعل رجال القانون يدركون أكثر من غيرهم أثر تلك الدلالات الهامشية فى النزاع بين الناس فيسمع القاضى للمتخاصمين وقد احتدم بينهما الجدل لا لشيء سوى ان أحدهما قد لون دلالة اللفظ من الالفاظ بلون خاص واصطبغ هذا اللفظ فى ذهن الآخر بصبغة أخرى ثم يحكم القاضى متأثرا فى حكمه بدلالته الخاصة وفهمه الذى اكتسبه من تجاربه السابقة لا تجارب المتخاصمين أو فهمهم .

وقليل من الالفاظ القانونية تلك التى تكتسب صيغة الاصطلاح فتصبح كالمصطلحات العلمية فى الهندسة أو الكيمياء أو الطب - وذلك لان الكثرة الغالبة من الفاظ القانونيين تتصل اتصالا وثيقا بحياة الجمهور ومعاشهم وتصف مشاكلهم وتدبر شئونهم وترعى مصالحهم ، فالفاظ الخطاب هى الفاظ القانون فى غالب الاحيان . . والقانونى يحاول فى تشريعه أن يحدد معالم تلك الالفاظ ويلقى فى هذا من العنت والمشقة الشيء الكثير ، ولكن الناس مع هذا لا يزالون يختصمون .

فالمشرع ينص على وجوب اعلان المدعى عليه فى موطنه قانعا بمثل هذا النص معتقدا أن كلمة الموطن ذات دلالة محددة فى اذهان الناس ثم لا يلبث ان يخيب ظنه حين يجد المتقاضين يتنازعون حول هذه الكلمة التى لها فى اذهانهم ظلال من المعانى متبانية .

وليس من الضرورى ان نفترض المغالطة فى كل نزاع من هذا النوع فقد يكون النزاع حول مدلول اللفظ عن عقيدة وإيمان بين كل من المتخاصمين فالقضاة والمحامون يقضون نصف حياتهم أو حياتهم كلها فى صراع مع تلك الالفاظ ومدلولاتها وحدود تلك الدلالات فيوفقون حيناً ويفشلون حيناً آخر .

يقف الدائن ويعلم ان مدينه اقلس ، فيصر الخصم على ان لا يسمى افلاسا ، وهنا يشتد الجدل حول معنى « الافلاس » .

يقف المتقاضون فيدعى بعضهم ان المبلغ كان بمثابة تأمين ، فيصبح الخصم بل وديعه . أو انه بمثابة « عربون » فيقول الخصم بل هو « خلو رجل » . . ولذا لاندعش حين نقرا تلك المذكرات المسهبة التى يحاول فيها

القانون شرح لفظ من الالفاظ وتحديد دلالاته . فعملية النصب قد يفسرها المحامي أحيانا بأنها لا تعدو أن تكون « كذبا جاز على عقل أحد المغفلين ولا يحى القانون أمثال هؤلاء المغفلين » .

بل قد تكون الدلالة للفظ من الالفاظ مسألة حياة أو موت ، فكلمة العمد تكون ركنا أساسيا فى الجنایات الخطيرة . . فإذا اقتنع القاضى بنية العمد فى سلوك الجانى فقد يدفع به الى حبل المشنقة والا تحولت الجنایة الى جنحة بوعدت الجريمة من قبيل الخطأ . ولكن هل من اليسير تحديد معالم تلك الدلالة المجردة فى كلمة « العمد » اليس مرجعها أولا وقبل كل شىء الى النية والى الضمير ؟ ولا غرابة إذن حين يثبت ركن العمد عند قاضى وينتفى عند آخر فى نفس الجريمة لأن دلالة العمد فى ذهن كل منهما متأثرة بتجاربهما الخاصة وبذلك الظلال الهامشية التى تختلف باختلاف الناس .

ففى كل يوم نقرا على صفحات الجرائد عن جدل ثار امام القضاء حول تفسير لفظ أو مدلول كلمة . ولما صدر قانون التشرد حار رجال القانون فى تحديده وتكييفه حتى استقرت دلالاته أو كادت بعد حين من الزمن . . ومنذ صدور قانون القمار والمحاكم فى صراع حول حدوده . . ولا يزالون حتى الان يختلفون فى مدلول « القمار » الذى عناه الشرع وأوجب تحريمه .

وعلى قدر ما يتاح للمرء من تجارب تصطبغ دلالاته بصبغة خاصة وتتلون بلون خاص وتحاط بظلال من المعانى لا يشركه فيها غيره من الناس . . وتصبح وقد شحنتها تلك التجارب بما نسميه بالدلالة الهامشية .

وليست تقتصر تلك التجارب على الاحداث وفرص السماع - بل ان الرقى العقلى وما يكتسبه المرء من علم ومعرفة ، وما يتاح له من فرص ثقافية ، كل هذا يترك أثرا قويا فى دلالاته ويصبغها بصبغة متميزة ، فليست كلمة « البيع » فى ذهن البائع المتجول تؤدى ما تؤديه فى ذهن استاذ كنجيب الهلالى الذى أخرج لنا كتابا ضخما جعل عنوانه « البيع » وعالج فيه تلك العملية الشرائية التى تتم بين الناس صغيرهم وكبيرهم فى كل لحظة من لحظات النهار وطرفا من الليل .

وهل « الملكية » فى ذهن رجل أمى من أصحاب الاملاك أو الضياع هى « الملكية » التى كانت فى ذهن الدكتور كامل مرسى حين ألف كتابة الشهور وجعل عنوانه « الملكية » .



والدكتور انيس يشير هنا الى وقائع معينة او قضايا مشهورة كانت فيها الدلالة محل نزاع وجدل في تاريخنا الحديث .

فلنتذكر مثلاً محاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش بسبب مقاله المشهور في ذكرى دنشواي وما فيه من الفاظ فهمتها النيابة على انها « اهانه » وفسرها الدفاع على انها من القذف المباح . . وان ما ثار في تلك المحاكمة من جدل ونقاش بين النيابة والدفاع حول مدلول الالفاظ لما يثير الدهشة والمجيب . ولنتذكر أيضاً كتاب « وطنيتي » للشيخ الفياثي ومحاكمة محمد فريد والشيخ جاويش لكتابتهم مقدمة لهذا الكتاب ، وما ثار في هذا الشأن من نقاش وتاويل وتجريح مرة على لسان النيابة وأخرى على لسان الدفاع . . ولنبتسم معاً لتلك العبارة التي جاءت مرتين على لسان النيابة . . ولنتساءل ماذا كان النائب يعنى بقوله (٢١) ( وهل من أصالة الرأي انهاض الهمم ؟ افلا يدل هذا على ان الجماعة انما قصدوا انهاض الهمم ) .

ولعل الامام ابا حنيفة حين اشترط لنفاذ عقد الزواج ان يكون الزوج كفوًا لم يخطر في ذهنه ان الناس يختلفون من بعده في مدلول « الكفاءة » وحدودها ولم يخلف لنا ذلك الامام المشهور من معالم تلك الصفة التي يجب ان تتوفر في الزوج سوى لفظ الكفاءة . . وترك الناس بعده يذهبون فيها كل مذهب الى ان كانت تلك القضية المشهورة في تاريخنا الحديث حين تزوج الشيخ على يوسف صفية السادات واعترض ولي امرها على هذا الزواج وقد شغلت هذه القضية الرأي العام شهورا فيها كان الناس يتساءلون عن معنى الكفاءة وحدودها ، وعما اذا كان من المقبول المعقول ان على يوسف كاتب مشهور من كتاب مصر - وصاحب جريدة المؤيد بانه غير كفء ؟ ولم يشفع له انه استحق التكريم من حاكم البلاد فمنحه الباشوية ولم تشفع له شهرته السياسية ولا ثقافته ولا ماله .

ومثل هذه القضية ترينا الى اى حد يمكن ان يختلف الناس في دلالات الالفاظ عن هوى حيناً وعن ايمان وعقيدة حيناً آخر ، والدلالة في كلتا الحالين قد شحنت بظلال من المعانى واحيطت بصفات هامشية يستمسك بها كل فرد . . ويناضل عنها نضال المستميت . (٢٢)

---

(٢١) المرافعات في أشهر القضايا لعمود عاصم صفحة ١٠٨ المجموعة الثانية .

(٢٢) نفس المرجع .

## امام القضاء الانجليزى

ويقول الدكتور أنيس :

« كنا فى لندن سنة ١٩٢٦ حين أبرمت المعاهدة المشهورة ودعى أحد الصحفيين المصريين لالقاء محاضرة فى النادى المصرى ولا أدري ما اذا كان هو الذى اختار عنوانها ، أو اختارته له اللجنة التنفيذية للنادى وكان عنوان المحاضرة على كل حال ( واجبنا بعد المعاهدة ) فتصدى له الاستاذ / ( ق ) وحاول ان يوجه المناقشة نحو البحث فى نصوص المعاهدة معلنا انه من المستحيل ان نعرف واجبنا بعد المعاهدة ما لم ندرس المعاهدة ذاتها .. ونتعرف على مزاياها ونقائصها .

« وكان من المعروف حينئذ عن هذا الاستاذ انه من المعارضين للمعاهدة فتكهرب جو المحاضرة وخشى رئيس النادى والمشرف على المحاضرة الدكتور ( م ) ان يتورط الاعضاء فى نقاش سياسى معارض قد تكون عاقبته وخيمة .

فحال بين الاستاذ ( ق ) ومنعه من الاسترسال فى الكلام .. فكان بينهما نقاش حاد تبودلت فيه بعض العبارات القاسية ، وانصرف الاستاذ ( ق ) مهددا متوعدا .

ثم انعقدت اللجنة التنفيذية لتتظر فى أمر الاستاذ / ( ق ) بوصفه عضوا من الاعضاء ، ورات ان قانون النادى يسمح له باحالته الى مجلس تأديب ما لم يعتذر عما صدر منه .

واصر كل على موقفه - واستحال التفاهم وتطور الامر ولم يعتذر الاستاذ ( ق ) وقررت اللجنة تنفيذ نصوص القانون .. وكان لهذا القانون صورتان احدهما بالعربية واخرى بالانجليزية ترجمت « مجلس تأديب » بالعبرة الانجليزية Disciplinary Council .

واحيل الاستاذ ( ق ) الى مجلس تأديب ووضع القرار فى لوحة الاعلانات بالنادى كما هى العادة فى كل قرارات اللجنة التنفيذية .

وهنا رفع الاستاذ ( ق ) امره الى القضاء الانجليزى مدعيا ان فى اعلان هذا القرار تشهيرا به وقذفا فى حقه ترتب عليه خسارة مادية وأدبية

– فهو بوصفه من أصحاب الاعمال فى لندن ، واصحاب السمعة الطيبة بين المتعاملين قد لحقه من هذا الاعلان ضرر بليغ فى سمعته وما له .. وكلف ( السير ستافرد كريس ) باقامة الدعوى على اعضاء اللجنة التنفيذية الخمسة – وكلهم الآن فى مراكز كبيرة .. متضامنين مع مدير البعثات حينئذ والمستشار السياسى للسفارة المصرية ( ع . ح ) .

وكان اهم ما استند اليه الاستاذ ( ق ) فى دعواه ان كلمة « تأديبى » تناظر الكلمة الانجليزية Punitive فى راية مهينة فيها قذف وتشهير .

وظلت القضية ثلاث سنين حار فيها القضاء الانجليزى بصدد ترجمة كلمة « تأديبى » الواردة فى الاعلان هل هى Punitive Discipline وانتدب للشهادة بعض المصريين من المتخصصين فى اللغتين العربية والانجليزية – فلم يجمعوا على رأى ، واختلفت وجهات النظر او بعبارة اخرى ظهر ما لدى كل فريق من دلالة هامشية ازاء هذه الكلمة وتحملت الحكومة المصرية الافا من الجنيئات فى هذه القضية المعجبة ، كما تحمل الاستاذ المدعى الافا اخرى وانتهت القضية بأن تدخل بعض اعضاء البرلمان الانجليز من اصدقاء الطرفين للتوفيق بين فريقين من المصريين فى لندن .. وكانت اجتماعات ومداولات شهدتها حجرة خاصة فى البرلمان الانجليزى ، ثم تصافى الفريقان ، وتنازل الاستاذ عن قضيته دون الاهتداء الى رأى حاسم قاطع فى دلالة كلمة تأديبى .

من كل ما تقدم نرى كيف تسيطر الدلالة الهامشية على اذهان بعض الناس وكيف تثير بينهم النزاع والشقاق وكيف فشلت اللغة فى اداء مهمتها حين استعملت فى المجال السياسى او فى فض المنازعات القضائية وكيف يمكن ان تسمى الاشياء بغير اسمائها او يزداد او ينقص من دلالتها . وسواء كانت تلك الدلالة الهامشية سببها الهوى والفرض او عن عقيدة وايمان فهى تحصل اتصالا وثيقا بما يسميه علماء النفس بالعاطفة .

وقد احس الفلاسفة قديما وحديثا بغموض الدلالات وان الالفاظ سرعان ما تتحكم فى تصور الناس للاشياء مما ساعد السفسطائيين القدماء على استغلال ذلك الغموض فى الدلالة فتمكنوا عن طريقه من هدم حقائق العلم ومبادئ الاخلاق بل استطاعوا تايد موضوع ما ومعارضته فى وقت واحد .

ولذا دعا ، ارسطو ، الى تحديد معانى الالفاظ وتعرف مدلولاتها على وجه دقيق حين كان يناقش موقف السفسطائيين .

وليست تلك الدلالة الهامشية كلها شراً فقد تكون سبباً من أسباب المتعة لبنى الإنسان حين يستغلها الأدباء والشعراء الذين لا يقنعون فى غالب الأحوال بتلك الدلالات المركزية ويعدون ما يقتصر عليها من الأساليب - أسلوباً علمياً لا يهدف إلا إلى إيصال الحقائق دون زيادة أو مغالاة .

فكلمة الربيع .. حين يقتصر فى شأنها على الدلالات المركزية تصبح كما يصفها علماء الطبيعة بقولهم مثلاً « الربيع أحد فصول السنة يحل لأسباب طبيعية خاصة وفى شهور معينة وتصحبه خضرة فى الأشجار واعتدال فى الطقس » ولكن الربيع فى رأى الأديب حين يستغل عاطفته ويشحن دلالاته بصفات هامشية يصبح شيئاً آخر (٢٣) .

فالدلالة الهامشية هى المسئولة عن روائع الأدب وهى التى خلقت علماً يسمى بالنقد الأدبى - الفت فيه الكتب ووضعت له الأسس والمقاييس - ويعرض أصحاب النقد العربى إلى ما يسمونه بالذوق الخاص ولا شك أن ذلك الذوق الخاص يتأثر إلى حد كبير بما نسميه بالدلالة الهامشية التى تختلف باختلاف الناس وتجاربهم أو أمزجتهم وعواطفهم وبيئاتهم .

ويتضح أثر الدلالة الهامشية فى تلك الأمثلة الكثيرة التى يسوقها نقاد الأدب فى كتبهم ولأسيما حين ينصب نقدهم على دلالة لفظ من الألفاظ وفى كتاب الموشح للمرزبانى ... والموازنة بين الطائيين للامدى والعمدة لأبن رشيق والصناعتين لأبى هلال العسكري وأسرار البلاغة للجرجانى والمثل السائر لأبن الأثير وغيرها أمثلة كثيرة نكتفى هنا بعرض طرف منها لتوضيح أثر الدلالة الهامشية فى الحكم على دلالة الألفاظ العربية .

١ - روى أن الأصمعى كان يعيب على ذى الرمة الشاعر قوله .

نفسار إذا ما السروع أبدى عن السورى

ونقرى عبيط الشـمـهم والماء جـامـس

---

(٢٣) أصول النقد الأدبى للشايب صفحة ٦٢ .



فيقول :

انما يقال للجامد من السمن وما اشبهه جامس فمدلول كلمة (جامس) في ذهن الاصمعي مقصور على الدهن وما شاكله والماء المتجمد لا يقال له « جامس » ، فكيف تمت هذه الصورة في ذهن الاصمعي الا عن طريق تجاربه مع نصوص اخرى تصادف ان سمعها وتأثر بها وتصادف ان استعملت فيها هذه الكلمة مع السمن والدهن ونحوهما من السوائل . . ولكن ذا الرمة الشاعر العربي قد تعود مع نفس الكلمة غير ما تعود الاصمعي . . . ولعله عرفها في نصوص اخرى وقد استعملت مع الماء . . . او لعله خلع عليها من الدلالة الهامشية ما سمح له بمثل هذا الاستعمال . . فلكل من الرجلين تجاربه الخاصة . . ومزاجه الخاص ولا يشتركان الا في الدلالة المركزية وهي تجمد السائل متخذا هذا التجمد في ذهن كل منهما صورة معينة . . ولا يقال حينئذ ان احدهما اصاب وان الآخر اخطأ ولا يصح ان تجعل احدهما او غيرهما حكما في مثل هذا الامر . . لان الدلالات الهامشية في اى لغة من اللغات مسألة فردية شخصية لا تكاد تعرض لها المعاجم او تعنى بها .

فالشاعر يصف قومه بحب الفارات وشنها كلما اثارت حرب بين الناس وانهم في نفس الوقت كرماء يقدمون لضيوفهم اشهى الطعام في ايام الشتاء حين يقل الخير ولا يجد الناس ما يسد الرمق .

٢ - وكان الاصمعي ايضا يعيب قول عدى بن الرقاع . . لهم راية تهدي الجموع كأنها . . اذا خطرت في ثعلب الرمح طائر فيقول الراية لا تخطر انما الخطران للرمح .

٣ - وعاب النقاد على ابي تمام قوله . . .

رقيق حواش الحلم لو أن حمله يكفيك ما ما ريت في انه ثوب

فيقول احدهم ما علمت احدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالركة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة .

٤ - وعجب احد النقاد لان ابا العتاهية مقدم بين الشعراء مع قوله :

رويدك يا انسان لا انت تلفز

ورأى هذا الناقد ان كلمة « تقفز » لم تخرج من فم شاعر محسن فقط  
.. فاي ثار بين هذا الناقد وهذه الكلمة الا ان تكون قد ارتبطت في ذهنه  
بدلالة هامشية خاصة نتيجة تجاربه السابقة مما بغضه فيها وصور دلالتها  
في ذهنه على صورة بغيضة كريهة لا تليق بالشعر والشعراء .

فلما قال : أبو العتاهية في نسيبه أو تشبيهه بأحدى الحسان قوله :

انى اعوذ من التى شغفت . . . منى الفؤاد باية الكرسي

قال النقاد آية الكرسي يهرب منها الشياطين ويعرس بها من الفيلان  
ولا يخطر في اذهانهم ، أو بعبارة أخرى لم يسمعوا للشاعر ان يستمد من  
تجاربه الخاصة ومزاجه الخاص دلالة هامشية لهذه الكلمة تتباين  
ما عندهم .

٥ - ولما حملت قطر الندى بنت خمارويه الى الخليفة المعتصم وكتب  
معهما ابوها يذكره بخدمة سلفها أمر الخليفة وزيره بالجواب عن الكتاب  
وكلف الوزير أحد كتابه بالرد فغاب أياما وأتى بنسخة يقول فيها « وأما عن  
الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك الى شمالك عناية بها وخياطة  
عليها » .

ثم أقبل على الوزير معجبا بحسن ما وقع له من هذا وقال : تسميتي  
لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال الوزير ما أقبح هذا ، تفاءلت لامرأة زفت  
الى صاحبها بالوديعة فالواقعة مستردة !!

فلكلمة الوديعة في ذهن كل من الرجلين دلالة هامشية خاصة تتصل  
بتجارب كل منهما ولذا حسنت في عين أحدهما وقبحت في عين الآخر .

ومما تقدم نرى ان قدرا غير قليل من احكام النقد الادبي مرجعها الى  
تلك الدلالة الهامشية التى تختلف باختلاف الافراد في البيئة الواحدة  
وبعظم اختلافها باختلاف الناس في البيئات المتباينة - فليست ريح الشمال  
لدى سكان جزيرة العرب كريح الشمال لدى المصريين - فهي في شبه  
الجزيرة ترتبط بالبرد والجذب والعسر فهي بغيضة وكريهة لدى سكانها  
ولكنها محببة في مصر تعد النواقد والشبابيك وواجهات البيوت لاستقبالها  
والتمتع بنسيمها .

## الدلالة في الأدب الحديث :

بصدد هذه الدلالة الهامشية يسوق د . أنيس مثلاً هنا من الأدب الحديث لكاتب كبير هو الأستاذ عباس العقاد حين يحدثنا في مقال ممتع نشر في إحدى الصحف الأسبوعية عن كلمتي السعادة والخير فيقول :  
أيهما تتمناه لو أعطينا منا؟ نتمنى الخير أو نتمنى السعادة ؟ ونرجو أن نوصف بالاختيار أو نرجو أن نوصف بالسعداء ؟ بغير حاجة إلى استفتاء خاص أو عام يمكننا أن نجزم بأن السعادة تظهر بأكثر الأصوات في انتخابات الأمنية المشتهاة . وبغير حاجة إلى استفتاء على الإطلاق يمكننا أن نقول أننا في الواقع نختار اسماً جذاباً حين نختار السعادة . . . . . ولعلنا نترث أو نتدبر في حقيقة معناه إلى أن يقول « وإذا تصورنا السعادة فصورتها أمامنا صورة فتاة حسناء تمتع الحس والنفس وتشبع اللذة والامل . . . . . ولكننا لا نتصور الخير في صورة انثوية ، ويناسب على الخيال أنه يرسمه لنا في صورة شيخ جليل مهيب الطلعة طويل اللحية ، ولعلنا نتصوره في الصورة الانثوية ونخلع عليه سمة الامومة التي تتقاضانا الجد والأدب ولا ترتضى منا أن نتلقاها باللعب والمزاح وشتان بين الصورتين .

أما بعد الروية فالامر يختلف - بعد الروية ترجح اصوات الخير على اصوات السعادة في معركة الانتخابات فالسعادة في تبرير الاكثرين نوبة فرح طاغية وليس من طبيعة النوبات ان تدوم . . . . . ونكاد ان نقول انها كالطعام الحسن الشهى الذي نستحب مذاقه . . . . . ولكننا نسامه ونعافه اذا تكرر علينا ولم نذق معه شيئاً يخالفه ، ولو لم يكن مقبول المذاق كما تتمناه والخير لا سامه فيه لانه حالة تحتوينا ولا نحكم عليها باحساسنا وانما تعثرنا السامة من جانب الاحساس . . . . . الى ان ينتهي من مقاله بقوله . . . . . والشرق اذن ادرى بما يقوله في أعياده وتهنئاته لانه يتمنى لابنائهِ الخير كل عام ولا يرتضيه ان تكون التهنئة بالعام السعيد .

تلك هي دلالة الخير عند كاتب كبير جرب من شئون الحياة تجارب كثيرة متنوعة قلما يشركه فيها غيره وثقاف بثقافات متباينة منها ما طبع بالطابع العربي الشرقي - ومنها ما اصطبغ بصبغة أوربية حديثة فكان له من مزيج الثقافات وافر العلم والتجربة شخصيته المتميزة التي لونت مدلول كلمتي . . . السعادة والخير على النحو الأنف الذكر . . . . . ولكننا رغم تلك الصورة الممتعة التي صورها لنا الكاتب سنظل نخلف في دلالة السعادة ودلالة الخير .

وأفراد البيئة اللغوية رغم اختلافهم فى تلك الدلالات الهامشية ..  
يشترون فى احساس لطيف غامض يصعب تحديد مداه ولم يفتن له معظم  
اللغويين وهو ما نكتسبه من كثرة تجاربنا مع الالفاظ ودلالاتها من امكان  
التنبؤ بالدلالة أو جزء منها لدى سماع الفاظ لم نسمعها من قبل ولم نتعلم  
شيئا عنها وذلك هو ما سماه الدكتور أنيس بوحى الاصوات (٢٤) .

### نظرية فليش فى التجريد :

وامانة من هذه البحوث - أصبحت اللغة الاعلامية تفضل ان تكون  
مرداتها خالية من ازدواج معنى ، والتورية ، الغموض .. وقد صور  
لنا كورز بيسكى ومن بعده هاباكوا عملية تحريد اللغة من عوامل الغموض  
والتورية ومحاولة التخصيص متحدثا عن : سلم التجريد ، وهو السلم  
الذى يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد ، وعلى سبيل المثال فان السلم  
يرتفع صعودا على هذا النسق :

( أ ) ان كلمة « بيسى » وهو اسم البقرة المحددة أو البقرة (١) يجعلها  
تختلف عن البقرة (٢) أو البقرة (٣) الخ .

( ب ) كلمة البقرة .

( ج ) كلمة « ماشية » التى تصنف البقرة « بيسى » مع سائر الحيوانات  
الأخرى التى تشاركها نفس الخصائص .

( د ) كلمة « الموجودات أو الاصول أو الممتلكات الزراعية » التى تصنف  
« بيسى » مع غيرها مما يشترك معها فى الخصائص .

( هـ ) كلمة « الأصول » .

( و ) كلمة « الثروة » وهى أعلى مستويات التجريد فى هذا السلم .

وقد اكتشف الدكتور رودلف فليش معادلة أو صيغة لقياس سر  
القراءة أو ما اصطلح عليه بكلمة « الانقرائية » كما اكتشف معادلة أخرى  
لقياس الجاذبية الانسانية أو اهتمام الانسان .. وقد بنى معادلته الأولى  
عن الانقرائية على أساسين :

---

(٢٤) د . ابراهيم أنيس ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ .



الأول : متوسط طول الجملة .

الثاني : متوسط طول الكلمة محسوبا بالمقاطع .

أما معادلة الاهتمام الانساني أو الجاذبية فهي مبنية على أساسيين هما :

أولا : متوسط النسبة المئوية لعدد الكلمات الشخصية وهي جميع الاسماء المعبرة عن الجنسين وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة وكلمة الناس المستخدمة مع أفعال الجمع ، وكذلك كلمة القوم أو الأهل .

ثانيا : متوسط النسبة المئوية للجمل الشخصية ، وهي جمل الحادثة المنطوقة التي تقع بين علامات التنصيص أو الاقتباس ، وكذلك الجمل المنتهية بعلامات الاستفهام أو علامات التعجب ومثلها جمل الرجاء والطلب والأمر ، وكذلك الجمل الناقصة على أساس النمو اللغوي ولكن يمكن للقارئ فهمها من سياق الحديث .

ويضيف الدكتور فليش ان عامل الاجتذاب الانساني أو الاهتمام الانساني يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائد العظمى حث القارئ وتشويقه للقراءة .

ويبدأ مقياس فليش من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الانقراضية والجاذبية . ويبدأ مقياس الانقراضية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدأ مقياس الجاذبية من الملل الى المشوق الى الدرامي .

تطبيقات معادلة فليش : (٢٥) -

ويفسر لنا فليش كيفية تطبيق معادلته على النحو التالي :

الخطوة الأولى : اذا اردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات . ويمكن اخذ ثلاث الى خمس فقرات من المقال ومن ٢٥ الى ٣٠ فقرة من الكتاب . ولا ينبغي انتقاء عينات مثالية أو

---

(٢٥) د . امام : دراسات في الفن الصحفي ص ٦٥ .

ممتازة . ويمكن أخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفقرة ٢ ثم ٦ ثم ٩ وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة .

الخطوة الثانية : تحصى الكلمات فى القطعة المختارة كلها ، وفى حالة العينات تحصى الكلمات حتى المائة مع ملاحظة أن حروف الاختصار ، وعلامات الوصل أو الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جميع الأرقام والحروف الواقعة بين مسافات .

الخطوة الثالثة : تحصى المقاطع فى المائة كلمة المختارة .

الخطوة الرابعة : تحصى الجمل على أساس وحدات الفكر ، لعلامات الوقف .

الخطوة الخامسة : تحصى عدد الكلمات الشخصية فى كل مائة كلمة .

الخطوة السادسة : تحصى الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة .

الخطوة السابعة : استخلص يسر القراءة ( ىق ) بإحصاء عدد

المقاطع فى مائة كلمة أى طول الجمل ( طج ) طبقا للمعادلة الآتية :

ىق ( يسر القراءة ) .

٨٣٥ ، ٢٠٦ - ٨٤٦ طك - ٠١٥ ، ١ طج .

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية ( ج١ ) بإدراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية ( لكش ) والنسبة المئوية للجمل الشخصية ( جش ) طبقا للمعادلة الآتية :

ج١ ( الجاذبية الانسانية ) = ٦٤٥ ، ٣ لكش + ٣١٤ ، ٠ جش .

وقاعدة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذى يبدأ من أقصى الجمل فى ناحية أقصى الدراما فى الناحية الأخرى مع وجود عنصر التشويق للمقارنة بينهما .

وفيما يلي جدول فليش للجاذبية الانسانية

درجة التشويق	صفة الاسلوب	نوع المجالات	النسبة المئوية الكلمات الشخصية	النسبة المئوية الجمل الشخصية
صفر - ١٠	ممل	علمية	٢ فأقل	صفر
١٠ - ٢٠	مشوق نوعا	تجارية	٤	٥
٢٠ - ٤٠	مشوق	مختارات	٧	١٥
٤٠ - ٦٠	مشوق للغاية	مجالات متنوعة	١١	٣٢
٦٠ - ١٠٠	درامي	قصصية	١٧	٥٨ فأكثر

اما مقياس يسر القراءة فيتضح من الجدول التالي

درجة الانقرائية	صفة الاسلوب	نوع المجالات	المقاطع في كل ١٠٠ كلمة	متوسط طول الكلمات في جمل
صفر - ٣٠	صعبة للغاية	علمي	١٩٢ فأكثر	٢٩ فأكثر
٣٠ - ٥٠	صعب	اكاديمي	١٦٧	٢٥
٥٠ - ٦٠	صعب نوعا	رفيع	١٥٥	٢١
٦٠ - ٧٠	عادي	مختارات	١٤٧	١٧
٧٠ - ٨٠	سهل نوعا	قصص	١٣٩	١٤
٨٠ - ٩٠	سهل	قصص	١٣١	١١
٩٠ - ١٠٠	سهل جدا	قصص مصور	١٢٣ فأقل	٨ فأقل

## طابع الأسلوب الاعلامى :

جذبت مشكلات الأسلوب الاعلامى الدارسين ، منذ تأكد للفن الاعلامى والصحفى وجوده ، فتناول الدارسون بالتحليل الكيفى اسئلة مثل :

ـ ما هو الفرق بين الأسلوب الاعلامى والأسلوب الادبى ؟

ـ ما هى الأغراض التى يهدف الأسلوب الاعلامى الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الأسلوب الاعلامى من علم « الاسلوبيات » أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديثة ، ويعتمد هذا المنهج فى دراسة الأسلوب الاعلامى على المناهج اللغوية الحديثة . بل ان بعض الباحثين فى تحليل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمى للأسلوب ، فاتجه هذا التحليل فى اتجاهات أربعة :

الاول : هو اللغة كلها ، وقد أجريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على أساس تكرار أنماط الاستخدام التى تظهر فى الكتابة والكلام .

الثانى : هو التمييز بين أنماط الأسلوب فى الفقرات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام أحدث التطبيقات وأشملها للتحليل الكمى للأسلوب الاعلامى وخاصة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة .

الثالث : هو تمييز الأسلوب بنماذج الكلام ، أى بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمى .

والرابع : هو العادات والسمات اللغوية التى تميز شخصا ما ، وبخاصة كاتباً من رجالات الصحافة ، فحين نقول أسلوب العقاد الصحفى أو أسلوب الدكتور هيكل الصحفى مثلاً نقفز الى اذهاننا بعض السمات التى ينفرد بها العقاد أو الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التى يتميزان بها .

ومهما يكن من أمر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هو دراسة الأساليب الاعلامية المختلفة ، بحيث نشير الى الملامح اللغوية التى تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصلة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين المواقف الاجتماعية التى تستخدم فيها من ناحية أخرى ، كما نفسر كلما أمكن ذلك ، العلة فى استخدام هذه الملامح



ونقابلها بالملاح البديلة فى الأنماط اللغوية الأخرى . ثم نصنف هذه السمات  
أما على أساس مميزات اللغوية من نحوية وصوتية ولفظية أو على أساس  
وظيفتها فى السياق الاجتماعى (٢٦) أو على أساس العلاقة بين  
الاثنين معا .

أما موضوع البحث الذى يتناول دراسة الأسلوب الإعلامى فهو أى  
شريحة من الكلام المذاع أو اللغة المطبوعة التى يمكن للمحلل اللغوى أن  
يعزلها من الفيض اللغوى المتدفق ثم يخضعها لمعايير البحث والتحليل ،  
سواء كانت هذه الشريحة عبارة أو جملة أو فقرة أو نصا متكاملا .

ويطرح الباحث فى الأسلوب الإعلامى عدة فروض :

— هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها فى  
الأسلوب الصحفى أو الإعلامى بوجه عام ، وبين الوظائف التى تؤديها هذه  
الصيغ فى السياق الاجتماعى الذى تستخدم فيه ؟

— هل يتعين علينا أن نفرق فى الوظيفة اللغوية بين ما يمكن أن نسميه  
« بالأسلوب المعرفى » أى الذى يؤدي إلى معلومات ، وبين ما يمكن أن نسميه  
« بالأسلوب اللامعرفى » الذى يؤدي إلى انفعالات وأوهام ، وبتعبير آخر هل  
تفيد فى دراسة الأسلوب الإعلامى من وراء التمييز بين الأسلوب المعرفى  
الذى يستعمل للتعبير عن المعارف والاحداث بدقة ووضوح ، وبين الأسلوب  
اللامعرفى الذى يستعمل لاثارة العواطف والانفعالات فى نفس المقياس ،  
وصفوة القول فى هذه المشكلة أن دراسة الأسلوب الإعلامى تقتضى التمييز  
بين هذين النوعين من الأساليب لتتقيا الأسلوب الإعلامى من الاستعمال  
التخديرى للغة السياسة والدعاية ، لأن الأسلوب الإعلامى يستعمل  
التعبير العقلى الفكرى ، والمناقشة الواضحة الناضجة .

وفى هذا الصدد ، يذهب علم النفس الحديث إلى أن استعمال اللغة  
استعمالا عقليا واعيا ، هو الذى يخرج المدركات من مجال الغموض  
اللاشعورى ، إلى حيز الوضوح الشعورى ، ويتفق وارد وستاوت فى  
انجلترا . ويرجسون فى فرنسا ، وكروتش فى إيطاليا ، على أن اللغة هى

---

(٢٦) انظر مقال « اللغة ونظرية السياق » للدكتور على عزت — الفكر  
المعاصر — العدد ٧٦ — القاهرة .

مجموعة الرموز التي تنقل المعاني من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر . وفي رأيهم ان الرموز المصورة لا يمكن ان تقوم مقام الالفاظ اللغوية ، لانها غامضة غير محدودة ، وان الرموز للتعبير عن الافكار هي الكلمات اذا استعملت استعمالا عقليا واعيا .

كما ان الفروق بين الاسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية اللامعرفية التي تخاطب الفرائز وتوقظها لا تزال مستعملة في فنون الدعاية والاعلام . فالفرائز البشرية ، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هي الاهداف التي يسعى المعلن والداعية الى التأثير فيها (٢٧) .

اما الاعلام ، بمفهومه العلمى ، الذى يلتزم بمسئوليياته ازاء المجتمع والافراد فانه بحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الفرائز . وهو يساهم فى ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الرأى العام وتنوير الناس ، بفضل استعمال الاسلوب المعرفى الذى يؤدى الى الوعى والتفاهم .

كما تتضمن الفروق التى يضعها الباحث فى الاسلوب الاعلامى امامه اخيرا ، هل من الافضل دراسة الملامح اللغوية فى اسلوب كاتب ما لذاتها ، بصفتها سمات تميزه عن اسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاخرى ان نتقدم خطوة فى اطار علم الاتصال بالجماهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية واثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تأثيرها على القارئ فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ .

على اننا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجماهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامى الى اكتشافات علم اللغة الحديث سواء فى مجال علم المفردات او النحو او الصوتيات او الدلالة .

---

(٢٧) نشره مالىنوفسكى كملحق لكتاب اوجدن ورتشاردز المعروف .  
The Meaning of Meaning

## اللغة الاعلامية ونظرية السياق (٢٨) :

يسرى مالمينوفسكى انه ينبغي علينا ان نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعى والانسانى الاخرى ، وأن نفسر دلالة كل لفظ أو عبارة داخل اطار السياق الحقيقى الذى تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمى الاجتماعى ، والذى نسميه لغة الاعلام ، لأنها تعد نمطا من أنماط السلوك البشرى لا يؤدي مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالمينوفسكى انه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة أخرى ، وكلما بعدت المسافة بين ثقافتين متباينتين زادت الصعوبة فى العثور على مرادفات غير هاتين الثقافتين . واذا اردنا تعريف الترجمة فى شيء من الدقة فانها اعادة خلق اللغة الاصلية الى لغة أخرى مختلفة تمام الاختلاف ، ومن ناحية أخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هى من غير شك ترجمة سياقات بأكملها .

وصفوة القول ، أن فصل الناحية اللغوية للالفاظ عن السياق الاجتماعى والثقافى كما يذهب مالمينوفسكى هو بين كل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، فاللفظ بالنسبة له هو عمل ذو قوة وفاعلية لا تقل عن أى عمل يدوى ، أو هو مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالموقف الذى يحدث فيه ، وذلك ما حدا بمالمينوفسكى أن يقول فى مقاله : « مشكلة المعنى فى اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموقف ارتباطا لا ينفصم ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الالفاظ » .

وتجد نظرية مالمينوفسكى هذه ، صدى فى كتابات الفيلسوف ك . فنجنشتين الذى يقول فى كتابه « أبحاث فلسفية » :

تمكن معانى الالفاظ فى استخدامها ، وليس فى مقدور المرء أن يدرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه أن ينظر الى استعمالها ، ويتعلم من ذلك » .

ويمكننا ان نقول ان نظرية مالمينوفسكى فى السياق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان نوظف لصالح المنهج

---

(٢٨) د . على عزت : نفس المرجع ص ٧٦ .

الاعلامى فى اللغة ، لدراسة اللغة فى اطارها الاجتماعى . وذلك ان هذه النظرية - كما ذهب الى ذلك فيرث - اطار مناسب تنتظم فيه العناصر التى تضم الاشخاص والادوات والاحداث ، الى جانب عنصر اللغة الذى تقوم بينه وبين هذه العناصر الاخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية فى المحل الاول .

ويقترح فيرث على اللغويين ان ينحوا فى دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصى العلاقات الداخلية لسياقات الموقف على هذا النحو :

أولا : دراسة السمات المميزة للأشخاص والشخصيات التى تساهم فى سياق ما ، مثل الاحداث اللغوية أو الكلامية التى ينطق بها المشتركون فى الموقف .

وكذلك الاحداث غير اللغوية التى تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والايحاءات ، الخ .

ثانيا : دراسة الاشياء والادوات ذات العلاقة بالموقف .

ثالثا : اثر أو نتيجة الحدث اللغوى .

ولقد ساهم مالىنوفسكى وفيرث بدراسة السياق ، فى تشجيع الباحث اللغوى فى الاعلام حين يقدم على دراسة اللغة من الناحية النحوية والصوتية واللفظية الا يهمل « الموقف » بشخصه ونظمه وعاداته .

والرأى عندنا ان دراسة السياق فى لغة الاعلام تفيد فى فحص مضمون الاتصال فى مقابل الاهداف منه ، سواء كانت صريحة أو ضمنية . كما تفيد فى تصحيح التأكيدات الخاطئة فى مضمون ولغة الاعلام على ضوء الهدف منه .

وتساعدنا دراسة السياق فى لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :

أولا : تقويم الاداء بناء على معايير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن أو وجود هدف اجتماعى :



ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر .

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجى ليس من المضمون .

وقد تم تطبيق المعايير القبلية على مضمون الموضوعات التى تناولتها الصحف فى بعض البلاد وفى فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات للتأكد من مقدار الالفاء أو التشويه أو عدم الدقة .

وتناولت دراسات اخرى حول طرق معالجة العمل فى البرامج الاخبارية فى الامانة وعرق معالجة قانون معين فى عدد من الجرائد . وطرق عرض الانباء المحلية و مسائل الاسمعية . على ان الأساس الثامى للتقويم يتضمن قائمة معايير داخلية لتأثيره حرم من سياق المضمون بآخر . وفى دراسة السنوك الاخلاقى وغير الاخلاقى لعدد من الصحف المثلة للصحافة الامريكية تم تقويم الصحف على أساس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من الصحف التى تهتم اهتماما كبيرا بالانباء الاجتماعية .

واستمدت المعايير من تحليل مساحات عناوين الصفحة الاولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة الاجتماعية » ، ( المشكلات الأجنبية ، ودولية الولايات المتحدة ، والوطنية ) وثلاثة موضوعات حسية هي ( حماس المال ، والجيش ، المال والجنس ) . وبطرح الأخيرة من الأولى نحصل على درجة واحدة لمقياس ( الاجتماعية الحسية ) لكل صحيفة . . طبق هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقورن بينها على أساس أن هذا هو معيار تحديد أحسن صحيفة .

ولا شك ان كفاءة المعايير المستخدمة والتي تستعين بدراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويم وسائل الاتصال الاعلامية .

### نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان تفيد من دراسات علم اللغة بفروعه المختلفة . وما تهتدى اليه من ظواهر لغوية ، وما تكشفه من بحوث فنية تفيد فى دراسة لغة الاعلام وتهذيب الفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وادخال مفردات جديدة على مفرداتها ، وتدعيم خصائص

هذه اللغة الاعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح ، واقترب شديد من لغة الحديث الواقع الحى المثقف ، دون اسفاف او هبوط الى الصامية .. واستخدام اللغة العملية التى تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هى اللغة الاعلامية المؤثرة حقا .

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية يولى وجهه فى مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويستمد منه المعونة ، ويتوصل الى النتائج العلمية التطبيقية فى تطويرها عن طريق قوانين علم اللغة وقواعده ، ولذلك فان بحوث اللغة الاعلامية لا يمكن ان تنفصل عن بحوث علم اللغة ، ولكنها فى نفس الوقت تتصل اتصالا وثيقا بعلوم الاتصال بالجماهير ، وذلك ان اللغة الاعلامية لغة فن تطبيقي وليس فنا تجريديا . والفن التطبيقي لا يقصد لذاته ، وانما يهدف الى تحقيق غايات معينة ، وان يؤدى وظائف محددة ، واللغة الاعلامية ترتبط بست وظائف رئيسية هى : الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح والتوجيه او الارشاد ، والتسلية او الامتاع والتسويق او الاعلان والتعليم او التنشئة الاجتماعية . وليست اللغة الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجماهير فحسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة متكاملة تقدمها المصادر العديدة فى الفلسفة وعلم النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع والسياسة ، وعلم النفس الطبيعى والنماذج النظرية واثار الاتصال ونتاجه .

وصفوة القول ان المنهج الاعلامى فى دراسة اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بافراد فصيلته ونعنى بها علوم الاتصال بالجماهير ، اشد من صلته بالطوائف الاخرى .

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هى علاقة تأثير وتأثر ، فاذا كنا ننظر لعلاقة التأثير على النحو السابق ، فان علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هى علاقة التنمية اللغوية ، واهم عوامل التأثير فى حياة اللغة ، ذلك ان اللغة فى مختلف مظاهر حياتها - شأنها فى ذلك شأن النظم الاجتماعية الاخرى - ترتبط ارتباطا وثيقا بما عداها من مؤثرات العمران ، ولعل اهم هذه العوامل التى تؤثر فيها وسائل الاتصال الاعلامية التى تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية وشئونها ، فهى تساهم فى نشأة كلمات لم تكن موجودة فى اللغة من قبل ، وفى هجر كلمات كانت مستخدمة فيها او انقراضها انقراضا تاما .

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم العوامل التي تدعو الى نشأة كلمات في اللغة ، كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعي جديد ، سواء كان نظاما اجتماعية واقتصادية ، او نظرية جديدة علمية او فلسفية ، او مخترعا ماديا جديدا ، الخ . . . .

فالاعلام فن حضارى لا يزدهر الا في البيئة الصالحة للتقدم والتطور . ففي الصحافة المصرية الحديثة ، نلاحظ انها قد ورثت ، عند ظهورها في القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبا عتيقا يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تميل الى البهرجة ، ثم أخذ هذا الاسلوب يتخلى شيئا فشيئا عن هذا التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » فوجدنا انفسنا امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبي والاسلوب الصحفي وأخذ الفن الصحفي في التبلور والتطور حتى وقتنا الحاضر . واذ ذاك وجدنا له لغة تبعد بعدا ظاهرا عن لغة الادب ، فقد استحدث الصحفيون الحاليون تراكيب جديدة لم تخطر للادباء او اللغويين الاولين ، فبدلا من قولهم : انه لا بد من توضيح المسألة توضيحا لا يدع مجالا للشك نجدهم يقولون : نريد ان نضع النقط فوق الحروف ، وهناك صفات ونعوت جديدة لا وجود لها في الكتب القديمة مثل : الحقيقة الصارخة ، والاكاذوبة البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعابة السوداء ، والفيرة الصفراء .

وفي موضع آخر من هذا البحث ، سنرى مدى الدور الذي يمكن ان يؤديه الاعلام في التنمية اللغوية ، وحفظ اللغة ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحي المفردات والقواعد والأساليب وتسجيل آثارها ، واستخدامها في مختلف اشكال وفنون التحرير الصحفي والاعلامي .

ونخلص مما تقدم جميعا ، الى ان المنهج العام الذي يشق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عددا من المناهج ينطلق من ثمار علم اللغة وينظر كذلك في قضايا اللغة الاعلامية على هذا المنهج التقابلي وعلم اللغة المقارن ويمضي الى علم اللغة ويبحث في العلاقات اللغوية في الاعلام العربي المعاصر في ضوء علم اللغة الوصفي او العلوم الاجتماعية والنفسية ، التطبيقي .

والسير بهذا المنهج خطوات كبيرة ، يتوقف على التوصية بعناية اقسام الصحافة ومعاهد الاعلام باللغة العربية اهتماما كبيرا ببحث هذه اللغة بحثا علميا ينطلق من محاولة التصور ، التي اثبتناها فيما سبق ، نحو منهج عام

لدراسة اللغة الاعلامية وقيامها بوظيفتها ، فنحن نستطيع ان ننظر الى اللغة على اعتبار انها نظام من العلامات الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ، واستخدامها وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير نحو الافكار والعواطف والمشاعر .

وعلى ذلك فان علم الاعلام اللغوى ، يشق طريقا جديدا متخصصا فى تأثير اللغة على الناس ، ويتحدد التواصل اللغوى فى مفهومه بعملية تبادل المعلومات بين الافراد والجماعات ، ويظهر هذا التواصل اللغوى على شكل عبارات أو تعبيرات شفوية أو كتابية تتبادلها الاطراف فى موقف معين ، لغرض معين ، عن واقعة معينة .

والعلامات اللغوية هى العنصر الاساسى وهى وحدة تتألف من شكل صوتى ( جسم صوتى ) أو ( دال ) معنى ( مضمون ) أو ( دلالة ) .

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة الشعورية التى تتم فى وعى الافراد المنتمين للجماعة اللغوية ، وهى صور متصلة بالشكل الصوتى المعين للعلامة ومرتبطة بها ارتباطا متعسفا . أى ان العلامة اللغوية ليست هى الشكل الصوتى والصورة الكتابية المقابلة له فحسب بل لابد فيها من وجود رابطة تجمع بين ذلك الشكل الصوتى المادى والمضمون الشعورى الواعى وبهذا تكون العلامة اللغوية وحدة ذات شقين .

والعلامة اللغوية تتمثل بشكل مادى محدد فى كلمات ووسائل نحوية وصرفية تعبر عن العلاقات القائمة بين الكلمات ، أى انها تخلق من مجموعة الكلمات المترابطة فى احدى اللغات جملا سليمة من ناحية القواعد النحوية ، ولذلك فان الاعلام اللغوى ، يركز على دراسة هذا الشكل المادى للعلامة اللغوية كذلك . كما يعنى بدراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تعكس جزءا محددا من الواقع الموضوعى فى وعى الفرد المنتمى لجماعة لغوية ، ولان هذا المعنى عبارة عن فكرة ، وهذه الفكرة هى فى الوقت نفسه العنصر الاساسى من الصورة التى تعكس الواقع الموضوعى .

وتأسيسا على ذلك تتعدد الوظيفة الاجتماعية العملية للغة ، والتى يعنى بدراستها علم الاعلام ، لما تقوم به من دور كبير الان فى حياة العالم السياسية والتربوية . ويزداد بوجه خاص فى عصر الصراع بين الاستعمار والتحرر وبين قوى الاستغلال والرجعية وقوى التقدم والتطور . وان



الجانبيين يتنافسان في اجتذاب الافراد الى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من الصراع الدائر ويشركه فيه بدوره . واقرّب الوسائل التي يلجأون اليها في سبيل ذلك هي الكلمة .

لهذا كله يصبح من الزم الواجبات التي تواجه علم الاعلام اليوم ان يبحث في اثر اللغة على تفكير الناس وفهمهم للامور وتوجيه مشاعرهم وارادتهم ومسلكهم العملى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام المختلفة في احداث الاثر المطلوب .



# الفصل الرابع

## اللغة الاعلامية





## اللغة الاعلامية هي اللغة العربية الفصحى :

وتقدم اننا لا نعنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية من تجرييد نظري ، انما نريد باللغة الاعلامية انها لغة بنيت على نسق عملي اجتماعي عادي ، فهي في جملتها فن يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام .

وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبيا يرمى الى النمذجة والتبسيط ، اخص الخصائص في اللغة الاعلامية ، التي تستخدم الرموز المجسدة او الانماط او النماذج التي تقوم مقام التجريد الفردية او الجماعية لتنظيم التجارب الانسانية العديدة .

فاللغة العربية في طبيعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية او الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم شبه الجزيرة العربية .

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا امة بيان ، وللکلام عندهم مكانة العمل لان القول والعمل عندهم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هي حال الامم المغالية في الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره كما هي حال الامم البكيئة العاجزة في لسانها ، فلا غرابة بعد هذا في ان نجد الكثير من خصائص العرب وخصالهم في لغتهم (١) .

وتلك السمة البارزة في اللغة العربية ، هي التي جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (٢) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة

---

(١) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص ٤ .

(٢) « اللغة الشاعرة » ص ٦١ .

قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته في اسلوب الواقع واسلوب المجاز .

ويقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمع العربي في قوامه الاصيل انما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وان الكلمات التي تدل على معنى الجماعة في لسان العرب قلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية : فالامة هي الجماعة التي تؤم مكانا واحدا او تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هي الجماعة التي تطوف معا ، والقبيلة هي الجماعة التي تسير الى قبلة مشتركة ، والفصيلة هي الجماعة التي تفارق في مسلك واحد ، والفئة هي الجماعة التي تقيء الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجال واحد ، والبيئة هي الوطن الذي يبرء اليه اصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال او لغيره ، والقوم في جملة هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا اطلقت أولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسفر قوم من قوم » ، ومنه قول زهير :

وما ابرى ، ولست اخال ابرى      اقوم الى حصن ام نساء ؟

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية لغة دالة ، ترمى الى النمذجة والتبسيط . من خلال منهج لوضع الالفاظ للمعاني الجديدة ، يختار صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته او بعض اجزائه او نواحيه او تحديد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفته او جزئه او ناحيته او وظيفته .

في هذا الموضع تختلف الامم وتتفاوت في نظرتها الاشياء وفي وضعها للالفاظ الجديدة التي تطلقها على المسميات . وفي اللغة العربية احثة قديمة وحديثة من الالفاظ العربية . تؤكد هذه الصلة بين المدلول الاصل للفظ والمعنى المقصود منه او الشيء المسمى ، فمن الالفاظ القديمة : السهل والسما والقلب والحادة والانسان والبهت والمقل والمطل والشرف ؟ يلاحظ في هذه الالفاظ ان العرب اختاروا صفة السهولة في السهل والسمو في السسماء والقلب في القلب والعود والتكرار في العادة والانس في

الانسان ، والمبيت في البيت ، والعقل وهو الربط في العقل لانه يعقل صاحبه عن الشر ، والفضل وهو الزيادة في الفضل المعنوي والارتفاع في الشرف (٣) .

ولو نظرنا الى هذه الالفاظ الاخرى : عامل ووال وجهاد وزكاة وهي الفاظ نشأت بعد الاسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا انها اخذت من العمل ، والولاية والجهد والزكاة بمعنى النماء أو الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الالفاظ المستحدثة في عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من النظر والدبابة من دب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة . ولو قابلنا بين هذه الالفاظ وامثالها من اللغات الاخرى كالفرنسية والانجليزية لوجدنا اختلافا في طريقة التسمية وفي اختيار الصفة التي بها تكون التسمية ، فانه يلاحظ أولا ان اللغات الاخرى قلما تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ على امثال المسميات ، اما العربية فهي في اغلب الاحوال تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ التي تطلقها على مسميات جديدة كما هي الحال في الالفاظ التي استشهدنا بها وبذلك تبقى علبة التسمية ظاهرة في الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لادنى تأمل ونظر . وقد تدق احيانا وتخفى احيانا اخرى ، فالفاظ العربية في الجملة معلة (٤) .

ان العرب يذهبون حين « النمذجة » او « التسمية » الى اخص صفات المسمى او النموذج وابرازها ، او الى عمله الاساسي ، ووظيفته اكثر من ذهابهم الى ظاهره وشكله الخارجى او تركيبه واجزائه . فبينما نرى الفرنسي مثلا قد اطلق لفظ Bicyclette أى ذات الدولابين على اداة الركوب المعروفة بهذا عندهم اطلق عليها العربى لفظ الدراجة ، فالفرنسى حللها الى اجزائها ونظر الى تركيبها والى حالتها الساكنة ونظر العربى الى وظيفتها وعملها وحركتها فسمها دراجة وكذلك السيارة سماها الفرنسي (Airport) أى المتحرك بنفسه وسمها العربى بلفظ يدل على عملها كذلك قل في المكوة وهي في الفرنسية (Fer à repasser) أى الحديدية التي يتكرر احمرارها وفي المطار وهو في الفرنسية (Aérodrome) ومعناها الحرفى السباق الجوى وفي الانجليزية ( Airport ) أى الميناء الجوى وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية في الدلالة على العمل او الصفة البارزة كلفظ (Moteur) أى المحرك .

---

(٣) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص ٥١ - أيضا « فقه اللغة » ص ١٢٩ - ١٩٥ .  
(٤) المرجع السابق .

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (٥) هذا المعنى فى دلالة اسماء الامكنة فهى دلالة مضطرة على هذا المثال فى اكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها والىها .

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل وكذلك الموقع والمرجع والمأوى وكذلك المسافة بين مكان ومكان إنما هى الموضع الذى يساف قرايه للامتداء الى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة ( المشاع ) فى البادية الاولى فيطلق اسم ( القصر ) على المكان الذى يبنى مقصورا على بانية خلفا للبيوت والحياة التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان معناه ( التمسكن ) خلفا للنقلة والتنقل بغير استقرار . ويلاحظ هذا ايضا فى الكلمات التى تدل على العشيرة أو على الرابطة الاجتماعية بين الاحاد . فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر وكذلك الرفيق الذى يؤخذ من الطريق وقبل الطريق وكذلك الزميل من صحبة الزاملة والقريب الذى يقترب من منزلك وتناسبه كلمة ( العدو ) للخصم الذى يمدوك أو يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى أو نتقراه فى المعانى المجازية فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنهر والمصدر والمورد والمقام والمقامة ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ونطلق القصة على الحكاية وهى قص الاثر ونطلق الاثر على المخلقات وهى بقايا المواطىء والاقدام .

ويعتقد ان الخطر فى الفاظ اللغة من هذه الناحية تتم لدراسة اللغة الاعلامية سواء منها ما يراد لتأكيد عوامل النجاح فى ( الرسالة الاعلامية ) للبلوغ والتأثير فى الجماهير أو لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمى اليه من نمذجة وتبسيط أو للتفريق بين لغة الاعلام ولغة الادب .

فكل كلمة فى اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبلين كما يجب ان تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة أو الاستماع



أما فنون التورية وازدواج المعانى أو الهالات الانفعالية حول الالفاظ وغيرها من فنون الادب التى تؤدى المعانى وخاصة فى الشعر ، فهى بعيدة تماما عن لغة الاعلام لانها تقطع تيار الاتصال الذى يجب أن يظل مجراه صافيا نقيرا .

واذا كانت اللغة العربية كما وصفها الاستاذ العقاد (٦) هى ( اللغة الشعرية ) و ( الشاعرة ) لغة بنيت على نسق الشعر فى اصوله الفنية والموسيقية ، فهى فى جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات لا تنفصل عن الشعر فى كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء . فان اللغة العربية كذلك لغة اعلامية . ونريد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامى بمفهومه الحديث ، تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها كما انها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء ، ذلك ان فى تسميتهم لها بأسم بعينه وفى اطلاق لفظ دون غيره عليه واختيار صفة من صفاته ما يدل على اتجاههم فى التفكير وتقييمهم للاشياء .

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهم فهموا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال واستعمالهم لفظ ( المرء المرأة ) يدل على تساوى الرجل والمرأة فى الاصل عندهم ، ولفظ المروءة مشتق منهما معا ومعناه الصفات المستحسنة المأخوذة من اخلاق الانسان ذكرا كان أم انثى .

منتدى سور الأركية  
WWW.BOOKS4ALL.NET

### الفكرة الزمنية فى اللغة العربية :

من أهم المقاييس التى يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن فى أفعالها . ثم فى سائر أفعالها .

وهذا المقياس يصبح من أهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لان الصحفيين ورجال الاعلام يكتبون لكل الناس فى كل الاوقات وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات أو لكل الناس بعضا ، من الوقت ، فكل كلمة أو كل مجموعة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامى يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين ، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمن فى أفعال لفظها الأم .

---

(٦) اللغة الشاعرة - ص ٨ .

لان عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا فى تغطية الاخبار وتحريرها  
واخراجها من جهة ، كما يتميز الاعلام بالدورية والايقاع من جهة اخرى فهو  
يروى حدثا بعينه فى اطار زمن محدد فاللغة التى تدل على الزمن بعلامات  
مقررة فى الفعل انسب واصح للاعلام من اللغة التى خلت من تلك العلامات .  
وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة الاعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسب ان لغة نفهمها - او نفهم عنها - كما يقول الاستاذ  
العقاد (٧) قد اشتملت على وسائل للتمييز بين الاوقات كما اشتملت عليها  
اللغة العربية سواء نظرنا الى ضرورات سكانها او نظرنا الى تصريف  
افعالها وكلماتها .

فكل لحظة من لحظات النهار والليل كان لها شأنها فى حياة  
سكان البادية بين السفر والاقامة والحل والترحال .

فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة وما  
هو صالح للراحة الطويلة وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار .

.ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحى أو الغدوة والظهيرة والقائلة  
والعصر والاصيل والمغرب والعشاء والهزيع والقائلة والعصر والاصيل  
والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيع الاوسط والموهن والسحر  
والفجر والشروق . . ويكاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات  
على صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات فى كثير من اللغات الاخرى بغير  
الجمال والتراكيب (٨) .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه فى المرعى والانتاج وطلب الماء  
او التجارة او الامان ولهذا وجدت أسماء المواسم والقصول جميعا ووجدت  
معها ثلاثة أسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصطلح  
الفلكيين : فهى السنة وهى العام وهى الحول .

ولكل منها موضعه فى التعبير . بل لهذا وجدت للاوقات كلمات مختلفة  
على حسب الطول والقصر فى المدة .

---

(٧) « اللغة الشاعرة » - ص ٧١ وما بعدها .

(٨) المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٣ .

فالمدة شاملة لجميع المقايير من امتداد الزمن . وتنطوي فيها اللحظة  
أو الملحة للوقت القصير والبرهة والردح للوقت الطويل . والفترة للمدة  
المعتضة بين وقتين .

بل وجد فيها للزمن المقصود المعين والمهد للزمن المعهود المقترن  
بمناسباته والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان الدهر للمدة المحيطة  
بجميع الازمنة والمعهود والاحيان .

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات في لغة من اللغات التي  
تفهمها على صورة أدق من هذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها  
كما يقول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضي ، مهم عند ابناء الياضية العربية  
في كل عهود من عهوده . »

لانه مستودع المفاخر والانساب والثار والسوابق والذكريات وليس  
من المصادفة ان يسمى التاريخ باسم الايام وان يعرف لكل يوم اثر فيما كان  
وما يكون .

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة في العناية باجزائه وتقسيماته . لان كل  
لحظة منه ذات شأن في الحركة والاقامة . وفي المرعى والتجارة وفي الحرب  
والامان . »

وليس من الطبيعي ان يبلغ احساس قوم بالوقت هذا المبلغ ثم يخلو  
كلامهم من الدلالة على الاحساس به في مختلف مواضعه ومناسباته .

فاذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العرب في هذا الصدد وجدناهم  
يربطون ربطا وثيقا بين الصيغة والزمن فيقسمون الزمان الى ثلاثة : الماضي  
والحال والمستقبل مكتفين بتلك الازمنة الاساسية على ان بعض المتكلمين  
من العرب قد انكروا وجود الزمن الحالي وراوه مندرجا في الماضي والمستقبل  
بعضه في الماضي والباقي في المستقبل ولكن جمهور النحاة يابون هذا .

فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال وقال ان كان  
قد وجد فيكون ماضيا والا فهو مستقبل وليس ثم ثالث والحق ما ذكرنا وان  
لطف زمان الحال . »

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم من أقدر علماء الاجروميات والمباحث اللسانية على حد تعبير العقاد (٩) - ففي كتاب أصول الاجرمية الانجليزية مؤلفه الدكتور اتوجسبرسن يقول هذا الباحث المحقق ، ان لنا - على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماضى ومستقبل وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل ، .

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة في التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل في لغة العرب - كما يقول العقاد - فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما يأتى وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب فصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال وصيغة المضارع مسبوقة بالسين تدل على المستقبل القريب ومسبوقة « بسوف » تدل على المستقبل البعيد .

ومن أشهر اقوال النحاة العرب ما جاء في فقه اللغة للثعالبي وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قد يستعمل الماضى مكان المضارع مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلوه » أى سيأتى وقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » أى قلته ومثله وكان الله غفورا رحيمًا أى ولا يزال ، الخ - ويقرر علماء البلاغة ان التعهير عن المستقبل بلفظ الماضى انما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه ويمثلون لذلك بقوله تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور فصمق من فى السموات ومن فى الارض » أى يصمق ومن اسرار الفكرة الزمنية فى اللغة العربية الاستعمالات المختلفة للفعل ( اتى ) فنجد فى القرآن الكريم « اتى امر الله فلا تستعجلوه » .

- قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد .
- فترلى فرعون فجمع كيد ثم اتى .
- انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى .
- الا من اتى الله بقلب سليم .
- كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسل الا قالوا ساحر .
- هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .



وفى هذه الاستعمالات القرآنية للفعل « أتى » نجد أساليب مختلفة  
فى الآية الأولى زمن الاتيان هو المستقبل وفى الثانية هو ما بعد الماضى  
وفى الثالثة ما بعد الماضى أيضا وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه  
الحقائق الثابتة وفى الخامسة للمستقبل وفى السادسة لما قبل الماضى وفى  
السابعة للماضى المؤكد .

ويحق لنا ان نقول مع العقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بأكثر من  
معنى واحد : لغة الزمن لأنها تحسن التعبير عنه ولغة الزمن لأنها قادرة على  
مسايرة الزمن فى عصرنا هذا وفيما يلى من عصور .

### اللغة العربية لغة معرفية :

تقدم اننا فى لغة الاعلام لابد ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين  
الاسلوب ( المعرفى ) الذى يؤدى الى معلومات والاسلوب ( اللامعرفى )  
الذى يؤدى الى خرافات وأوهام لتتقية اللغة الاعلامية من الاستعمال  
التخديرى للغة الدعاية والسياسة .

فعندما يقول شخص لآخر « صباح الخير » فإنه لا يعنى التفسير  
الإشارى للعبارة وإنما يريد ان يحدث تأثيرا عاطفيا أو إقامة صلة قوية  
بصديقه .

وعندما أشار تشرشل الى الألمان بلفظ ( الهون (Huns) كان  
يريد إثارة الكراهية ضدهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل  
الجرمانية . وعندما يسب شخصا آخر ناعثا أيا به بأنه حيوان أو كلب فإنه  
لا يريد المعنى الإشارى أو الإخبارى بقدر ما يريد إثارة الغضب والتحقير  
والازدراء (١٠) .

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشيء فإننا كما يقول  
الدكتور ابراهيم أمام - نلاحظ فى مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين  
الرمز والشيء أو بين اللفظ ومدلوله فالراية الحمراء رمز الخطر ولكنها  
ليست الخطر نفسه . وكلمة أسد ليست هى الأسد نفسه وإنما هى رمز له .

---

(١٠) أمام : العلاقات العامة والمجتمع - ص ٢٢٩ .

وقد يبدو أن هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ولكننا نجد البدائين بل الكثير من المحدثين أيضا يخلطون بين الرمز والشيء . .

وفي جنوب إيطاليا - لا يلفظ اسم الشخص الممسود اتقاء لخطره إذ يعتقد الإيطاليون أن مجرد نطق الاسم خطر داهم لذلك يشيرون إليه بعبارة ( الذي لا يسمى ) وكلمة الموت لا تلفظ صراحة في معظم اللغات وإنما يستعاض عنها بالفاظ وعبارات مختلفة دفعا لشر هذا الرمز .

وإن رأى هو - كما يذهب الدكتور أمام (١١) - أن الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففي البداية كانت اللغة تتأثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فأصبحت عملية وجدانية وأخيرا بدأت مرحلة التعبير العقلي .

فالمجتمع البدائي يؤمن بقوة السحر الكامنة في الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بالاشياء وكان المصريون القدماء يعتقدون بأنه هو الكلمة ولا تزال هذه العقيدة سائدة في معظم الأديان ولكن بصورة تتناسب مع التوحيد ، ثم تطورت اللغة في مدارج التعبير العاطفي الوجداني ، فاستغلها الكهنة للتأثير في الناس بالعبارات الغامضة والكلمات ذات الجرس الموسيقي والتي تشبه المخدر .

ولا شك أن الاستعمال التخفي للغة في السياسة والدعاية لا يزال منتشرا فالخطب المسموعة والالفاظ الرنانة والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الاتعمالية تؤثر جميعها في مواطن الناس وخاصة في المستويات الحضارية المختلفة .

وهذا الاستعمال التخفي للغة هو الذي تشجعه الدعاية . أما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلي الفكري والناقشة الواضحة الناضجة .

وقد كتب حديث اللغويين عن هذين النوعين فنرى في دراساتهم أبحاثا عن : الفكر العلمي المعرفي والفكر العاطفي ، ويبحثون عن خصائص النوعين في الالفاظ والمعارف والموضوع وما يثيره كل من النوعين في الأذهان والحواس وما يهدف إليه الفكر المعرفي من محاربة التعبير عن الأفكار

---

(١١) المرجع السابق - ص ٢٢ .

بقدر مساهمة من العبارات رغبة في إبراز الحقائق المجردة دون مبالغة فيها ودون التأثير في الأذهان بالصور الخيالية والمجازات أما في النشر العاطفي فإن الأمر لا يكاد يقتصر على مدلولات اللفاظ بل يتعدى هذا إلى ما يلي المدلولات من ظلال المعاني ولما تثيره في ذهن من صور وأخيلة يتأثر بها السامع أو القارئ ، وتستنتج منها الأذهان من المعاني فوق ما تحملته تلك اللفاظ أو العبارات ولذلك يمكن الربط بين النشر العاطفي والشعر أو يمكن أن يعد نوعاً من الشعر غير منظوم .

ومع هذا يرى هؤلاء أن ليس من اليسير أن تضع حداً فاصلاً بين النوعين : المعرفي والعاطفي ، فلا يكاد يخلو المعرفي من كل عاطفة خلوا تماماً كما نرى في العاطفي أحياناً عبارات لا تهدف إلا إلى التعبير عن الحقائق

ولكن « فندريس » يذهب في كتابه « اللغة » إلى الفصل بين النوعين حتى كاد يجعل كل منهما لغة مستقلة فيتخذ من أسلوب التخاطب بين الناس ميداناً لتلك اللغة الانفعالية ومن الأسلوب ميداناً للغة المنطقية .

ولعل أوضح ما في علاجه لهذين النوعين شرحه لاختلاف ترتيب الكلمات في كل منهما إذ يقول :

« ينحصر الفرق الأساسي بين اللغة الانفعالية واللغة المنطقية في تكوين الجملة . وهذا الفرق ينبثق جلياً عند ما نقارن اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة فاللغة المكتوبة واللغة المتكلمة تباعدان في الفرنسية أحدهما عن الأخرى إلى حد أنه لا يتكلم إطلاقاً كما يكتب إلى جانب الاختلاف في المفردات وذلك لأن الترتيب الذي تتماسك فيه الكلمات في الجملة المكتوبة ينفصم دائماً في الجملة المتكلمة إن قليلاً أو كثيراً .

وهذه الخاصية المعرفية في اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة إلى تركيب مفرداتها على حدة إلى تركيب قواعدها وعباراتها في بنية الشكل الصحفي وفنون الإعلام المختلفة .

فاللغة العربية في طبيعة تركيبها لا تحتاج الجمل الخبرية ( الإعلامية ) فيها إلى أفعال الثبات أو ما يسمى في اللغات الغربية « فعل

الكيونة ، فنحن نقول فى العربية على سبيل الاخبار ( فلان شجاع ) -ون  
حاجة مثلهم الى ان نقول : فلان هو شجاع ونقول : « كل انسان فان ،  
دون حاجة الى ان نقول « كل انسان يكون فانيا ، او « كل انسان يوجد فانيا ،  
او كل انسان كائن فان » .

كما هو شأنهم فى تركيب كلامهم واذا قلنا مثلا ان ( الامة العربية  
واحدة ) ثبت هذا المعنى فى اذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شئ من  
الخارج لا فعل الكيونة ولا أى رمز من اللغة .

والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة ماثلة دائما فى نفس العربى  
يلتفت اليها حين يواجه المعنى فاذا اراد ان يبرزها او ان يؤكد مثلها بلفظ  
كقوله « انه هو الحق » (١٢) .

ومعنى هذا ان الاسناد فى اللغة العربية يكفى فيه انشاء علاقة معرفية  
بين ( موضوع ) ( محمول ) او مسند اليه دون حاجة الى التصريح بهذه  
العلاقات نطقا او كتابة فى حين ان هذا الاسناد الذهني لا يكفى فى اللغة  
( النهدي - الاوربية ) الا بوجود لفظ صريح مسموع او مقروء يشير الى هذه  
العلاقة فى كل مرة وهو فعل ( الكيونة فى اصطلاحهم ) .

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالفاظ فذلك من اجل المعانى أى لكى  
يؤدى الرمز وظيفة معرفية تحفز السامع او القارئ للعمل .

وخير الادلة على ذلك لغة القرآن الكريم ، والتي وصلت الى اقصى  
آيات الاعجاز لفظا ومعنى فكان لها ذلك التأثير العظيم فى استنهاض الهمم  
لتحقيق المثل الانسانى الأعلى .

وتأسيسا على هذا الفهم لروح اللغة العربية ، قال ابن جنى فى « الخصائص »  
فى باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ .

فاذا رايت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها وزينوا حواشيها  
وهذبوها وصقلوا غريبها فلا ترين ان العناية اذ ذلك انما هى بالالفاظ

---

(١٢) مقال الدكتور عثمان أمين - مجلة العربى العدد ١١٨ - ١٩٦٩م  
الكويت .



بل هي عسنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ثم قال : « فكان العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها » . وقد قال رسول الله ( ص ) ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مساند واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم اشرف من الخادم والاخبار في التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتى عليها . .

واذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغات الاوربية من حيث ان الجملة في الاخير اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا يتقدم الفعل فيها الا شذوذا في حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على انتظار فان القول في الذهن العربي هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ومن هذا يتساوى « القول » و « ان نقول » في الادراك الصحيح (١٣) .

على ان الجملة الاسمية موجوده في اللغة العربية ، وليست مع وجودها قليلة الاستعمال في موضعها فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل على الفعل ولكنه تقدم للكلام على حسب مواضعه وتصحيح لوقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السامع . وتلك اخص الخصائص في لغة الاعلام .

فاننا نقول « محمد حضر » اذا كنا ننتظر خبرا عن محمد او عن حضوره على الخصوص ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبرا عن الاخبار على اطلاقه ولا يلزم ان يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره محمد او لعله خبر سفر وليس بخبر حضور او غير منتظر (١٤) .

وخاصة اخرى تجعل اللغة العربية اكثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحية المعروفة وهي خاصه « الايجاز المعرفى » وفي هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانه عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها واوضحها ابانه عن

---

(١٣) العقاد : اشتات مجتمعات - ص ٥٧ .

(١٤) المرجع السابق - ص ٦٠ .

المقاصد لدلالة غير الكلمات الحاصلة على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل عن المفعول والمجرور أو المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير الفاظ أخرى ، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب . وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما تقدره بكلام العرب .

وتلك أخص الخصائص في لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة في لغات الغرب إلى أن الأسلوب الاعلامي يعني : « إعطاء الحقائق بأقصى ما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظروف (١٥) » .

ومن ذلك اختلاف صيغة المبني للمجهول بين اللغات الأوربية واللغة العربية لأن العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل الثلاثي والفعل الرباعي أو الخماسي أو الفعل المزيد على الجملة بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (١٦) .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول : فتح الباب « بصيغة المجهول » ولكن العبارة الأوربية التي تدل على ذلك تقابل قولنا ( أن الباب يكون مفتوحا ، أو أن الباب صار مفتوحا ) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لأنه أقرب إلى الوصف منه إلى الأخبار أو الاعلام ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا ( أن الباب مفتوح ) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم وهي صيغة الفعل المطاوع فيقول القاتل ( انفتح الباب ) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالة الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للمجهول .

ويظهر الفارق في الدلالة على المعاني المختلفة عند استخدام الفعل في الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه أن يعرف من الذي فتح الباب .

---

(١٥) المطارد : المصنف مجهول - ص ٦٢ .  
(١٦) المطارد : المصنف مجهول - ص ٦٢ ، ٦٤ .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجهاً - أيضاً الى سامع يهمل أن يعلم شيئاً عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك وهي حالة أنسان منتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذى فتحه كما لا يعنيه ان يقول له المتكلم انه يجهله أو يسكت عنه .

فى هذه الحالة يقول العربى : « انفتح الباب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التى ينتظر فيها السامعون خبراً عن فاعل الفتح ، معلوماً كان أو مجهولاً أو مسكوناً عنه مع علم السامع به تعدداً لاختفائه أو لاهماله .

واللغة الدقيقة التى استوفت وجوه الدلالة - هى كما يقول الأستاذ العقاد (١٧) اللغة التى تلاحظ مقتضى الحال فى كل عبارة من العبارات الثلاثة ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذى لا لبس فيه .

وهذه هى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعانى المقصودة فى الاتصال الاعلامى على حسب ارادة المرسل والمستقبل أو على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين .

وهذه الصفة فى اللغة العربية تميزها بما يمكن أن نسميه « الدينامية » أو الحركية ، التى تجعلها اصلح اللغات لطبيعة الاعلام ، وتمنحها طواعية فى ايراد حادث وقع حالاً يبعث على اهتمام القراء به .

كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يريدون أن يلموا به من سرد صحيح موقوف لاحداث وكشوف وارهء وامور من أى نوع تؤثر فى القراء أو تثير اهتمامهم .

فاللغة العربية بذلك تضم فى ثناياها أخص خصائص لغة الاعلام وهى العلاقات المتغيرة بين الانسان والانسان وبين المرء وبيئته ، اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو مادية أو غير ذلك من العلاقات .

---

(١٧) العقاد : اشتات مجتمعات - ص ٦٣ ، ٦٤ .

وعلى ذلك فإن فى اللغة العربية طواعية تمكنها من الاجابة على الاسئلة التى تجول فى خاطر رجل الاعلام دائما وهى : « ماذا حدث » « ماذا يجرى الان ؟ » « والا من جديد ؟ » « ائمه ما يثير » « اهنالك ما يؤذن بجديد ؟ » .

ومرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية الاصيله فى اللغة العربية والتى تبين من تكييفها وفقا للقوالب الاعلامية المختلفة بحيث استخدمت فى الصحافة الحديثة وفى الوسائل الاعلامية المستحدثه ولم تقع فى اخطاء لغوية ولاسيما عند صوغ العناوانات المختصره .

ذلك ان الخصائص التى تتميز بها لغة العرب استوفت وجوه الدلالة على ما نعلم فى ملاحظة مقتضى الحال وكذا ما رأينا من ذلك مثلا خاصيتها فى المبنى للمجهول ، ووجدنا العربية تثبت للفاعل درجاته وانواعه بدقة نبعت من منطق اللغة الذى يفهم بالقياس كما يفهم بالسمع والتوقيف .

ولذلك فأننا عندما نقول فى معطيات هذا الفصل : ان اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى نعننى ذلك جميعا على نقيض ما يذهب اليه البعض فى اللغات الاوربية (١٨) من ان لغة الاعلام لغة الفن الصحفى بالذات مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الاصلية الفصيحة .

والاعتراضات التى تثار حول اختيار عبارات العناوانات فى الصحيفة هى اعتراضات اقرب الى الجوهر منها الى القالب فاللغة فى العناوانات لا يقصد بها الا عرض الخبر عرضا موجزا أما الخبر نفسه فينبغى الا يكتب بهذا الأسلوب الموجز .

على ان اللغة العربية بمرونة خصائصها ، تمكنت من تجاوز هذه الاعتراضات لانها لغة تتميز بالايجاز والوضوح والنفاز المباشر والتأكيد والاصالة والجلال والاختصار والصحة .

وذلك ما عنيناه من قولنا : ان اللغة العربية لغة معرفية .



## اللغة العربية وظيفية هادفة :

ويبين مما سبق أن اللغة العربية تمتعت بخصائص إعلامية تجعلنا نلاحظ أنها تتفق مع غايات الاعلام الحديث ، من حيث أنه أداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته لأنه يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعاني والأفكار اليهم .

وذلك ما نريد ان نذهب اليه من قولنا : أن اللغة العربية وظيفية هادفة لأنها كما رأينا لغة معرفية تهدف الى الاعلام والتفسير والتوجيه والتنشئة الاجتماعية .

فإن من خصائص هذه اللغة العربية في تعبيراتها أن الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالاتها الشعرية المجازية ودلالاتها العلمية الواقعية في وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين .

فكلمة الفضيلة تدل بغير لبس على معنى الصفة الشريفة في الإنسان ولكن مادة فضل بمعنى الزيادة على إطلاقها لا تفقد دلالتها الواقعية على المواد المحسوسة بل يصح عند جميع المتكلمين والمستمعين أن يفهموا « فضول » القول على أنه وصف غير حميد ، لأن الزيادة في غير جدى تخالف الزيادة المطلوبة اذا كان المقام مقام القول في صفات الكلام .

ولا يصعب الجمع بين التعبير الواقعي والتعبير المجازي الشعري في منات من الكلمات تجرى على الالسنه كل يوم وتؤدي الى السامعين معانيها النظرية الفكرية ومعانيها الحسية في وقت واحد بغير لبس بين المقصود في كل مقام . فاللغة العربية إذن تستطيع أن يكون لها تعبيرها الذي يناشد حاسة الجمال لدى القراء وتتضمن أيضا اتصالا ناجحا أساسه الوضوح والسهولة والوظيفة الهادفة ، وسيلته اللغة العربية الاعلامية تكاد تجعل منها فنا تطبيقيا قائما بذاته لتصبح تعبيراً اجتماعياً شاملاً في الاتصال الجماهيري لأنها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافي من علم وفن وموسيقى . الخ .

هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة فاللغة العربية تمتاز بدقة تعبيرها ، والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة والأفراد المتفاوتة والأحوال المختلفة سواء في ذلك الأمور الحسية والمعنوية .

ومن أمثلة ذلك أن : المشى عام ، ودرج للصبي الصغير ، وحيا للرضيع وحجل الفلام أن يرفع رجلا ويمشى على أخرى وخطر الشباب باهتزاز ونشاط ، ودلف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربة ، وهدج مشى مثقلا ورسف للمقيد واختال وتخلج وأهطع وهرول وتهادى وتاود أنواع من المشى (١٩) .

والنظر عام ، ورمقه نظر اليه بمجامع عينيه ، ولحظه نظر ليه من جانب اذنه ، ولحه نظر اليه بعجلة ، وحدجه ونظر اليه شزرا أى نظر العداوة واستشف الثوب رفعه لينظر الى صفاقته واستكفه واستشرزه نظر اليه وصدق جمع عينيه لشدة النظر وتصفح نظر فى كتاب أو حساب ليكشف صحيحه من سقيمه .

والطيران عام ، الدف والاسفاف والرفاقه والتحليق والتدويم والرفيف أنواع مختلفة له .

فالدقة فى العربية دليل على بلوغ أصحابها درجة عالية فى دقة التفكير خاصة اعلامية تجعلنا نقول أنهم يتصفون بمزيد الوضوح وتحديد المقصود تحديدا يقتضيه المنطق العلمى ولا يمكن أن تكون اللغة البعيدة عن الدقة المتصفة بالعموم أو الأبهام أو الغموض أداة للتعبير الاعلامى الدقيق ، ولابد من التقابل فى الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوى والدقة فى التعبير أداة لابد منها لرجل الاعلام صحفيا كان أم اذاعيا لتصوير دقائق المعلومات وإبرازها فى جوانبها الخاصة المتميزة وصفاتها القائمة على الوظيفية الهادفة .

ونحن اليوم أحوج ما نكون الى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا وأحياء الفروق بين الألفاظ لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم الفنى الهائل وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد أصيبت فى عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والأبهام ، كنتيجة لافتقار وظيفتها الهادفة فى هذه العصور فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة ، وغدت مترادفة وكثر استعمال الألفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن معانيها الاصلية فضاع الفكر بين الحقيقة

---

(١٩) « فقه اللغة ، للثعالبي - ط ١ ص ١٥١ - ٨٢ ، ١٥٧ .

والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة وأصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة وأداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة أو موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع ، فإذا كان الموضوع وصف حديقة أو تعزية صديق أو التعبير عن فرح أو طرب لم يتغير الكلام أيا كانت تلك الحديقة وفي أي بلد وأيا كانت مناسبة التعزية أو الفرح (٢٠) وفي ذلك قتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامية من إبراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين أيام ازدهار اللغة كانوا يدركون هذه الميزة من المزايا العربية فعنوا بإبراز الفروق بين الالفاظ في مؤلفات خاصة ككتاب الفروق « لابی هلال العسكري » وأبواب الفروق من كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة والقسم الأول من « فقه اللغة واسرار العربية » للشعالبي .

كما كان كتاب العربية يحرصون على هذه الميزة الاعلامية في لغتهم فيضعون الالفاظ في مواضعها ويحرصون على دقة التعبير فكان الجاحظ يستعمل الالفاظ التي تتخصص مدلولاتها بما لا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فإذا ذكر آله أو أده أو طعاما أو لباسا أو شيئا من هذه الأشياء المادية ذكرها بأسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصيص بين أنواعها المختلفة فمن ذلك الشبوط والجوافه والشلقه لضروب السمك والجعفرية لضرب من السفن ، والسرجه والمصباح والقنديل ما يستصعب به والصمام ما تسد به القوارير والكماح للعامل الذي ينظف المتاعب والمجارى والشارع للسكة الكبيره والرائع للطريق الضيقه بين المنازل (٢١) الخ .

ونجد مثل هذه الدقة في الوصف عند كثير من كتاب العربية في مختلف العصور ولاسيما في القرون الأربعة الأولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادي ( ٥٥٦ هـ - ٦٢٩ هـ ) فقد كان دقيقا في ملاحظته وتعبيره في رحلته الى مصر التي سماها « الآفاده والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث في الانسان الدهشه والتعجب فمن ذلك قوله في وصف البامية وهي ثمر بقدر أبهام اليد ، كأنه جراء (٢٢) القثاء ، شديد الخضرة الا ان عليه زيرا مشوكا ، وهو من حيث

- 
- (٢٠) محمد المبارك : خصائص العربية ص ٦٢ .  
(٢١) محمد المبارك : فن القصص في كتاب النجلاء للجاحظ ص ٢٨ .  
(٢٢) جراء جمع جرو الصفار من كل شيء .

الشكل يحيط به خمسة اضلاع فاذا شق عن خمسة أبيات بينها حواجز وفي تلك الأبيات حب مشطف ، مستدير أبيض أصفر من اللوبيا ، هش ، يضرب الى الحلوة وفيه قبض ولعابه كثيرة (٢٢) .

بهذا الأسلوب البسيط الدقيق في كلماته وصف البغدادي في رحلته هذه سائر ما شاهده في مصر من النيات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وإنما كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها الدقيقة في دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفية للغة التي استخدمها كتاب العربية خير استخدام جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ - وهو من كتاب القرن الثالث الهجري - يمكن ان يكون أول صحفي ممتاز أو انه عاش في القرن الذي نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم أمام (٢٤) . يمكن النظر الى أدب الجاحظ في مجموعته على انه أدب تتوفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفي لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس في المجتمع وهو في الوقت نفسه غزير الانتاج الى درجة تلفت النظر وانتاجه وثيق الصلة بالأفكار في تلك البيئة العباسية من دين وسياسه وثقافة وعادات وتقاليده الاجتماعية لقد كان الجاحظ موسوعي المعرفة دقيق الملاحظة سلس الأسلوب قوي العارضه ساخر متهمكا ، ولكن دون مراره .

وأهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا يجسم أفكاره تجسيما مشوقا أخاذا . ويكفي أن نشير الى رسالة الترييع والتدوير التي وصف فيها أحمد بن عبد الوهاب لكي نبين عبقرية الجاحظ في فن الكاريكاتور القلمي . فضلا عن ذلك فانك تلمح في كتابات الجاحظ حبا للحياة ولعنا بالناس وتقديرا للإنسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الأفكار المجمدة ولكنه أديب أقرب الى الصحفي يكتب عن المجتمع بأسلوب رشيق سلس أخاذا .

وبمقارنة الجاحظ بمعاصريه نستطيع أن ندرك خصائص أسلوبه القريب من الصحافة فابن المقفع مثلا أديب وأديبه خلاصه مطالعته وتجاربه وتجارب أسلافه من البيئة الفارسية القديمة ، وهو يسلك في كتابة أدبه طرقا فنية

---

(٢٢) عبد اللطيف البغدادي في مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة ص ٢٠ .

(٢٤) دراسات في الفن الصحفي - ص ٤٤ .



خالصة ، وهي تعبير مجازى ممتاز كان يتحدث على السنة الطير والحيوان ويعتمد على الصور البيانية الرائعة ولكنه مستوى أدبي جمالى يرتبط بالرمز الفنى ولا يتصل بالواقع العملى الا اتصالا يسيرا .

### النمذجة والدقة فى اللغة العربية :

تقدم اننا نعى بالنمذجة فى لغة العرب أنها لغة دالة ، والنمذجة والتبسيط من أهم سمات لغة الاعلام التى تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كما لو كانت وحدات مستقلة ، وهى نمذجة مقصورة لاسباب خارجية أهمها التبسيط للجماهير التى تحتاج الى الفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والافكار العامة التى نشأت فى الحياة الانسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى الالفاظ العامة والأنماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير عن هذه المعانى العامة فى الميدانين المادى والمعنوى منذ عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما فى حياتها وتطورها ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفصل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فيأتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه وتصلح المادة الواحدة أساسا كاملا من المعانى المتفرعة عليها (٢٥) .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه والمتكلم هو صاحب الشأن فى اختيار

---

(٢٥) العقاد « اشتات مجتمعات » ص ١٠٠ - ١٠١ .

الكلمة وليست الكلمة هي العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من أصلها ارتجالاً أو محاكاة لصوت أو تلفيقاً للأجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمره أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة والصفة المرتته بالحدث والزمان (٢٦) .

فالتكلم المميز هنا هو صاحب الشأن في تصريف المشتقات على حسب أغراضه واحتمالات تفكيره واللغة وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق القواعد التي يتبعها تكوين المفردات قبل ان تعرض لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات أو انشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدته تأتي للمتكلم بشيء جديد يحتاج الى لفظ جديد ولذلك لم تضع الرابطة الاشتقاقية بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيناتها ومساكنها فكلمة « طائرة » وسيارة وهاتف واشتراكية ولدت في هذا العصر ومع ذلك فان الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين طائر ومسير وهاتف الجن وشرك مع ان بين ميلاد تلك الالفاظ وقربياتها هذه مده تزيد على خمسة عشر قرناً . ولانزاع في ان منهج اللغة العربية في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني والنماذج لا يسهل اداؤها في اللغات الأخرى في نطاق التركيز الاعلامي الذي هو سمة الأسلوب العربي الأصيل .

فالالفاظ المنتسبة الى أصل واحد تشترك في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام كالطيران في طائرة والسير في سيارة وتسير والاشتراك في الشرك والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول أن العنصر الثابت من اللغة والمكون من جزء مادي هو الحروف الثابتة في مادة الكلمة وجزء معنوي هو معناها العام ، هو أداة النمذجة ووسيلة الاتصال بين جماهير الأمة العربية :

واذا كانت النمذجة في لغة الاعلام لا تقتصر على الشخصيات بل تتجاوزها الى الأفكار والمذاهب والعقائد بحيث أصبحت هناك أفكار ثابتة عن الشيوعية أو الرأسمالية وتلقى الجماهير ثقافتها ومعلوماتها من خلال هذه

---

(٢٦) نفس المرجع ص ١٠٢ .

النماذج ، فقد كانت العربية من أوائل اللغات استخداما للنمذجة عن طريق استخدام العام مثلا في بعض ما يدل عليه لسبب اجتماعي ما يزيل تقادم العهد عموم معناه ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله ولدينا في اللغة العربية آلاف من أمثلة هذا النوع .

فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الاسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر أو النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود . الخ

فالصلاة مثلا معناها في الأصل الدعاء - كما جاء في القرآن الكريم : « واصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » - ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة المعروفة لاشتغالها على مظهر من مظاهر الدعاء حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها الى غير هذا المعنى . والحج معناه في الأصل قصد الشيء والاتجاه اليه ثم شاع استعماله في قصد البيت الحرام ، حتى أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشعيرة ، الخ .

وتقوم النماذج في اللغة العربية كذلك على أساس كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي ما يؤدي غالبا الى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله . فمن ذلك مثلا في اللغة العربية كلمات المجد والاقن والوغي والغفران والعقيقه ، الخ . فالمجد معناه في الأصل امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلي وأصبح حقيقه في هذا المعنى المجازي ولهذا السبب نفسه انتقل معنى « الاقن » من قلة لبن الناقله الى نقص العقل وانتقل معنى « الوغي » من اختلاف الأصوات في الحرب الى الحرب نفسها ، الخ . . .

ان هذه الخاصة في اللغة العربية من نمذجة للمعاني تستهدف التبسيط في شكلها المتسع المتنوع الموجود في العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية كمعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية وهي ليست أنماطا ثابتة لا تتغير ولكنها ترتبط بالتطور الفكري والاجتماعي وحاجته الى نماذج أو أنماط جديدة وقد حدث شيء من هذا في تاريخ العربية فقد استعمل في العصر العباسي ما سموه بالمصنر الصناعي كالانسانية والحيوانية وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية وغيرها .

أن أوزان العربية وأبنيتها هي إحدى مقوماتها وخصائصها المميزة ،  
وهي كما تقدم تقوم بوظيفة إعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التي  
تستعمل للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة في اللغات  
الأوربية .

### العربية لغة الاعمال :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن اللغة العربية تتضمن في أبنيتها  
الوظيفية الهادفة ، وتتضمن اتصالا ناجحا أساسا الوضوح والسهولة  
والسلاسة ، وتركيبها والفاظها ، وهي جميعا خصائص إعلامية : فهي لغة  
معرفية تقوم على الوظيفية والتبسيط ، وهي لغة عملية تعبر عن الحياة  
والحركة والعمل والانجاز لأنها لغة قوم يتلزم عندهم القول والتفكير والعمل  
في حياتهم فقول العربي تفكيره ، وتفكيره بدء لعمله ، ولذلك اعتبره الشاعر  
الجاهلي زهير أحد شطري الإنسان إذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف  
فؤاده » .

تلك بعض السمات في اللغة العربية ، هي اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريف أن هذه اللغة الحية هي نفس اللغة التي اقتربت من الأدب  
عند الجاحظ بأسلوبها السهل الممتع القوى المعبر المتدفق في حيويه وإيقاع .

ومن ذلك يبين أن اللغة العربية - وهي وعاء العقل العربي - تتميز  
بخصائص إعلامية نشأت فيها من روح الأمة العربية وتجاربها المتراكمة  
المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية واستجابتها لمتطلبات الحياة  
ومقتضيات الحضارة وتدل كذلك على الذهن العربي المتمتع بالنقاء والصفاء  
والافتح والانطلاق وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية وأنعكس كل  
ذلك على اللغة العربية وظهرت في مفرداتها وتعابيرها الخصائص الإعلامية  
النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجد في أقوال العرب : اللفظ المعبر ،  
المستل عن وظيفته في الجملة ، والجملة الصحيحة المستولاة عن دورها  
وظيفتها في تأدية الفكرة وإيضاح المعلومات .



## الفصل الخامس

### لغة التعبير الاعلامى



تقدم أن اللغة - شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور في مختلف عناصرها : أصواتها وقواعدها ومقتضاها ودلالاتها وأنه ينبغي علينا أن نربط بين دراستنا للغة ودراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي والإنساني الأخرى وأن نفكر دلالة كل لفظ في إطار السياق الحقيقي الذي تنتسب إليه ، واللغة بهذا المفهوم تعد نمطا من أنماط السلوك البشري لا يؤدي مجرد وظيفة ثانوية بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به - دورا فريدا لا يمكن أن يحل محله شيء آخر والكلمات المنفردة هي في الواقع تصورات لغوية لا وجود لها في الحقيقة إذ أنها تحتاج تحليل لغوي متطور . . . ذلك لأن طريقة الجماعة اللغوية في التفكير والظهور واسلوبها في تجربة العالم واتخاذ موقف منه لا تتوقف في الحقيقة على بنية اللغة ، وما يطرأ عليه أثناء تطورها التاريخي المستمر من تغييرات أو يعرض لها من تقلبات ومصائد - بل تتوقف على واقع الحياة التي تعيشها الجماعة اللغوية وتتحدد بالظروف الموضوعية التي تحيط بالناس .

فليست اللغة - على حد تعبير الدكتور جنتر هينزه - هي التي تحدد التاريخ - بل أن الناس هم الذين يحددونه من خلال صراعاتهم الدائم مع العالم ، ومواقفهم المختلفة من الواقع ومواجهتهم المستمرة للبيئة .

فلم يسبق من قبل أن كان للكلمة المنطوقة أو المكتوبة مثل ما لها اليوم من قوة وسلطان ، فأصبحت تصل إلى كل هذه الأعداد البشرية التي تقرأها أو تسمعها في وقت واحد ، أن عصرنا وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة (١) ، .

لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأوسع أبعاده لقراء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الإذاعة المرئية والسموعة

---

(١) مجلة الفكر المعاصر العدد ٦٤ - القاهرة ١٩٧٠ م .

تدخل الكلمة المنطوقة في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات  
الآلاف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وأرائهم وسلوكهم .

وتصبح الوظيفة الاجتماعية للغة - موضوع - علم الاعلام اللغوى ،  
الذى يدرس المنفعة العلمية للغة ، بحثا في ذلك الاستخدام الذى لا يهدف من  
ورائه الى توصيل - معنى او مفزى او دلالة لغوية معينة - بل يرى اللغة  
وظيفة اجتماعية بحتة . . بحيث لا يمكن فصل الناحية اللغوية للعبارة عن  
السياق الاجتماعى والثقافى - فاللفظ يرتبط ارتباطا قويا بالموقف الذى  
يحدث فيه - اى بالناس والاشياء التى يتعاملون بها - هذا مما حدا  
بماليونفسكى ان يقول عبارته الماثورة في مقاله « مشكلة المعنى في اللغات  
البدائية ، الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما البعض ارتباطا لا ينفصم ،  
وسياق الموقف لاغنى عنه لفهم الالفاظ .

وينكرنا كورتسبسكى ان اغلب مشكلاتنا الاجتماعية متركزة حول  
مصطلحات غامضة كثيرة الصور - وهذه المصطلحات تتداخل مع انفعالاتنا  
تدخلا نتج عنه ان استجاباتنا الدلالية تصبح مختلطة ايما اختلاط - ويرجع  
كورتسبسكى الانحرافات الشخصية والقومية والعالمية الى « ردود الفصال  
عصبية - دلالية تستلزم اعادة التربية » .

ويقول كورتسبسكى « ان اكثر شقائنا في حياتنا لا ينشأ في الميدان  
الذى تنطبق عليه كلمة « صادق » او كاذب بل في الميدان الذى لا تنطبق عليه  
احدى هاتين الكلمتين اى في المجال الكبير مجال الوظيفة النسبية وخلق  
المعنى حيث ينعدم لا محالة » ويصف كورتسبسكى الرموز مثلا « النقود »  
بانها تجريدات بالغة القوة تحكم حياتنا عن طريق الذين يسيئون استعمالها  
- اى الذين يبيعون في استعمالها استعمالات مضللة ويرى كورتسبسكى  
اخر الامر كما رأى ثورمان ارنولد ان حل مشكلاتنا يتلخص في ان نعتز على  
من يستعمل رموزنا استعمالا صحيحا . وقد درس ارنولد مشكلة « الرموز  
بما فيها الكلمة وناقش سلطاتها علينا وحلل في كتابه المشهور « فولكلور  
الرسائية (٢) القوة السحرية التى تمتاز بها بعض العبارات الاسرة في  
اللغة الانجليزية الاميركية مثل الدستور ومجلسو هذا البلد تحليلا يثير

---

The Folklore of Capitalism

(٢)

The constitution of the founders of this country



الضحك المر والسخرية وقضية ثورمان اننا يحكمنا من يسيثون استعمال  
ما للكلمات من سلطان ، موجهينه الوجهة التي يرضونها ولكنه لا يقدم  
اقتراحا لوقف هذه الاساءة اللهم الا القيام بتمرينات « مقوية » ، في تعريفات  
الكلمات والموضوعات .

وهكذا يبدو لنا أن اتباع كورتسيسكى من أمثال سستيورات  
تشيزوهاياكاوا قد اهتموا بإبراز مدى حاجتنا الى توضيح الموضوعات  
والاشياء والاسماء في مجالات - مختلفة كالقانون ، والاقتصاد والحكم  
والادارة والاجتماع ، ولكنهم يسرفون في الوعود اذ يرون اننا حالما نصل  
الى التعريفات الواضحة للموضوعات والكلمات ، وحالما نبحث الكلمات  
التي لا معنى لها فاننا نصل الى حل مشكلاتنا الاجتماعية .

ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ترى أن الدراسة الدلالية - وهي دراسة  
لغوية في اصلها ستحل المشكلات الاجتماعية غير اللغوية كال فقر ، والجهل  
والحرب . الخ . ولكن لا شك أن قراءهم تعتريهم خيبة الأمل أو يصيبهم  
اليأس عندما يدركون آخر الأمر أن « التحليل الدلالي » لن يحل لهم مشكلاتهم  
الاجتماعية على أى وجه من الوجوه (٣) .

ولكن الذى لا شك فيه أن الخلط المقصود من استعمال الكلمات -  
والتفنن في تضمينها احياءات مخالفة - مسائل تمارسها مجتمعاتنا المتحضرة  
على نطاق واسع وخاصة في مجالات الاعلام السياسى والاتصال بال جماهير  
ولا شك أيضا أن علماء الدلالة يستطيعون أن يقدموا للاعلاميين وعلماء  
النفس وغيرها من المشتغلين بالاتصال الجماهيرى عوناً صادقاً لحل مشكلات  
انحراف الراى واساءة استخدام الرموز (٤) .

وقد اهتم علماء العرب بدراسة موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى  
- فقال متى بن يونس لابی سعيد لا حاجة بالمنطقى الى النحو ، وبالنحو حاجة  
الى المنطق لأن المنطقى يبحث عن المعنى والنحوى يبحث عن اللفظ ، فان مر  
المنطقى باللفظ فبالعرض وأن مر النحو بالمعنى فالمعنى اشرف من اللفظ ،  
واللفظ أوضح من المعنى (٥) .

- 
- (٣) د . ابراهيم امام العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة) .  
(٤) د . ابراهيم امام الاعلام والاتصال بال جماهير ص ١٢٠ .  
(٥) ابو حيان التوحيدى : المقاييسات ( المطبعة الرحمانية ) ص ٧٤ .

وتناولوه اللغويون فكتبوا فيه الرسائل اللغوية ، ثم اتسع الأمر بهم واشتدت الحاجة الى المجامع اللغوية ، قال الأمر الى المجامع والمعاجم على انها مجموعات ضخمة لالفاظ العربية تعكس لونا من ألوان التطور في استخدام الالفاظ .

على ان اللغويين الاقدمين ذهبوا الى اعتبار اللغة الفصيحة مقصورة على المستعمل منها في لغة الشعر الجاهلي ولغة الصدر الأول للدولة الاسلامية ، وفي ذلك انكار للغة ذاتها وجعلها أشبه ما تكون بالتحفة الأثرية التي حرص عليها ويحتفظ بها لانها على نفيس شأنها شان سائر الاعلاق النفسية والعاديات العتيقة (٦) - وذلك ان اللغة كما تقدم من صنع المجتمع وفي ذلك ما يجعلنا نذهب الى ان هذه اللغة لا بد ان تتطور فتساير الزمان والمكان . لان المشكلة اللغوية تتعقد في حضارة العصر - التي تتطلب أدوات لغوية تترجم عنها ترجمة صادقة وليست اللغة العربية بعيدة عن التطور فالالفاظ العربية كما يدل البحث التاريخي كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان وتقلب الاحوال والنظم الاجتماعية وما الالفاظ الاسلامية الا لون من ألوان هذا التطور الذي عرض للفظلة العربية البدوية القديمة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدين الجديد والبيئة الجديدة .

وحين ننظر في لغة الاتصال بال جماهير التي تستعملها اليوم أجهزة الاعلام العربي ، ممثلة في الخبر والمقال الصحفي والحديث والتقرير الصحفي والمقابلة الاذاعية والتلفزيونية نجد أنها لغة مباشرة تصل الى الهدف الذي نقصده بطريقة فورية وتنصب عليه متجنبه اختيار الالفاظ الجمالية والفنية للالفاظ ولا يثارها هذه البساطة والمباشرة فانها تتخلى بالتدريج عن العبارات المقتبسة والأنماط المحفوظة المتوارثة التي يعاقها الذهن الذكي وتاباها روح المعاصرة .

ومن هنا كانت هذه اللغة الاعلامية تؤثر أن تقول (٧) :

عرض للبحث بدلا من عرض على بساط البحث .

---

(٦) ابراهيم السامرائي التطور اللغوي التاريخي ص ٣٩ .  
(٧) فاروق شوشة - مجلة الهلال ابريل ١٩٧٠ - القاهرة .

وقاتل - بدلا من خاض غمار القتال ٠٠٠ واشتد القتال بدلا من  
حمى وطيس القتال ٠٠

و - انتهت الحرب - بدلا من وضعت الحرب أوزارها .

و - صب غضبه - بلا من صب جام غضبه .

و - نتحدث - بدلا من نتجاذب أطراف الحديث .

وهل منا الآن من يقول : الحرب الضروس أو الموت الزؤام ؟ وفي  
استغنائنا عن كل هذه التعابير التي تشبه الكليشوهات الثابتة اقتصاد ذهنى  
ومادى هو سمة من سمات لفتنا الاعلامية المباشرة (٨) .

كما أصبح المخبر فى الصحيفة أو الاذاعة كيف الأخبار وفقا للقالب  
الصحفى أو الأذاعى المطلوب - مع حرص على القواعد المصطلح عليها فى  
النحو والصرف والبلاغة وما إليها .

وإذا كانت اللغة الاعلامية تحرص على مراعاة القواعد اللغوية  
المصطلح عليها فإنها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى فى الأسلوب  
وهى البساطة والايجاز والوضوح والنفاد المباشر والتأكيد والاصالة  
والجلاء والاختصار والصحة ، فأصبحت اللغة الاعلامية تجنح الى الاستغناء  
عن الكلمات الزائدة كاداة التعريف التي لا لزوم لها مثل : شبت النار فى  
القرية بحيث تكون أقوى فى لغة الاعلام حين تكون : شبت نار فى القرية -  
اما أدوات التعريف اللازمة فلا تستغنى عنها اللغة الاعلامية بحال من  
الاحوال .

كما تستغنى اللغة الاعلامية عن الافعال التي لا قيمة لها مثل : قام  
باعداد بحث بحيث تكون أقوى فى لغة الاعلام حين نقول : أعد بحثا .

وتستغنى لغة الاعلام عن الصفات وظروف المكان والزمان واحرف  
الأضافة مثل دمرت السيارتان تدميرا - وتقول لغة الاعلام دمرت السيارتان  
ومن هنا تؤثر اللغة الاعلامية أن تقول :

- عمارة من ثمانية عشر طابقا بدلا من عمارة عالية من ثمانية عشر  
طابقا .

---

(٨) المرجع السابق .

كان من الذين غادروا القطار - بدلا من كان بين الذين غادروا القطار ٠٠ الخ كما تجنح هذه اللغة الاعلامية الى الاستغناء عن احرف ربط الكلمات فتؤثران تقول : قال في حديثه ، بدلا من : وقد قال في حديثه .

وتستغنى كذلك عن الاسماء المعروفة فتؤثر ان تقول جاء من الاسكندرية بدلا من جاء من الاسكندرية في الوجه البحرى - ولا تميل لغة الاعلام الى الجمل الطويلة وتؤثران تقول :

- استغرقت المناقشة نحو ساعتين بدلا من :

استغرقت المناقشة مدة تقرب من ساعتين :

ومن أهم سمات اللغة الاعلامية استخدام الالفاظ البسيطة الصحيحة الواضحة فتؤثر استخدام الكلمات القصيرة المألوفة على كل ما عداها من كلمات فتستخدم حريق بدلا من اتون وسافر بدلا من ظعن ٠٠ الخ .

وقد تسلت بعض التعبيرات والأساليب الى لغتنا الاعلامية بفعل الترجمة من آداب ولغات أوروبية ، مثل نور الرماد في الميرون - يكسب خبره بعرق جبينه ، لا يرى ابعد من أرنبه أنفه - يلعب بالنار - لا جديد تحت الشمس والقى المسألة على بساط البحث وتوتر العلاقات ويلعب دورا خطيرا في السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة وان هذه القضية تشكل خطرا دائما على السلام أو ان هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة .

وقد كان من أثر الترجمة الصحفية وهي جزء هام من اقسام الاخبار الخارجية في الصحف العربية استخدام أسلوب جديد لا علاقة له بالادب بل ان اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة مستمدة من طبيعة تعبير اللغات الاجنبية ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة فهذه هي طريقة التعبير الاوربي تماما بالجمل الاسمية المستقلة التي تجعل فيها النقط والوقفات فقرات .

وطريقة تحرير الاخبار الصحفية المترجمة من أجهزة « التيكز » أو المبرقات الصحفية قد ساعدت على تطوير أسلوب صحفى جديد على اللغة العربية تتناثر فيه الجمل وتستقل عن بعضها البعض في وحدات ذات مغزى غير ان هذا الأسلوب الاخبارى الصحفى سرعان ما أخذ يفزق فنون الاعلام



الأخرى حتى طغى على المقال والتحقيق والحديث والعمود واليوميات وغيرها .

وتقدم ان من الأمثلة الطريفة على الفرق بين لغة الاعلام ولغة الادب عنصر التكرار الذى يعتبر عاملا هاما للقضاء على الغموض وازدواج المعنى فالصحفى لا يتردد فى تكرار كلمات معينة بغرض الوضوح وتبديد كل غموض محتمل .

وفى سنة ١٩٤٠ نشر « بريل » كتابا عن الالفاظ الأساسية فى الجرائد اليومية فى مصر « وفيه دراسة احصائية للالفاظ الواردة فى الصحف اليومية فى مصر فى المدة ١٩٢٦ - وسنة ١٩٢٩ وبلغ ما احصاه من الالفاظ المستعملة - ١٢٦ ألف كلمة وكانت النتيجة التى وصل اليها - بريل تتفق والفتائج التى تحدث عادة فى احصائية الالفاظ فى اللغات وهى ورود عدد مرتفع من الكلمات بالنسبة لغيرها .

واثبت بريل ان خمسمائة كلمة ترد حوالى ٦١٪ من نسبة مجموع الكلمات وان الف كلمة ترد حوالى ٧٦٪ من نسبة مجموع الكلمات أى ان الف كلمة تكون ثلاثة ارباع الثروة اللغوية للكاتب .

ولذا يذهب اصحاب اللغة الى ان تعليم اللغات يجب ان يسبقه احصاء شامل للالفاظ حتى يعتمد اختيار الالفاظ على كثرة ورودها فى الاستعمال ونرى ان هذا الاحصاء الزم ما يكون فى علم الاعلام اللغوى لتحقيق المنفعة العملية للغة .

وقد لاحظ لاندائو فى دراسة اللغة العربية ان اكثر الالفاظ المختارة فى كتب تعلم اللغة العربية لا تفى بالحاجة لانها تختار على غير أساس عقلى .

واستعان لاندائو بعدد من مساعديه فى احصاء الالفاظ وعمد الى اتمام العمل الذى بداه بريل ، فاختار ستين كتابا من مصر الفت فى موضوعات متباينة لكتاب مختلفين فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد ووصف الرحلات وغيرها وقلة فى الادب الرفيع ونشر نتيجة بحثه فى كتاب ظهر فى نيويورك سنة ١٩٥٦ تحت عنوان احصاء اللفظ فى النثر العربى الحديث ، وقد اثبت ٤٠٠ - ١٢ وحدة لفظية تشمل على حوالى ٠٠ - ٧٢ كلمة .

وجمع فى القسم الاول من كتابه الالفاظ مرتبة ترتيبا هجائيا ، وفى القسم الثانى رتب الالفاظ على حسب نسبة ورودها ثم اضاف اليها نسبة ورودها فى الصحف اليومية عن بريل كما وضع النسبة بين ورودها فى المنشور وبين ورودها فى الصحف اليومية .

وكانت النتيجة التى وصل اليها أن الخمسمائة كلمة الاولى نسبتها ٥٦٪ من مجموع الالفاظ تقريبا بدلا من ٦١٪ فى الصحف وان الالف كلمة الاولى نسبتها ٧٠٪ من مجموع الالفاظ بدلا من ٧٦٪ كما هى فى الصحف .

ويرتبط هذا الاحصاء بالمادة التى يقع عليها الاختيار فاذا كان لانداء قد اختار من كتب الأدب قدرا أكثر ولم يقد للغة الصحف هذا الوزن لجاءت نتيجة الاحصاء مغايرة بعض الشيء كما يقول الدكتور مراد كامل أى لما جاءت كلمة حكومة مثلا فى المكان الخامس والعشرين من الترتيب . . . . . ولما جاء لفظ الجلالة الله فى المكان الثامن عشر .

وكذلك يؤثر تحديد معنى الكلمة فى الترتيب فنجد قد اعتبر مثلا الكلمة وصيغ اشتقاقها وتصريفها كلمة واحدة وعد جمع التكسير كلمة لذاتها أما الصفة فقد عدّها أحيانا كلمة لذاتها مثل بيضاء وأبيض وأحيانا كلمة واحدة مثل « أكبر » وكبير وعد كلا من الظرف واسم الفعل كلمة لذاتها أما أسماء الفاعل والمفعول فقد عدّها مع فعلها وعد الكلمة التى تشترك لفظا وتختلف معنى - على حسب معناها مثل « مرشح » فى الانتخاب أو من البرد « وقص قصة أو بالقص والجذ ( أبو الاب أو الحظ أو الاجتهاد ) .

وقد أفاد هذا الاحصاء من ناحية اختيار الالفاظ ونسبة ورودها . ولكن تنقص هذه المحاولة دراسة أدق ويبحث أعمق وتفصيل أوضح فى إطار علم الاعلام اللغوى بحيث تتيح فرصة لمن اراد معرفة الالفاظ التى يكثر ورودها فى لغة الاعلام . الأمر الذى يعمل على انتشار العربية الفصحى لتقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية الواسعة الانتشار .

وتمتاز هذه اللغة الاعلامية لغة الاتصال بالجمهير أيضا بالمرونة والقدرة على الحركة فهى لغة حركية وهذه الصفة تتمثل فى استيعابها لمنجزات الحضارة وروح العلم وواقعية المجتمع الجديد - وهذه المرونة هى التى تكسبها جمالها ، والجمال شرط أساسى لاي لغة . على أن اللغة الاعلامية العربية تؤثر الافصح فى التعبير عن ذلك كله تارة بالتنقيب فى كمائن اللغة عن الكلمات العربية التى تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات ،

عادية كانت أو معنوية وتارة باستحداث الفاظ وصيغ من المادة العربية تسد الحاجة الى التعبير الحضارى فى حياتنا الراهنة ، يقول محمود تيمور (٩) .

ولم يبق كبير جدال فى اننا الى الفصحى جانحون وعن الدخيل والعامى متجافون وحسبنا أن الفصحى هى فى يومها الحاضر - كما كانت على توالى الحقب فى حضارة العرب لغة علم ومعرفة للامة العربية فى رحابها الفصاح .

لذلك بات من واجبتنا أن نمكن لهذه الفصحى فى ميدان التعبير الحضارى الشامل للحياة العامة فى البيت والمصنع والمتجر والسوق حتى يجد الكاتب حاجته منها سهلا منالها حين يتوق الى الاقضاء بما يخطر لفكره من معنى أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة .

ولقد كان للوعى اللغوى اثر بالغ خلال الحقبة الماضية فى امداد الفصحى بالمئات من الكلمات التى عبرت عن جديد الحضارة وما زالت جهود اللغويين والباحثين والمترجمين والكاتبين عامة تتواصل فى هذه السبيل ويظهر انتاجها فيما تنشر الصحف السيارة من أنباء ورسائل وفيما تخرج المطابع من مؤلفات ونشرات .

ولقد كان موقف مجمع اللغة العربية من الفاظ الحضارة موقفا طيبا حين اقبل على المسميات الدائرة فى الحياة العامة يعالج أن يتخذ لاسمائها الاجنبية بديلا مستقما من الكلم الفصاح وهو نفس الموقف الذى اتخذه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى فى حملته لمحاربة اللفظ الدخيل فى العالم العربى ، وما نجد ثماره فى معجم قل ولا تقل والذى تطالعنا به مجلة اللسان العربى .

وجاء هذا الموقف ضرورة بالنسبة لالفاظ الحضارة وكلمات الحياة العامة مما تمس اليه حاجة الاستعمال فى البيوت والشوارع والاسواق ، اذ الكاتب أو الصحافى انما يكتب كلاهما ليفهم القارئ فى المحيط العام فلزام عليه أن يستخدم من اللفظ ما هو مألوف لديه - متعارف عنده فان عدل عن المألوف المتعارف الى غريب من اللفظ غير مألوف جديد غير شائع اظلم قوله وغم تعبيره وانقطع بينه وبين قارئه خيط الابانه والافهام .

---

(٩) ابو حيان التوحيدى - معجم الحضارة ص ٢ .

من هذه الكلمات الفصاح ما صارح كلمات دخيلة تمكنت واستقرت حتى لم يكن احد يحسب أن في الامكان اقتلاعها واحلال غيرها محلها في مجال الاستعمال . ولئن دل هذا على شيء ، انه ليدلنا على ان استقرار الكلمات الاجنبية وتباتها لا يدعو الى الاستعمال لها . . والياس من تغييرها . فالمحاولات المتجددة المثابرة لكفيلة ببلوغ الغاية . . مادام تغليب الفصيح نزعة النفوس ووجهة الأنواق (١٠) .

في السعودية وفي لبنان وفي الكويت تستعمل كلمة الهاتف مكان كلمة التليفون وتستعمل كلمة الحافلة مكان كلمة الاوتوبوس وفي مصر تشيع في الصحف كلمة الدراجة النارية مكان كلمة الموتوسيكل وكلمة اللافتة مكان كلمة الياطة .

فان لم تكن تلك الكلمات الاجنبية واشباهها قد زالت دولتها فانها على مدرجة الاختصار وان لم يكن بديلها من الكلمات الفصاح قد شاع كل الشيوخ فانه على وشك أن يكون صاحب غلبة وسلطان (١١) .

منذ قليل أخذ بعض الكتاب يتحدثون عن جهاز اختراعه رودلف كيلر يفيد المحققين ورجال الأمن في تسجيل ظواهر جسمانية ونفسية تكشف عن كذب القول وزيف الادعاء ، واسم هذا الجهاز « بوليغراف كيل فارغ » فذهب كاتب الى تسميته جهاز الحقيقة وسماه كاتب آخر المفضاح والكاتبان كلاهما يسايران نزعة الافصاح في التعبير بلفظ عربي يؤدي مؤدى ذلك اللفظ الاجنبى .

وفي مناسبة مرور خمس وعشرين سنة على انشاء الطيران في مصر - تنقلت كلمة اليوبيل الفضى بقدر ضئيل ، اما الكثيرة من الصحف فكانت تستخدم كلمة العيد الفضى متجافية عن كلمة اليوبيل التى كانت الغالبة فيما مضى من زمن قريب .

وفي ساحة اللغة الرياضية - لعبة كرة القدم جد اللاعبون ومن اليهم من تلقاء أنفسهم بمعزل عن مجامع اللغة وفي غير فرض من أحد تسمية ما يتصل بهذه اللعبة من ظواهرها وأدواتها بأسماء عربية فصاح تغلبت الى

---

(١٠) محمود تيمور معجم الحضارة ص ٥ .

(١١) المرجع السابق ص ٦ ، ٨ .



شأو بعيد على مقابلاتها من الكلمات الاجنبية التي اقترنت بتلك اللعبة في طرونها على حياتنا الحديثة فكلمة « الفوت بول » فازت عليها كرة القدم وكلمة التيم صرعتها كلمة الفرقة او الفريق ، وكذلك نتيجة المباراة بين منتخب الهاف تيم والجول والباك ومنتخب والشوط والهدف والظهير حتى لقد أصبح الريفري حكما بلسان عربى مبين (١٢) .

وفى هذا الصدد تقرا نبذة كتبها مراسل رياضى فى احدى صحف الصباح واصفا بها مباراة رياضية قال :

الضباب الكثيف يخيم على الملعب والرؤية عسرة ولم يبق من المباراة سوى ثمانى دقائق واحد الفريقين فائز على الآخر بهدف واحد . . وفجأة تختفى الكرة ويبحث الحكم عنها . الى اخر ما جاء فى النبذة .

هذا المراسل الرياضى اللغوى يستعمل فى فقرة قصيرة اربع كلمات فصحية هى بماراة للماتش وفريق للتيم وهدف للجول وحكم للريفري .

وهناك مراسل فنى يدبج نبذة عن صنع التماثيل فى احدى صحف الصباح يقول فيها : - الفن والعلم انها يتعاونان فى وحدة الحراريات والخزف وترى فى الصورة الفنانة وهى تضع لمساتها الاخيرة لتمثالين صغيرين عن الفلاحة .

ذلك اية ما يسود الصحافة العربية اليوم من اتجاه جديد نحو التحيز للالفاظ الفصاح والسمو بالاسلوب الكتابى (١٢) .

ليس بدعا اذن ما نلاحظه من وفرة الكلمات الجديدة التى صنعها الاعلام واستعملها كتابه محاولين بها اقصاء الكلمات الاجنبية الدالة على مسميات فى ميدان الحياة العامة ، فالاعلام بذلك يسهم فى تحقيق اغراض الجامع اللغوية وهيئات التعريب ، ويشيع من فصيح الفاظ الحضارة ما يشيع ويسهم فى تطور الوعى اللغوى والنقمة على الكلمة الدخيلة المطموسة او العامية المبتذلة تزداد على الايام .

بالامس كانت كلمة البوستة والبوستجى هما الشائعتان فى الاستعمال نطقا وكتابة ، وما يسوغ اليوم لكاتب ان يكتبها عادلا عن كلمة البريد والساعى او الموزع .

---

(١٢، ١٣) المرجع السابق ص ٦ - ١٠ .

وبالامس القريب أيضا كانت كلمة القايريتر هي صاحبة السيادة  
وكانت اليوم تنزع عنها سيادتها كلمة « الآلة الكاتبة » .

على ان المعركة حول الالفاظ الحضارية الدخيلة التي تدور في حياتنا  
العامة ما لبثت أن أسفرت عن مباراة بين الفاظ عربية يحاول بعضها أن  
يتغلب، على بعض في الدلالة على تلك المسميات .

ذاعت في مصر كلمة المذيع للدلالة على الراديو وفي لبنان يحاولون  
أن - يستبدلوا بكلمة الراديو كلمة الموج .

وهكذا انتقل الكفاح اللغوي من حرب بين الالفاظ العربية والالفاظ  
الدخيلة الى تنازع البقاء بين الالفاظ العربية اعيانها في مختلف بلاد  
الناطقين بالضاد بغية انتخاب الاصلح الذي تكتب له الغلبة والشيوع ، وما  
اكثر الفرق بين الحاليين ، فالمباراة بين العرب والدخيل تهديد بهزيمة لفظ عربي  
فاما المباراة بين الالفاظ العربية بعضها وبعض فلن تكن نتيجتها الا انتصار  
اللفظ العربي على أية حال (١٤) .

وفي اللغات الاجنبية نسمع أو نقرا كلمات متداولة فاذا بحثنا عنها في  
المعجمات العصرية الحاضرة لتلك اللغات لم نقف لها على أثر وذلك لان تلك  
الكلمات لم ترتفع الى مراتب الالفاظ التي توافرت لها سلامة التعبير ومن ثم  
لم تقرها الهيئات الثقافية ولم تسجلها المجامع اللغوية ، فهي تستأني بها حتى  
يتضح الأمر في شأنها ليكتب لها الرفض والزوال أم يتاح لها القبول  
والاستقرار .

يقول محمود تيمور :

لقد عن لى ان اتمثل مجمعنا اللغوي هذا قد انشئ قبل نصف قرن  
أو يزيد فوردت عليه الكلمات التي كانت شائعة يومئذ من نحو الغازته أو  
الجونال والروزنامة والاسبتالية والخوجة والوابور واللوكاندة والاجزخانة  
فاذا هو قد سجلها بحجة شيوعها ومنحها جواز البقاء والاستقرار اما كان  
ذلك يقطع الطريق على من حاولوا من بعد احلال كلمات فصاح لتلك الكلمات  
الدخيلة فما كنا نظفر بكلمات الجريدة أو الصحيفة والدراجة والسياره  
والمالية ودار الكتب والقطار والفندق والميدلية .

---

(١٤) المرجع السابق ص ١٢ - ١٠ .

لقد قطعت اللغة الاعلامية العربية رحلة طويلة كاملة من أجل أن يتحقق لها شكلها المستقر المتطور الذي نراها عليه اليوم من خلال صراع الالفاظ والتعبيرات والمصطلحات من خلال قيود التزمّت والمحافظة ومشاق التعريب والاقتباس والترجمة ، ومن خلال محاولة الوصول عبر اجهزتنا الاعلامية المختلفة الى القارئ والمستمع والمُشاهد .

فاللغة الاعلامية اذن هي اللغة التي تشيع على اوسع نطاق في محيط الجمهور العام وهي قاسم مشترك اعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والاداب ذلك لان مادة الاعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة .

وقد اكتسبت اللغة الاعلامية هذه المرونة من امتياز الفصحى بالعمق الذي يجعلها تنبض بالحياة والذي يجعلها تقوم على الترجمة الأمينه للمعاني والأفكار والاتساع للالفاظ والتعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحياتها الاستعمال والذوق والشيوخ واذا كانت لغتنا الفصحى تباهى فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز ، فانها أصبحت اليوم تحرص على السهولة والجزالة والدقة والوضوح فهذه هي روح العصر وتلك هي مقتضياته كما يقول الدكتور ابراهيم بيومي مذكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة .

وعلى ذلك لم تعد لغة الاعلام كما كانت في لغة الصحافة في القرن التاسع عشر خليطا من العامى والدخيل فقد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه وبتوافر وسائل التثقيف والاعلام ويانتعاش الوعي الجماهيري أيما انتعاش ، وانفتح الطريق أمام لغة الاعلام الفصيحة لتتسرب في كل مكان وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان .

وان هذا التحول لفرصة اما حراس اللغة المحافظين على سلامتها ، أو على حد تعبير الأستاذ تيمور ، لكى يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص فانهم اذا تضافرت جهودهم في تلك السبيل أمكن لهم ان يشيعوا اللفظ في المجالات والكتب وهي تقرأ وتسمع فتقرع الأسماع في المجالس والاندية والاذاعات ، ونتيجة ذلك أن يصبح اللفظ الحضارى طعاما جماهيريا يسوغ في الافواه كما جرى على الاقلام .

على ان الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام قد حققت ما يهدف اليه المجمعون من محافظة على سلامة اللغة العربية وتمكينها وهي قادرة على

الوفاء بمطالب العلوم والفنون ، كما يقول الدكتور مذكور ، بل ذلك رهن الجهد المتواصل الذى يبذل فى العالم العربى من أجل مواكبة لغة الضاد لمقتضيات العصر ، والذى يسعى لجعلها لغة العلم المتقدم التى بدأت تفرض نفسها الآن على المحافل الدولية ويجب ذكر أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد أسهم بجهد كبير فى إبراز هذه الحقيقة عندمالقى خطابه التاريخى فى الأمم المتحدة باللغة العربية ، ولا ننفل أن الوكالات المتخصصة ومنها هيئة العمل الدولية قد اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية فى مؤتمراتها .

وعلى ذلك فأننا يمكن أن نقول أن الاعلام والصحافة بوجه خاص قد حققا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث فى الادب والعلم والفن جميعا .

بيد أن لغة التعبير الاعلامى مع ذلك فى حاجة شديدة وملحة الى معجم يشمل مجموع ثروتها أى كل ما استوعبته الموسوعات اللغوية العربية القديمة والحديثة من مفاهيم وكل ما تضمنته الكتب العلمية والتقنية العربية على اختلاف أنواعها قديما وحديثا من مدركات ودلالات اصطلاحية ، معجم يشمل هذا كله ويعرض مرتبا ترتيبيا علميا باعتبار معانى الفردات والعبارات فى تبويب قوييم ملائم لعقلية العصر وذوقه يتسنى معه العثور بدون عناء على الالفاظ المؤدية للمعانى التى تتردد فى اذهان المشتغلين بالتعبير الاعلامى .

ومن حسن حظ لغة الضاد أن الراى العام العربى قد وعى حاجتها الى هذا المعجم (١٥) وعبر عن وعيه هذا على لسان أعضاء مؤتمر التعريب الذى انعقد بالرباط من ٣ الى ٧ أبريل سنة ١٩٦١ والذى جعل ضمن قراراته التوصية التالية :

يرصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية فى العثور على الالفاظ الدقيقة لما يجول فى اذهانهم من المعانى والصور .

هذا المعجم الذى يفتقده رجال الاعلام العرب وتشتد حاجتهم اليه والذى أخذ المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى على نفسه

---

(١٥) مقدمة معجم المعانى للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .



انجازه ضمن التصميم المشارى للتعريب المنشور فى شكل أخبار بعنوان  
« منهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربى » ، وقد قام بانجاز هذا المعجم فعلا  
السيد الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب الأستاذ عبد العزيز عبد  
الله وهو كما يقول المؤلف :

كتاب يضم بين دفتيه جميع الفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها  
تبويبا موضوعيا ملانما لعقلية هذا العصر وذوقه يسهل على الباحث ،  
ان يعثر فيه على الالفاظ المؤدية للمعاني التى تجول فى خاطره ويتوقف فى  
التعبير عنها كتاب يمكن اعتباره معجما للمعاني ومحيطا بكل ما فى اللغة  
العربية من الالفاظ والمعاني بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح  
لمقابلة مصطلح أجنبى أو اللفظ المؤدى لمعنى معين ان نجزم بان اللغة العربية  
خلو منه فيمكن حينذاك وضع لفظ جديد . (١٦)

وعلى ذلك فان معجم المعاني المنشود للغة الاعلامية ينبغى ان يتجنب  
الحوشى من الالفاظ وان يلغى هندية المفردات المعروفة بالاضداد وذلك بان  
يحذف من مدلول اللفظ أحد المعنيين المتضادين فيبقى محتفظا بالراجع بين  
أهل اللغة أو بالدقيق أو الفريد أو النادر الذى يصعب وجود لفظ آخر يؤديه  
أو الذى تشتد اليه حاجة التعريف . . مثال ذلك ان يحذف من مادة « بيع »  
معنى الشراء فتبقى مختصة بمعنى البيع كما يحذف من مادة الشراء معنى  
البيع ، وأن تختص مادة خفى بمعنى السر والكتمان ، وأن يحذف منها معنى  
الظهور والاعلان . . الخ .

وكذلك ينبغى الاقلال من معانى الكلمات المشتركة بحذف معانيها  
الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود الفاظ  
أخر تؤديه .

كما يجب التمييز بين معانى المترادفات فى لغة التعبير الاعلامى  
بإظهار الفوارق الدقيقة الموجودة بينها أصلا فى اللغة والمطموسة باقتضاب  
المعاجم شروحها وإيجازها إذ كثيرا ما تورد المعاجم العربية مرادفا فى  
شرح لفظ بقصد تقريب معنى هذا الأخير للفهم ، لا على سبيل تحديد مدلوله  
بكيفية دقيقة أكاديمية .

---

(١٦) المرجع السابق .

ومثال ذلك فعل « شجماً » فى ثيابه فقد ورد شرحه بمفردة واحدة  
هى فعل تجمع فى لسان العرب لابن منظور وفى تاج العروس للزبيدي وفى  
المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفى متن اللغة لأحمد رضا لكن  
عندما يتعرض إليه معجم المعانى يورد معناه بالشرح التالى . (١٧)

وتجمع وانكمش حتى توارى فى ثيابه فلم يعد يظهر منه الا لباسه ومن  
شان أمثال هذا الشرح أن تبعث أمثال هذه المفردة من القبر الذى دفنتها فيه  
الشروح المعجمية المقتضبة ، والأضمن أن يترك فعل شجماً ويستعمل بدله  
فعل تجمع ليعنى به ما يعنيه الاول تماماً بدون زيادة ولا نقصان  
ولا أدنى فرق ؟ .. وكذلك يمكننا أن نقول عن فعل تبدأ - الذى  
شرحته المعاجم بمفردة واحدة هى فعل « بدأ » لا غير بينما للفعل الاول معنى  
أدق من الثانى وذلك أنه فعل المطاوعة من بداه بمعنى جعله يبدأ قبل غيره  
أى بتعبير العصر أعطاه الأسبقية ، فيكون شرحه على الأصح وبالتدقيق خول  
له - أو خول لنفسه أن يبدأ قبل غيره فبدأ . ومن شأن هذا الشرح أن يجنب  
الكاتب الوقوع فى كثير من الأخطاء التى قد تنشأ عن استعمال تبدأ بمعنى  
بدأ حيث لا يسوغ لغة هذا الاستعمال وعن استعمال اسم المفعول وبدأ بمعنى  
مفضل بينما قد يكون الشيء مبداً من غير أن يكون مفضلاً والعكس بالعكس .

وفى الحديث الشريف « الخيل مبداء يوم الورد أى يبدأ بها فى السقى  
قبل الأبل والغنم ، ولذلك يجتنب معجم المعانى نقل الشرح المقتضب الوارد  
لهذا اللفظ فى المعاجم العربية القديمة والحديثة بهذا النص « مقدم مفضل »  
ويشرحه على النحو التالى : -

رجل مبداً مخول له أن يبدأ قبل غيره وشيء مبداً حقيق بأن يبدأ به  
قبل غيره ويضع قبالة المصطلح الفرنسى Prioritair والمصطلح  
الانجليزى Priority holder وتأسيساً على ذلك نجد أن معجم المعانى (١٨)  
يحقق ما سبق أن أكدنا عليه من ضرورة وجود معجم يفيد منه رجال التعبير  
الإعلامى محققاً المنهج المنشود فى دراسة مفردات اللغة الإعلامية عن طريق  
البحث الاستقصائى عن المفردات فى مختلف كتب اللغة العربية القديمة منها  
والحديثة والصحف والمجلات ثم تجريد مصطلحات معاجم الترجمة الفرنسية -

(١٧) عبد العزيز بن عبد الله : مقدمة معجم المعانى .

(١٨) المرجع السابق .

العربية الانجليزية - العربية المختصة منها وغير المختصة وتصنيفها حسب مواضعها .

ويعتمد هذا المنهج كذلك على الاستقصاء فى بحث المعاجم العربية والاجنبية القديمة والحديثة عن مفردات الموضوع المعالج والحرص بقدر الامكان على مقابلة المفردة العربية باللفظ الاجنبى كما ثبت فى هذه المقابلة .

وبذلك يتمكن التعبير الاعلامى من استخدام لغة دقيقة - المعرب والمبني من جهة ويسهم فى تعميمها من جهة اخرى - عن طريق سعى وسائل الاعلام لتحقيق وظائفها الرئيسية من رأى وخبر حتى لدى بعض الصحف التى تعتبر صحيفة رأى اكثر منها صحيفة خبر ، وبالطبع يغلب على صحافة الرأى الجانب السياسى والاجتماعى الذى يهم المواطنين فى حياتهم اليومية المرتبطة بالشئون العامة فى المجتمع سياسية كانت أم اجتماعية أو الى جانب هاتينوظيفتين وهما الخبر والرأى أخذت وسائل الاعلام تسهم فى نشر وتنمية الثقافة ولا سيما الادب ولذلك أصبحت لها وظيفة ثقافية لغوية ونافست الكتاب ، منافسة شديدة فى أداء هذه الوظيفة بحكم أنها أرخص ثمنًا وأكثر انتشارًا وأسهل قراءة من الكتب ولذلك قلما نرى أدبيًا لا يكتب فى الصحف ذلك لأنها أقوى وسائل الاتصال بالجمهور وأن كانت الأجهزة الآلية الحديثة كالإذاعة والتلفزيون أخذت تنافس الصحافة أيضًا فى شتى الوظائف ومع كل ذلك فإن الكلمة المكتوبة ما تزال تحتفظ بقيمتها وثباتها عند الجمهور وهذا هو السبب فى أن الإذاعة والتلفزيون لم يستطيعا القضاء على أجهزة الاتصال الأخرى بالجمهور . . . . . فالكلمة المكتوبة فى الصحف تتيح للإنسان أن يقف عندها ليفهمها على مهل . . . . . ويناقشها بينه وبين نفسه . . وفى كل هذا لا تزال القراءة أعمق وأوضح وسيلة للمعرفة والفهم والثقافة .

وبناء على ذلك يلاحظ أن الكتب والصحف والمجلات لم تختلف كأجهزة للثقافة ونشر المعرفة . وفى مجال الأدب لم تكتف الصحافة بإنشاء مجلات اسبوعية أو شهرية متخصصة فى نشر الانتاج الأدبى والفنى بل نرى الصحف اليومية والاسبوعية تخصص أجزاء منها أو ملحقات خاصة بشئون الثقافة والأدب والفن . وكانت فكرة الصفحة الأدبية الاسبوعية قد انتشرت فى الصحافة المصرية من سنوات .

وكثير من كتب الثقافة والأدب والنقد الموجودة الآن ضمن تراثنا الثقافى العام كانت فى الأصل مقالات نشرت فى الصحف ثم جمعت بعد ذلك

فى الكتب ولا تزال تعتبر من الكتب الهامة فى التثقيف العام مثل . .  
المنتخبات لآحمد لطفى السيد وفى أوقات الفراغ للدكتور محمد حسين هيكى  
وحديث الأربعاء بأجزائه الثلاثة للدكتور طه حسين ومطالعات فى الكتب  
والأياة لعباس العقاد وحصاد الهشيم للمازنى وفى الميزان الجديد للدكتور  
محمد مندور .

وعندما نتبين قيمة هذه الكتب التى ذكرناها وتأثيرها فى الأجيال  
المتعاقبة نستطيع أن ندرك الخدمة الكبيرة التى تؤديها الصحافة للغة والفكر  
فى المساهمة فى نشر ثمار أقلام الكتاب القادرين .

وصفوة القول أن للصحافة وأجهزة الإعلام تأثيرا كبيرا على اللغة  
فمن المؤكد أنها هى التى خلصت النثر العربى من الزخارف اللفظية كالسجع  
والطباق وغيرها من المحسنات التى كانت تعتبر عبئا على التعبير وأحلت  
محى هذا الأسلوب المزخرف - الأسلوب المرسل السهل السريع الذى  
يحرص على المادة الفكرية والعاطفية والتعبير عنها ، أكثر مما يحرص على  
البهرجة اللفوية والزخرفة اللفظية . وكان للصحافة فضل كبير فى خلق لغة  
الإعلام التى تجمع بين البساطة والجمال وسرعة الأداء والتعبير .



## الفصل السادس

الاعلام في التنمية اللغوية



تتأثر اللغة فى تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة ، يرجع أهمها الى أربع طوائف :

أولاً : انتقال اللغة من السلف الى الخلف .

ثانياً : تأثير اللغة بلغة أخرى .

ثالثاً : عوامل اجتماعية ونفسية وطبيعية لحضارة الأمة وتعلمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناسخ وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية وما الى ذلك (١) .

رابعاً : عوامل أدبية مقصوده تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة وما تبلفه معاهد التعليم والمجامع اللغوية ، وما إليها فى سبيل حمايتها والارتقاء بها . . . . . وهلم جرا (٢) .

وحينما ننظر فى هذه العوامل جميعاً ، نجد أن الاعلام يقوم بدور القاسم المشترك الاعظم بينها ، نتيجة ليسر تبادل الاعلام ، وادخال الآله لقرى وتصفى وتتكلم وتكتب للانسان . وحول هذه الآلات نهض عدد من اكبر المؤسسات الاعلامية وهى أجهزة الاتصال الجماهيرى . الا أن الوظائف الاعلامية ذاتها ماتزال هى الأساسية فوظيفة مراقبة الأفق يعهد بها الآن الى وسائل الاخبار الجماهيرية بكل ما لها من مخبرين ووكالات انباء ومواصلات سلكية ولاسلكية وطباعة وتسهيلات اذاعية . ووظيفة الوصول الى القراخى

---

(١) تشترك هذه العوامل جميعاً فى انها من مقومات الحياة الاجتماعية ولذلك جعلها الدكتور على عبد الواحد وافى طائفه واحدة على الرغم من اختلافها فى انواعها .  
(٢) د . وافى : علم اللغة ص ١٧٣ .

الاجتماعى واقامة السياسة وأدارة التنفيذ عنها بصفة رئيسية الى الحكومة ولكن منظمات كالأحزاب السياسية والأجهزة الجماهيرية تحتل مكانا ضخما ضمن عملية تشكيل الرأى العام ودفعه للعمل . ما كان يقوم به نفر قليل فى محادثه قصيرة قد يستغرق الآن شهورا من المناقشة ويشمل ملايين الناس وربما يتطلب حملات على نطاق الأمة ولكن المهمة ماتزال كما كانت أيام القبيلة وهى تقرير السياسة والقيادة . أما مهمة تبصير الأعضاء الجدد بالمجتمع فتتولى المدارس أمرها الآن الى درجة كبيرة ، وكذلك الوسائل التعليمية : والاذاعة التعليمية والتليفزيون التعليمى والافلام التعليمية ودوائر المعارف (٢) .

ولم تعد الحاجة الى المعرفة والتدريب مقصورة على الطفولة . لذلك انشئت معاهد تعليم الكبار والمعاهد المتخصصة للمتعلمين ( فى الزراعة مثلا ) .

وليس للجتمع عن الخدمات الاعلامية غنى فهى ما تزال مطلوبة ، وان تكن قد زادت تعقيدا . (٤) .

أما انتقال اللغة من السلف الى الخلف فإنه يخضع من ناحية التطور الى عوامل جبرية لا اختيار للانسان فيها ، ولا يدلّه على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدى اليه . ولو ان بعض أجزاء الاعلام هنا أيضا قد نمت وتعقدت واتخذت طابعا رسميا . بحيث أصبح فى مقدورها أن تجعل لغة الكتابة مواكبة للتطور اللغوى لتمثل حالة الحياة اللغوية فى الأمة ، فتسمى أجهزة الاعلام الى تضيق مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة ، لان هذه الأخيرة فى تطور مطرد ، فكان الاعلام يقف فى مفترق الطرق بين لغة الكتابة ولغة المحادثة ، يساعد على التطور ، ويمسك لغة المحادثة لئلا تبعد عن لغة الكتابة فلا تصبح كل منها غريبه عن الأخرى كما حدث فى فرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة فيها هى اللاتينية ، وما كانت عليه بلاد العرب - وما تزال تعاني - من مشكلة العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذة كلفة كتابة .

---

(٤،٣) ولبور شرام : أجهزة الاعلام ترجمة محمد فتحى ص ٦٠ .



فالوظائف الاعلامية بذلك تساعد على التطور من جهة ، وعلى تضيق مسافة الخلف بين لغة الكتابة ولغة المحادثة من جهة أخرى وذلك عن طريق المستحدثات والهياكل التي وسفت في نطاقها ، حيث نمت الكتابة حتى تنتقل اللغة من السلف الى الخلف ويحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة ، ونما فن الطباعة حتى تضاعف الآلة ما يكتب الانسان أرخص واسرع مما يستطيع الانسان نفسه أن يفعل .

حول هذه الآلة نهضت كل مؤسسات الطباعة والنشر والمدارس العامة . وطورت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن أن يراه الانسان بالمكان أو الزمان فاخترعت الآلات التي تجعل الانسان يسمع على بعد مسافات هائلة وكذلك قامت شبكات الهاتف الكبرى والتسجيل الصوتي والاذاعة ولما انضمت آلات الاستماع الى آلات المشاهدة وجد الأساس للفلام الصوتية والتلفزيون (٥) .

وبعبارة أخرى اكتشف المجتمع فيما بين أيام القبيلة وعهد الحضارة المصرية كيف يشارك في الاعلام ، وكيف يخزنه ، متخطيا بذلك المكان والزمان ليصون اللغة من الضياع وليزيدكم المجتمع الفعال من العشرات الى الملايين .

هل يخلق الاعلام بعض الهياكل والأشكال الأخرى للغة ، أم ان الهياكل والأشكال الأخرى للغة هي التي تخلق مرحلة معينة من تنمية الاعلام ؟

هذا سؤال لاطائل من ورائه .

فالذي لا شك فيه أن لكل منهما تأثيرا قويا على الآخر : التطورات الجديدة في لغة المجتمع تؤثر على الاتصال . . المهم هو أن مستوى معينه ومرحلة معينة من تنمية الاتصال لابد أن يصاحب مرحلة معينة ومستوى معين من التنمية اللغوية بوجه عام . فإذا ما بلغت هذه اللغة الاعلامية أشدها ، وتم تكونها ، واكتمل نموها ، واتسع متنها ، ووضعت دلالات مفرداتها وتعددت وجوه استخدامها وتشعبت بها فنون القول ، وقويت على تادية حقائق الحياة المصرية ، أخذت تؤدي وظيفتها في تقريب المستويات اللغوية ، وتصبح هي لغة الكتابة .

---

(٥) شرام : أجهزة الاعلام ص ٦٠ .

## وكالات الانباء وما تفعل :

أن أى احتكاك يحدث بين لغتين أو لهجتين - كما يذهب الى ذلك علماء اللغة (٦) يؤدي لامحالة الى تأثر كل منهما بالأخرى .

ولما كان من المتعذر - ولاسيما بعد ثورة الاعلام وتزايد تداوله - ان تظل لغة بعامن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق . على أن أكبر عوامل الاحتكاك تتمثل في وكالات الانباء العالمية التي تقدم خدمات اعلامية ضخمة ، ويعتمد توزيعها في مدى بعيد ، لما تملكه من تسهيلات في وسائل الاتصال والارسال ونحو ذلك وقد كان لوكالات الانباء أثرها في اللغة العربية عن طريق ترجمة البرقيات الاخبارية ، فنجد الأفعال الأجنبية تتسرب الى اللغة العربية . ومثال ذلك أن حشد الجنود التركية على حدود سوريا ( يشكل ) خطرا على هذه البلاد وفعل ( يشكل ) كما تقدم هو ترجمة حرفية ، دخلت لغة الصحافة والسياسة واستقرت فيها استقرارا تاما . ومن ذلك قول بعض الصحفيين ( وهنا قفزت طائفة كبيرة من علامات الاستفهام ) معبرا بذلك عن معنى الغرابة أو التعجب ! وقول آخر : فكان على أن أضغ أعصابي في ثلاجة بعد سماعي هذا الكلام .

ومن ذلك يتبين أن وكالات الأنباء قد اتاحت فرصة الاحتكاك بين اللغة العربية وبعض اللغات ولم يكن تأثيرها بالمفردات فحسب ، وإنما انتقل التأثير الى القواعد والاساليب كذلك ، وان كانت اللغة العربية قد صبغت معظمها بصيغة اللسان العربى حتى يبدو بعيدا عن أصله .

ومن مظاهر التأثير في التراكيب المستمدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة .

فهذه هي طريقة التعبير الاوربي تماما بالجمل الاسمية المستقلة التي تجعل النقط والوقفات فقرات متتالية .

وعلى ذلك فان اتساع نطاق تداول الاعلام ، يتيح بين اللغة فرصا للاحتكاك اللغوى وفى ذلك ما يدفعنا لكى نعيد للفتنا تأثيرها النفاذ فى

---

(٦) وافى علم اللغة ص ١٧٥ - صفحات ٢٢٨ - ١٥٢ .

اللغات كما كانت قديما فأخذت منها اللغات - الأوربية : الليمون الموصل ( وهو نسيج خاص ينسب الى الموصل ) والزعفران ، والشراب والسكر الكافور والقهوة ( عسل قصب السكر المجدد ) والقهوة ، والقطن ، والكرفة ، والكمون والدمشقي ( نسيج ينسب الى دمشق ) وما الى ذلك ، مما يتبين معه ان انشاء وكالة انباء عالمية ، تابعة تبعية مباشرة لجامعة الدول العربية ، تلتزم الحيدة في نشر الأخبار وتبنى لغتها الاخبارية على اللغة العربية وحدها دون غيرها أمر جدير بالنظر فيه .

### اللغة والتنمية الاجتماعية :

تتأثر اللغة ايما تأثر بحضارة الأمة ، وشتونها الاجتماعية ، فكل تطور يحدث في ناحية من نواحيها يتردد صداه في أداة التعبير .

ومن هنا فان الاتصال بال جماهير جاء امتدادا ونتاجا للثورة الصناعية ليشمل :

( أ ) الانتاج الكمي : للكلمات والظلال والاصوات .

( ب ) التوزيع الجغرافي الواسع : وبدونه لا يكون للانتاج الكمي أي معنى .

( ج ) التوزيع بالقطاعي عن طريق محطات البث التليفزيوني والارسال الاذاعي ، والصحافة والمسارح والمكتبات والمدارس ( ٧ ) .

وعلى ذلك ، فان الاتصال بال جماهير ، من أهم المظاهر الحضارية ، التي تسهم في رقي تفكير الأمة وتهذيب اتجاهاتها النفسية ، والنهوض بلغتها ، وسمو أساليبها وتعدد فنون القول فيها ، ودقة معاني مفرداتها ، وادخال مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة وما الى ذلك .

والاتصال الجماهيري يسهم بذلك ، ويقدم هذا التطور الى الجماهير في المسرح والمدرسة والمسجد والنادي ، بحيث تصبح اللغة في الطريق وفي السوق والبيت .

وعن هذا الطريق يسهم الاتصال الجماهيري في عمليات التنمية وانتقال الأمة من البداوة الى الحضارة ، الأمر الذى يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ، ويوسع نطاقها ، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة .

وعلى ذلك فإن عملية التنمية في المجتمع تقتضى زيادة سريعة في اعداد المتعلمين ، وفي الخدمات التعليمية وتوسيع نطاقها ، وفي وسائلها الاعلامية التى تستخدم لاثارة التعمش الى مزيد من الاعلام لتشجيع الناس على تعلم القراءة والكتابة ، التى تصبح كما يقول ليرنر في عبارة ( المحرك الاعظم في تطوير كل مظهر من مظاهر الحياة . . المهارة الشخصية الاساسية التى تعد بمثابة اللبنة الاولى في البنيان المصرى كله ) انه يكسب معبرا الى عالم النصح .

وفي المسح الذى قامت به جامعة كولومبيا عن التنمية في الشرق الاوسط قال الاميون المتجاوبون عن مواطنهم غير الاميين ( انهز يعيشون في عالم آخر ، وهذه هي في الجوهر الوظيفة التعليمية لاجهزة الاتصال الوطنية عندما تبدأ الدولة في التنمية ، ان تفتح الباب على مصراعيه للجميع ، باب العالم الاكبر بمعرفته الفنية العصرية وشئونه العامة ) ( ٨ ) .

وربما كان اكثر الطرق عمومية لوصف ما يقوم به الاعلام المتداول الواسع النطاق في أمة نامية هو أن تقول انه يهيء المناخ للتنمية الوطنية . فهو ييسر خبرة الخبراء ، حيث تقوم الحاجة اليها ، ويقدم المنبر للمناقشة والقيادة والتخطيط بالسياسة ، وهو يرفع المستوى العام للتطبيقات . تبده عملية التحول العصري عندما يكون هناك دافع ( يدفع الفلاح لأن يريد أن يصبح مالكا للأرض ويدفع ابن الفلاح لأن يريد أن يتعلم القراءة حتى يحصل على عمل في المدينة ، ويدفع ابنه الفلاح لأن تريد أن ترتدى فستانا وتزين شعرها ) . لا يمكن أن يحدث التغيير في يسر وكفاية كبيرة الا اذا اراد الناس التغيير . وبصفة عامة فإن الاعلام الذى يتزايد تداوله هو الذى يضع بذرة التغيير حين يتسع افقه هو الذى يهيء المناخ لوحدة الأمة ذاتها . فيجعل كل اقليم يلم بالأقاليم الأخرى « باناسه وفنونه وعاداته وسياساته ، ويجعل القادة الوطنيين يحدثون الشعب ، والشعب يحدث القادة كما يحدث نفسه ويجعل الحوار فيما يتعلق بسياسة الدول ميسورا على نطاق البلد

---

(٨) شرام : نفس المرجع ص ٦٥ .



كله ، ويجعل الأهداف الوطنية والمنجزات الوطنية ماثلة دائما في اذهان العامة (٩) يستطيع الاعلام المصرى اذا احسن استخدامه أن يساعد على تحقيق فكرة القومية العربية والتقريب بين أقطار العروبة بجماعاتها ولهجاتها المحلية ، وأن يجعل خطة التنمية اللغوية خطة ( وطنية ) حقيقية .

وعلى ذلك فإن اثر الاعلام فى التنمية اللغوية مرتبط باثره فى التنمية الاقتصادية الاجتماعية فالاتصال اللغوى الاعلامى أساس لكل عملية اجتماعية ، لانه فى الحقيقة تفاعل المجتمع مع نفسه ، فالحضارة الاسلامية ، لانها كانت تقوم فى بعض جوانبها على الاتصال الاعلامى ، منذ نزول القرآن الكريم ، وعلى تفاعل المجتمع الاسلامى مع نفسه خلقت توافقا وانسجاما بين حضارة الأمة الاسلامية ولفتها العربية ، التى تمكنت عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعى من أن تكون مرنة التعبير واسعة الثروة فى المفردات ، سهلة القواعد غنية الاصوات سهلة النطق ، خفيفة الوقع على السمع ، ثقل فى كلماتها الحروف غير المتحركة بينها تكثر اصوات المد الطويلة ( الالف ، الياء والواو ) والقصيرة ( الفتحة ، الكسرة ، الضمة ) ولا يكاد يجتمع فى مفرداتها ولا فى تركيبها مقاطع متنافرة ، ولا يلتقى فى الفاظها ساكنان . والامة العربية اليوم تستعيد خصائصها وتحرر من بقايا التأثير الأجنبى الذى كان هدفه طمس معالم الحياة العربية ومحو خصائصها الاصلية ، والجانب اللغوى جانب أساسى من جوانب التنمية ، ومقوم من أهم مقومات الحياة العربية والكيان العربى ، والرابط الموحد بين العرب ، والمكون بنية تفكيرهم والصلة بينهم وبين كثير من الأمم .

لقد تردت اللغة العربية الى ما تردت اليه الحياة فى سائر مجالاتها الأخرى فى عصور الانحطاط التى استمرت عدة قرون ، فضاعت من اللغة مزية الدقة التى عرفت العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتصفت بالغموض وانفصلت عن معانيها فى الحياة واصبحت عالما مستقلا، ليعيش الناس فى جوه، بدلا من أن يعيشوا فى الحياة ومعانيها .

وقد انتهت عصور الانحطاط الى الالتقاء والاصطدام بالحضارة الأوربية وانفتحت أمام العرب آفاق جديدة كانت نتيجة ضروب من التفاعل وأنواع من المواقف والمشكلات والأزمات ومن جعلتها مشكلة اللغة .

---

(٩) المرجع السابق .

ومن أشهر الدراسات في هذا الصدد دراسة دانييل ليرنير ( زوال المجتمع التقليدي : التحول العصري في الشرق الأوسط ) . والتي تفيدنا في دراسة ارتباط اللغة العربية بالتحول العصري .

في عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ ادار مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية التابع لجامعة كولومبيا ١٦٠٠ استجواب طويل مع أفراد في ست دول في الشرق الأوسط ، وهي ايران ومصر وتركيا وسوريا ولبنان والاردن وكان القصد من هذه المحادثات هو التعرف قدر الامكان على مدى تعرض كل شخص للوسائل الاعلامية ، وعلى كثير من مواقفه ، وعلى الأخص مواقفه تجاه التنمية السياسية والاجتماعية في بلده . كان دكتور ليرنر أحد أعضاء المكتب الذي أشرف على العمل الميداني في الشرق الأوسط .

ولقد دعى عام ١٩٥٤ بعد أن ترك كولومبيا لاعادة تحليل البيانات المستخلصة من المحادثات ، بقصد اعداد كتاب عن الدراسة فزار الشرق الأوسط من جديد وتحادث مع الكثير من المستجوبين والمجيبين ثم كتب كتابه : زوال المجتمع التقليدي .

وبينما كان يلاحظ الحوادث في الشرق الأوسط محاولا إيجاد العلاقة بينها وبين الـ ١٦٠٠ استجواب طاف بذهنه كما قال ( الكفاح الجبار على مدى القرون الذي انتهى الى احلال العصرية محل أساليب القرون الوسطى ، لذلك ركز جهده على العملية التي أسماها ( التحول العصري ) والتي تعنيها في هذه الدراسة ، برغم انه كان مدركا تمام الإدراك انه تعبير نسبي : فما هو عصري اليوم لن يكون عصريا غدا .

اخترق ( التآورب ) منذ سنوات المستويات العليا في مجتمع الشرق الأوسط وكان تأثيره الأكبر على أساليب الطبقة المالكة لوقت الفراغ أما الأخذ بالأساليب العصرية فهو يصل اليوم الى نسبة أكبر مما كان ويمس التطلعات العامة والخاصة على السواء . ويقول ليرنر أن مركز هذا التغيير هو التحول في وسائل نقل الأفكار والمواقف فإذاعة الصور الحية من الأساليب العصرية على جماهير كبيرة هو مهمة التحول العصري ( . استخدمت الأودية الوسائل الطبيعية ، أما التحول العصري فقد استخدم الأجهزة الجماهيرية . الأجهزة الجماهيرية كما يقول هي التي تصنع الفارق بين أثر هاتين الحركتين الاجتماعيتين .

يرى ليرنر في تحليله لتاريخ التحول العصري في البلدان التي يدرسها أن العملية تحدث على ثلاث مراحل :

١ - يحدث التحضر ( في بيئة المدينة الحضرية ) ، فالمدن هي التي تقوم على تنمية المهارات والموارد وهي مسألة معقدة تميز الاقتصاد الصناعي العصري . وفي داخل هذا السهم الحضري يتكون كلا الشبكتين المبرزين للمرحلتين التاليتين ، وهما تعلم القراءة والكتابة ونمو أجهزة الاتصال . وهناك علاقة متبادلة بين هذين الشبكتين ، فمن يقرؤون ويكتبون ينمون الأجهزة ، والأجهزة بدورها تنشر القراءة والكتابة من وجهة نظر تاريخية ، هي التي تؤدي الوظيفة الرئيسية في المرحلة الثانية . فالقدرة على القراءة التي تكتسبها في البداية قلة نسبية من الناس تعدهم لأمر المهام المتباينة التي يتطلبها المجتمع المتحول نحو العصرية . ثم تجيء المرحلة الثالثة عندما تتقدم التقنية الحديثة التي هي من نتاج التنمية الصناعية، فيبدأ المجتمع في انتاج الصحف وشبكات الاذاعة وأفلام السينما على نطاق ضخم . هذا بدوره يجعل بنشر تعلم القراءة والكتابة هذا التفاعل هو الذي يؤدي الى قيام مؤسسات المشاركة ، تلك التي نراها في جميع المجتمعات ( العصرية المتقدمة ) .

وهو يشير ارتكازا على الاحصاءات والبيانات الديموغرافية ، الى ان ١٠ في المائة قد تكون قريبة من الحد الأدنى والحد الجرج للتحضر ، وانه بعد ان يصل التحضر الى هذه النقطة - وليس قبلها - تبدأ نسبة التعليم في الارتفاع ارتفاعا ملموسا .

وبعد ذلك يستمر ارتفاع التعليم والتحضر معا حتى يصل الى ما يقرب من ٢٥٪ تستمر نسبة التعليم بعدها في الارتفاع مستقلة عن النمو الحضري . هذه النسب المؤدية قد تنطبق أو لا تنطبق في جهات أخرى غير الشرق الأوسط ولكنها تحمل الاثارة للنظام الجارى .

فالعنصر الاول اذا في القوة الدافعة للتنمية كما يراها ليرنر هو تكوين الشخصية العصرية أو المتحركة أو غير الجامدة . والعنصر التالي هو ما يسميه ( مضاعف التحرك : أجهزة الاتصال الجماهيري ) كان التحرك الجغرافي فيما مضى يكاد يكون السبيل الاوحد لنشر التحرك الاجتماعي وان ما حدث في عملية التحول الى العصرية تلك . مثله في ميدان اللغة . فقد سارت النهضة اللغوية مع سائر نواحي التحول العصري في خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت كذلك المشكلات نفسها .

ذلك ان ( مضاعف التحرك أو اجهزة التحرك أو اجهزة الاتصال الجماهيرية ) على حد تعبير ليرنز ، كان عليها ان تستخدم لغة غير تلك الاداة الموروثة التي كانت تؤدي اغراض عصور الانحطاط وان تضطلع اللغة الجديدة ببعث التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة في تحولها الى العصرية فمذهب المحافظين يميل الى التشدد والتزمت دفاعا عن اللغة الموروثة بمجموعها دون تمييز بين الاصل الثابت من عناصرها والعارض المتبدل ، بينما ذهب المجددون الى الملاءمة بين اللغة والحياة ، واشعرت الناس المشكلة اللغوية والحاجة الحقيقية الى التجديد .

على ان هذا الصراع اللغوى انتهى الى الخروج عن التزمت وضيق النظر والى خفوت صوت العجمة والشعوبية ودعواتها ، والى ديبب الحياة فى اللغة العربية وشيوعها بين الجماهير .

هذه هي القوة الدافعة للتنمية اللغوية : نواة من الشخصيات غير الجامدة المتقبلة للتغيير . ثم نظام تام لاجهزة الاتصال الجماهيرية لنشر وتعميم الخصائص الاصلية والصفات الذاتية للغة العربية ، ثم تفاعل التحضر وتعلم القراءة والكتابة وبمشاركة الاجهزة وتفاعلها فيما بينها لخلق المجتمع العصرى حيث يتم التقارب بين الفصحى والعامية بارتفاع العامية واقتربها من الفصحى الى ميادين الحياة واتصالها الجماهيرى الذى يؤدي دور ( المضاعف الاعظم ) للتنمية ، والوسيلة التى تستطيع نشر ما يتطلبه الامر من معرفة ، ومواقف على نطاق لا يمكن حصره ، وبسرعة لم تعرف من قبل ، وفى ذلك لا يمنح اللغة قدرة على التجديد والتوليد والبناء فى ظروف الحياة الجديدة المتبدلة .

ومن ذلك يبين اثر المجتمع بنظمه وحضارته واتجاهاته فى تطور اللغة وانتقالها من السلف الى الخلف وصراعها بعضها مع بعض وقد بالغ جماعة من العلماء فى تقدير هذه الاثارة ، حتى كادوا ينكرون ان لغير الظواهر الاجتماعية اثرا فى شئون اللغة ، كما ذهب فرديناد دوسوسور . على ان اللغة - ظاهرة اجتماعية تقتضيها حاجة الانسان الى التفاهم مع ابناء جنسه فلولا الحياة الاجتماعية ما كانت اللغات .

وقد وجد ليرنز ، ان هناك علاقة متبادلة بين مقاييس النمو الاقتصادى ومقاييس النمو الاعلامى . بمعنى انه كلما زاد الدخل القومى للفرد والتحضر والتصنيع زاد أيضا تعلم القراءة والكتابة ومعه توزيع الصحف ،



وكذلك التسهيلات الاذاعية وعدد أجهزة الاذاعة وكل المقاييس الاخرى  
لوسائل المشاركة .

### الاعلام والتنمية في اللغة :

تبدو حركة التنمية المقصودة في مظاهر كثيرة من اكبرها اثرا في  
التطور اللغوي الامور الآتية :

١ - تداول الاعلام بين الدول، وتأثر الصحفيين والكتاب بأساليب اللغات  
الاجنبية واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار  
أهلها وانتاجهم الأدبي والعلمي والاعلامي . فلا يخفى ما لهذا كله من اثر  
بليغ في نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها .

فاكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر بني العباس ،  
يرجع الى انتفاع الأدباء والعلماء باللغتين الفارسية والاعريقية . فقد  
أخذوا في ذلك العصر يترجمون آثارها ويعقبون عليها بالشرح والتعليق ،  
ويستغلونها في بحوثهم ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عددا كبيرا  
من المفردات العلمية وغيرها ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها  
تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت  
مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلم ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل  
في نهضة اللغة العربية في العصر الحاضر الى انتفاع الصحفيين والأدباء  
والعلماء باللغات الأوروبية الحديثة ، ومحاكاتهم لأساليبها ، وتعريبهم أو  
ترجمتهم لالفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم في مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات  
أهلها في شتى ميادين الحركة الفكرية (١٠) .

ولذلك ذهب موجليوث الى ان اللغة العربية لا تزال حية حقيقة ،  
وانها احدى لغات ثلاث استولت على سكان العالم استيلاء لم يحصل عليه  
غيرها ( وهي الانجليزية والاسبانية ) . والعربية تخالف هاتين اللغتين في  
ان زمان حدوثها معروف ولا يزيد منهما على قرون معدودة ، على حين  
ان ابتداء اللغة العربية اقدم من كل تاريخ .

ذلك ان اللغة العربية لغة ذات نظام منسق متماسك يشد بعضه بعضا ،  
تجرى فيها الالفاظ على نسق خاص ، في حروفها واصواتها ، وفي مادتها

---

(١٠) وافى : علم اللغة ص ١٩٦ .

وتركيبتها ، وفي هيئتها وبنائها ، ولذلك كان دخول الكلمة الغربية في اللغة العربية تجنيسا لها ، أى تصبح من جنس كلام العرب .

والتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض ، وقد أصبح من لوازم الحياة العصرية ، كنتيجة لاتساع تداول الاعلام ووسائل الاتصال في ميادين الثقافة والعلم والاعلام . ولم يكن التعريب الذى بحثه علماء اللغة قديما الا مظهرا من مظاهر التقاء العربية بغيرها من اللغات وهو المفردات .

ولوسائل الاعلام الجماهيرية في هذه المرحلة من التاريخ أهمية خاصة . فكما استطاعت الالة في الثورة الصناعية ان تضاعف القوة البشرية مع أنواع الطاقات الاخرى ، كذلك تستطيع أجهزة الاعلام الآلية في ثورة الاتصال ان تضاعف الرسائل الانسانية ، وعلاقات التأثير ، الى درجة لم يسمع عنها من قبل .

وفي مواجهة ذلك ، فان اللغة الاعلامية ، ينبغي الا تخرج عن الاطار الذى حدده كتاب العربية في بحث الاشتقاق والتعريب قديما وحديثا .

وهذه المهمة تقع على عاتق الجامع العلمية واللغوية وهيئات التعريب في الوطن العربى لرد عوادي الدخيل المهاجم من اللغات الاجنبية كالمصطلحات العلمية والفنية واسماء المخترعات والمستحدثات الكثيرة المتنوعة ، بما تضع لها من المقابل العربى الفصيح ، قال العالم الاديب الشيخ أحمد عمر الاسكندري رحمه الله في خطاب له :

« وقد جرت سنة الوجود على أن مصير اللغات أمام الانقلابات العظيمة والحوادث الجسام ، الى أحد حالتين اما أن تتسامح في قبول كل ما يطرا عليها من لغة غيرها ، الالفاظ ذات المعانى التى لم تعدها من قبل ، فتندمج احدهما في الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الاندلس في اللغة الاسبانيولية وعرب جاوة في لغة الملايو ، واللغة القبطية ورومية سورية في العربية أو يتخلف عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن في لغة الحادثة ، فنشأت العامية المختلطة اللهجات المتشعبة المناحى .

وأما أن تبرز عنها وتتصرف في استعمال الفاظها لضم هذه المعانى الغريبة اليها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال الغريب والعتيق منها فيما له أدنى ملابسة به فتحفظ بذلك كيائها وتبقى شكلها ، بيد أنها تعظم

وتزداد نشاطا ورشاقة على ان لفظ التعريب قد ورد في المعاجم بمعنىين مرة  
بمعنى الترجمة ، كما يحدث في المغرب حيث يستعمل استعمالا شائقا في  
الصحف والاذاعة على ما يترجم من الفرنسية وغيرها الى العربية ، فمما  
هو معلوم « ان أيام الحماية الفرنسية والاسبانية كانت اللغة الاجنبية طاغية  
ثم بعد الاستقلال بدأنا في ترجمة كل ما هو أجنبي الى اللغة العربية ونسمى  
ذلك تعريبا ، فالمقصود بالتعريب عندنا هو جعل الشيء عربيا (١١) » .

والمعنى الآخر للتعريب هو نقل اللفظ الاعجمي الى العربية كما هو في  
الاعجمية بعد وضعه في قالب عربي ، فما يستعملونه في المغرب صحيح  
وما نستعمله نحن صحيح أيضا ، ولكن لا بد لنا من الاتفاق على كلمة  
نستعملها ، فعند نقل اللفظ الاجنبى على حاله نقول عربناه ، وعندما نترجمه  
الى لفظة عربية نقول نقلناه الى العربية أو ترجمناه بالعربية ، (١٢) .

٢ - احياء الاعلام ورجاله لبعض المفردات القديمة المهجورة للتعبير  
عن معان لا يوجد في المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا ، فكلمة  
« القطار » مثلا كانت تطلق في الاصل على عدد من الابل في نسق واحد تستخدم  
في النقل ، ولكن تغير الآن مدلولها الاصلى تبعا لظهور وسائل المواصلات ،  
فاصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية .

وقد كان لاهياء هذا اللفظ قصة طريفة ، بطلها رئيس تحرير احدى  
الصحف المصرية في مطلع القرن التاسع عشر ، الذي جاءه خبر سقوط  
الآلة البخارية التي تجر عربات السكة الحديدية في الليل اثناء مرورها فوق  
أحد الجسور فلم يجد للتعبير عن هذه الآلة أوفق من كلمة « القاطرة » ،  
وذاعت الكلمة وتقبلتها الانواق ، واطرد استعمالها حتى اليوم .

ومثل كلمة القاطرة مئات الكلمات . صنعها وصاغها رجال الاعلام  
خاصة الصحفيين منهم . وهم يحاولون التعبير عن مجالات الحياة وحاجات  
المجتمع المتطور خلال القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ولا يخفى  
ما لذلك من أثر في تنمية اللغة واتساع فنها وزيادة قدرتها على التعبير .

٢ - خلق الاعلام لالفاظ جديدة . للتعبير عن أمور لا يوجد في  
مفردات اللغة المستعملة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا وقد أجاز مجمع اللغة

---

(١١) محمد الفاسي : مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦٠م .  
(١٢) الامير مصطفى الشهابي : مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦٠م .

العربية بالقاهرة الالتجاء الى هذه الطريقة حيث تدعو الى ذلك ضرورة ،  
بأن لا يوجد فى مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيرا دقيقا عن  
الاصطلاح المراد التعبير عنه .

ويستعان عادة فى تكوين هذه الالفاظ بالقياس والاشتقاق والقلب  
والابدال والنحت والارتجال والاقتراض .

( ١ ) والقياس لدى القدماء هو الاساس الذى نبني عليه كل ما نستنتجه  
من قواعد اللغة ، أو صيغ فى كلماتها ، أو دلالات فى بعض الفاظها .

فعلماء القرن الثانى الهجرى بعد أن وردت لهم تلك الذخيرة اللغوية  
العظيمة ، ويعد أن ورثوا من الاساليب الأدبية القدر الكبير ، جعلوا كل هذا  
الذى جاءهم عن العرب الفصحاء أساسا يبنون عليه ما قد يعن لهم ، أو  
نورا يهتدون على ضوئه ، رغبة منهم فى الاحتفاظ للعربية بطابعها ، والابقاء  
على خصائصها لأنها ليست لغة الأدب العربى فحسب بل هى قبل كل شيء  
لغة الدين ولغة القرآن الكريم (١٢) .

وليس القياس الا استنباط مجهول من معلوم ، فاذا اشتق اللغوى  
صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة أخرى ، سمى  
عمله هذا قياسا . فالقياس اللغوى هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ  
بصيغ أو استعمال رغبة فى التوسع اللغوى ، وحرصا على اطراد الظواهر  
النحوية .

ويمكن أن نتلمس بعض نواحي القياس الطبيعى فى مثل الامور الآتية:

أولا : حين تذكر كتب اللغة المصادر ولا تذكر أفعالها أو العكس ،  
أو حين يذكر الفعل الثلاثى ولا يذكر بابه ، هنا يستطيع المرء أن يلجأ الى  
القياس ليستنبط مجهولا من معلوم .

ومثل هذا القياس اذا اتبع لنا ، يكمل لنا نقصا كبيرا فى المعاجم وفى  
معجم اللغة الاعلامية على وجه التحديد .

ثانيا : تعريب الدخيل ، وذلك بجعله على نمط الكلمات العربية

---

(١٢) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص ٧ .

ونسجها ، قياسا على مسلك القدماء من العرب في كلمات كثيرة فارسية ويونانية .

ثالثا : تعميم المعنى بعد أن كان خاصا ، قياسا على ما فعله العرب في كلمة « الخمر » التي كانت مقصورة على عصير العنب المسكر فأصبحت تفيد كل ما هو مسكر ولو لم يتخذ من العنب ، وكلمة « السارق » التي تطلق عادة على من يأخذ مال الأحياء خفية ، ومع هذا فيمكن إطلاقها على نابش القبور لأخذ ما على الموتى من أكفان (١٤) .

في هذه الأمور وما شاكلتها نجد مجال القياس واضحا جليا . وهذا هو القياس الطبيعي الذي نعهده في كل اللغات ، والذي به تنمو مادة اللغة وتتسع ، فتسائر التطور الاجتماعي وثورة الاتصال الإعلامي وما تتطلبه من تجديد اللغة .

وقد ظل القياس في اللغة موضع الجدل والخصومة بين اللغويين في كل العصور منهم من يضيق دائرته ويقتصر استعماله والالتجاء إليه ، ومنهم من يوسع هذه الدائرة غير مبال بأقوال المتزمتين من اللغويين . ونحن الآن في النصف الأخير من القرن العشرين ولا نزال نشهد نفس الجدل والخصومة بين علماء العربية ، ونراهم ينقسمون إلى فريقين : فريق المجددين وفريق المحافظين وقد ازداد هذا الصراع عنفا منذ إنشاء مجمع اللغة العربية على أن المجمع في بعض دوراته قد انتصر للأخذ بالقياس في مسائل معينة رأى الحاجة الماسة إليها فكان من قراراته (١٥) .

أولا : جعل المصدر الصناعي كالجاهلية واللصوصية والرهبانية ... الخ مصدرا قياسيا وذلك لكثرة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون .

ثانيا : صاغ « فعال » للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي كذلك رأى المجمع قياس هذه الصيغة للدلالة على أصحاب الحرف والمهن .

ثالثا : جعل المجتمع صياغة اسم الآلة قياسية ، كما جعل المصادر الدالة على الحرفة قياسية مثل نجارة وحيافة وتجارة ... الخ .

---

(١٤) المرجع السابق ص ١٦ - أيضا : القياس في اللغة العربية ص ٢٦

(١٥) المرجع السابق ص ١٦ .



رابعاً : جعل المصادر الدالة على التقلب والاضطراب كالفليان والخفقان ، والدالة على المرض كالقسم والبرص والسعال والزكام ، قياسية .

خامساً : يرى المجمع أن تقديم الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية مثل خرج واخراج .

سادساً : كذلك اتخذ المجمع قرارات في شأن الفعل المطاوع وصيغة استفعل كما أجاز استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة ، بشرط أن تتخذ لها طرق العرب في تعريبهم .

إلى غير ذلك من قرارات هامة نراها مبحوثة بحثاً مستفيضاً في الجزئين الأول والثاني من مجلة المجمع .

#### (ب) الاشتقاق :

وإذا كان القياس اللغوي من أهم الطرق في تنمية الألفاظ ، فإن الاشتقاق هو الطريقة التنفيذية للقياس ، حين يكون الغرض من القياس تنمية الألفاظ .

أو على حد تعبير الدكتور إبراهيم أنيس (١٦) ، أن القياس هو النظرية والاشتقاق هو التطبيق ، القياس هو الحكم العام الذي اهتدى إليه القدماء عن طريق نصوص العرب ، وطريقة تنفيذ هذا الحكم هو الاشتقاق .

وذلك لأن الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى ، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة .

وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدأوا يبحثون في اللغة ، بحيث لم ينتصف القرن الرابع الهجري حتى شهدنا البعث في الاشتقاق يستقر على أمور أقرها جمهرة العلماء ، واعترفوا بها ، وأصبح الاشتقاق يعنى عندهم ( استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية ) . فإذا اتخذ المشتق والمشتق منه ترتيب الحروف سمي هذا بالاشتقاق العام ، والا فهو بالاشتقاق الكبير أو الأكبر .

---

(١٦) من طرق تنمية الألفاظ في اللغة ص ٤١ .

ويرجع الفضل فى هذا التقسيم الى ابن جنى فى الخصائص وان لم يطلق على هذه الانواع تلك المسميات المتعارف عليها الآن (١٧) .

على ان الاشتقاق العام نوع من التوسع فى اللغة يحتاج اليه الاعلام الحديث ، وتلجأ اليه المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معان ، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعى ، على اعتبار ان الاشتقاق فى أدق تعاريفه هو استمداد مجموعة من الكلمات من المادة اللغوية أو الجذر اللغوى مع اشتراك أفراد هذه المجموعة فى عدد من الحروف وفى ترتيبها ، كما تشترك فى الدلالة العامة .

هذا الاشتقاق العام هو الذى يمكن ان يستفله الاعلام فى تنمية الفاظ اللغة العربية أو استكمال المواد الناقصة .

#### (ج) النحت :

اذا كان الاشتقاق فى أغلب صورهِ عملية اطالة لبنية الكلمات ، فان النحت اختزال واختصار فى الكلمات والمبارات .

وقد رويت ظاهرة النحت عن الخليل فى كتاب العين وذكره الجوهري فى ( الصحاح ) وابن السكيت فى ( اصلاح المنطق ) وابن فارس فى ( المجمل ) والثعالبي فى ( فقه اللغة ) وعقد الاسيوطى فى ( الزهر ) فصلاً سماه ( النحت ) ذكر فيه بعض الامثلة المشهورة لهذه الظاهرة وذلك عن طريق تأليف كلمة من جملة لتؤدى مؤداها وتفيد مدلولها كبسمل المأخوذة من ( بسم الله الرحمن الرحيم ) وحيل المأخوذة من ( حى على الفلاح ) .

أو عن طريق تأليف كلمة من المضاف والمضاف اليه عند قص النسبة الى التركيب الاضافى اذا كان علماً كدرعى والنسبة الى دار العلوم .

ويتم النحت كذلك عن طريق تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر تستقل كل كلمة عن الاخرى فى افادة معناها تمام الاستقلال لتفيد معنى جديداً بصورة مختصرة وهذا النوع كثير الورد فى اللغات الاوربية قليل فى العربية واخواتها السامية .

---

(١٧) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص ٤٦ .

أما موقف المجمع اللغوى من ظاهرة النحت فلا يزال موقف المتردد فى قبول قياسيته ولا يزال معظم أعضائه يرون الوقوف منه عند حد السماع رغم أن قلة من هؤلاء الأعضاء قد برهنوا فى بحوثهم على ضرورة جعل النحت قياسيا لتستخدمه فى مصطلحات العلوم الحديثة ولاسيما فى المصطلحات الطبية .

ومع ما تقدم نشعر أن النحت فى بعض الأحيان ضرورى يمكن أن يساعد الاعلام على تنمية الالفاظ فى اللغة ولذا ينبغي أن نسمح به حين تدعو الحاجة الملحة اليه ولاسيما حين يجرى على نسق من الامثلة القديمة .

وفى ذلك ما جعلنا ندعو الى التطور الموجه فى وسائل الاعلام لتنمية الالفاظ فى لغتنا مع الرقابة والحذر حيث تنتظرنا الآن ابناء العرب لغة واحدة مشتركة منسجمة .

ومن جهة اخرى فلا حياة لهذه اللغة المشتركة بدون استخدامها فى التأليف والترجمة فى الأدب والعلوم والفنون والصحافة والاذاعة ( مرئية ومسموعة ) وما الى ذلك فبمقدار نشاط أهلها فى هذه الميادين تتاح لها وسائل الانتشار والرقى .

وصفوة القول أن أجهزة الاعلام وما تفعله فى تطور لغة الكتابة تؤثر بطريق غير مباشر فى لغة الحديث والتخاطب الأمر الذى يحقق تلك الوحدة اللغوية التى تضيق فيها مسافة الخلف بين لغة الخطاب ولغة الكتابة .

ذلك أن اللغة هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى هى وبدونها لا يمكن أن تعمل . وقد يكون مصدر الاعلام شخصا يكتب أو يتكلم أو أنه قد يكون مؤسسة صحفية أو اذاعية أو دار نشر . أما الرسالة نفسها فقد تكون مكتوبة أو ملفوظة أو مرسومة أو مصورة . وأما المستقبل فهو القارىء أو المستمع أو المشاهد .

والامر الذى يعنى به علم الاعلام اللغوى هو كيف ترسل الرسائل الى الناس بوسائل الاعلام المختلفة بحيث تنقل المعانى كاملة دقيقة ؟ أو بمعنى آخر كيف تؤدى الالفاظ اللغوية وغيرها معانيها المختلفة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة .

## الاعلام وعلم الدلالة :

والعلم الذى يساعدنا على فهم العلاقة بين الالفاظ والمعانى هو علم السيميائى او العلم الذى يدرس القيم الدلالية للرموز وقدرتها على الابانة او التعمية والغموض ، فقد تكون اللغة عائقا للفكر بقدر ما هي اداة ضرورية له . ولذلك يعنى علم الاعلام اللغوى بدراسة اللغة كقوة فاعلة تستعمل للتكوين . ولذلك كان علم الدلالة من اهم العلوم التى يفيد منها علم الاعلام اللغوى لان الدلالة هي الحالة النفسية التى تتوسط التأثير بالرمز والاستجابة له .

فالانسان يتأثر بمعنیه من المفهات التى حوله ثم يستجيب لهذا المنبه وفقا لدلالته بالنسبة له . اذ ان الدلالات تختلف من حضارة الى حضارة ومن بيئة الى اخرى بل ومن شخص لآخر .

ولما كانت الدلالات هي التى تتحكم فى تصرفات الناس واساليب سلوكهم فان من يستطيع تغيير هذه الدلالات يمكنه ان يغير السلوك او يعدله . ومن الواضح ان هدف الاتصال الجماهيرى هو تعديل السلوك بطرق مختلفة .

وليس تعديل الدلالات او المفاهيم بالامر الهين كما يبدو للوهلة الاولى لان المعانى والدلالات او تصورات الناس للعالم الخارجى على حد قول ليمان - تكون نتيجة لعوامل مختلفة بعضها وراثى والاخر تربوى واعلامى .

فشخصية الفرد وثقافته وحضارته هي التى تخلع على الالفاظ والرموز معانيها الاشارية فى المستوى العلمى والتذوقية الجمالية فى المستوى الادبى والمعرفة العملية فى المستوى العادى كالتعامل فى الحياة اليومية (١٨) .

والانسان يعيل بطبعه الى تنظيم المدركات وخلع المعانى عليها وفقا لاطاره الدلالى او مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة . ولا يمكن للاعلامى ان ينجح فى تادية رسالته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجمهور والافراد ويدرس كيف تكونت لكى يصمم خطته التى تهدف الى التعديل

---

(١٨) امام : العلاقات العامة والمجتمع ص ٢٣٥ .

والتغيير والتوفيق ويخطئ الاعلامى حين يظن ان ما يقدمه من اخبار ومعلومات سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها .

فهناك عقبات عديدة فى سبيل التفاهم اهمها التحيز والتعصب والخرافات والافهام كما ان هناك عقبات ناشئة عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

على ان التطور الدلالى لا يلحق معانى الالفاظ . وانما يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة كقواعد الاشتقاق والصرف والاساليب كذلك كما حدث للغة الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة البرقية والاحتكاك بالاداب والصحف الاجنبية ورقى التفكير وزيادة الحاجة الى الدقة فى التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع .

ويسهم الاعلام فى هذا التطور الدلالى عن طريق استخدام الكلمات العامة فى بعض ما تدل عليه الامر الذى يزيل عموم معناها ويقصر مدلولها على الحالات التى يشيع فيها استعمالها .

او عن طريق استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع او استخدام الكلمة فى معنى مجازى .

وتتدخل فى عملية تكوين المدلولات او تصوراتنا للعالم الخارجى عوامل كثيرة . فالفرد لا يستطيع ان يصل الى المعانى والمفاهيم بالطريقة العلمية او بالاسلوب القائم على المشاهدة والاستنباط لوجود عقبات كثيرة تقف فى سبيل ذلك وينبغى على الاعلامى ان يعرفها ويقدرها .

فمعلومات الناس فى العصر الحديث تصلهم عن طريق الصحافة والاذاعة والسينما وغيرها من وسائل النشر وهذه كثيرا ما تلون الاخبار للدعاية او لخدمة مصالح معينة سياسية او اقتصادية او غيرها .

ولا شك ان تضيق مجال التعامل الاجتماعى يؤثر ايضا فى صحة المدلولات فميول الناس ومركزهم الاقتصادى وطريق تربيتهم تحدد المجال الاجتماعى الذى يعيشون فيه ويخصب هذا المجال بالاطلاع والثقافة والاسفار والمخالطة . ولكنه ينضب بالانزواء والجهل والفقر والتعصب .



لذلك نجد ان مدلول كلمة ( الغنى ) مدلول غير دقيق بالنسبة للعامل  
الفقر وكذلك يكون مدلول كلمة ( الفقير ) غير دقيق فى ذهن الغنى الذى  
لا يخالط الفقراء ولا يعرف عنهم الا ما يقرؤه فى الصحف والمجلات  
والقصص وبعض المشاهدات الثقافية السريعة .

وهنا يأتى دور الاعلام فى اعادة التوازن وابرار سياسة البناء وقوة  
الخير وهى عملية جد عسيرة ولكنها جليلة الخطر فى هذا المجتمع الحديث .  
ونحن نذهب مع شرام الى ان المجتمع قد أصبح ضخما يعوزه التجانس  
بعد أن أحدثت الصناعة والمواصلات الحديثة ما أحدثته من تغيرات سريعة  
فى النظم الاجتماعية .

ويبين مما تقدم أن اللغة كظاهرة اجتماعية عرضة للتطور المتعدد فى  
مختلف عناصرها :

اصواتها وقواعدها وممتنها ودلالاتها ، وأن تطورها هذا يجرى تبعا  
للاهواء والصصادفات ، وأن تطورها هذا يخضع فى سيره لقوانين  
اجتماعية مطردة النتائج ، ويصبح الاعلام أهم هذه القوانين الاجتماعية فى  
تنمية اللغة وتطورها . ذلك ان الاعلام نفسه يرتبط ارتباطا وثيقا بحياة  
المجتمع وما يمتاز به من خصائص ويسير عليه من نظم ويسلكه من مناهج .

وفى الصفحات القادمة سنحاول تبيان ذلك من خلال وسائل الاعلام  
المختلفة .



# الفصل السابع

## لغة الصحافة



ذهبت طائفة من علماء اللغة الى ان للتغيير فى اللغة مزايا عديدة طان  
المثل الأعلى فى مستقبلها لا فى ماضيها .

ويرى هؤلاء العلماء ان اكمل اللغات هى تلك التى قطعت فى التطور  
اطول شوط .

فالصحافة التى تحمل لفتها مسئولية ما تشعر به من نقص فى  
مواردها التحريرية هى صحافة عاجزة وهى المسئولة الاولى عن هذا  
النقص فقد يكون من حسن حظ الصحيفة ان تجد امامها طريقا معبدا وتقليدا  
تسير عليها وان تستخدم لغة عمل على تجهيزها وصقلها قبلها عدد من  
الصحف والكتابة والكتاب المتتابعين ولكن الأمر لا يعدو ان يكون الاختلاف  
فى درجة الصعوبة يقول ديكرت فى كتابه ( حديث المنهج ) . ان من حسن  
تفكيره ومضم افكاره حتى يجعلها واضحة مفهومة يستطيع أكثر من غيره  
ان يفهم الآخرين اراءه ولو لم يتكلم غير البريتانية السفلى . المسئولية  
لا تقف عند موهبة الكاتب أو الصحفي فحسب بل يجب ان يراعى كل منهما  
الوسط الذى يعيش فيه ، فالتكلم يتكلم حتى يسمع والكاتب يكتب حتى يقرأ .

فلزم ان يجد الكاتب له جمهورا على درجة من الثقافة تسمح له بفهمه .  
قال ( بوفون ) لم نصل الى الكلام الجدى والكتابة الجدية الا بعد العصور  
المستنيرة فطاقة اللغة تتوقف على عدد الذين يمارسونها وعلى درجة  
تعليمهم .

قال الدكتور طه حسين فى ( مستقبل الثقافة ) وهو يتحدث عن التفكير  
( هو الاداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم بل فى كل لحظة ليفهم  
بعضنا بعضا وليعاون بعضنا بعضا على تحقيق حاجاتنا العاجلة والاجلة  
على تحقيق منافعنا الخاصة والعامة وعلى تحقيق مهمتنا الفردية  
والاجتماعية فى الحياة .



ان كانت لنا مهمة فى الحياة ونحن نصطنع هذه الاداة ليفهم بعضنا بعضا كما قلنا ولنفهم انفسنا أيضا .

فنجد اننا نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر . ومعنى ذلك اننا لانفهم انفسنا الا بالتفكير ونحن لا نفكر فى الهواء ولا نستطيع ان نعرض الاشياء على انفسنا الامصورة فى هذه الالفاظ التى نقدرها ونديرها فى رؤوسنا ونظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لانفسنا بما نريد ، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو اذا قلنا انها ليست اداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب وانما هى اداة للتفكير والحس والشعور بالقياس الى الافراد من حيث هم افراد أيضا .

وعلى ذلك يمكن ان نذهب الى ان الكلمة المطبوعة باعتبارها اداة من ادوات المساس بالعواطف البشرية والتاثير فى الفكر والسلوك تتصف بنقطة ضعف بارزة هى ايضا نقطة قوة فالكلمة المطبوعة من بين الوسائل الجماهيرية هى الوسيلة الخالية من الصوت البشرى ويخلوها منه تفقد العنصر الذى تستمد منه لغة السينما والاذاعة والتليفزيون دفنا وتأثيرا .

على ان فى هذا الضعف قوة ، فالكلمة المطبوعة هى الاداة التى تمكن الجمهور من التحكم فى الوقت ، وعدم خضوعه لسرعة الصوت بحيث يستطيع ان يرجع الى الوراء ، ويستطيع ان يسقط بعضها .

وقد تكون هذه الميزات طفيفة الاثار بين « الجماهير غير المركزة » على حد تعبير اريك بارنو بالنسبة « للجماهير المركزة » ، فهى كل شىء ذلك لان طفيان التوقيت الصوتى هنا عبء فادح . لو لم تكن للكلمة المطبوعة غير هذه الميزة لظلت بالنسبة للجماهير المركزة المصدر الرئيسى للاطلاع .

ونقطة ضعف أخرى هى أيضا نقطة قوة تلك ان الطباعة عندما تعتمد على الالفاظ تتطلب من جمهورها اكثر مما تتطلبه أية وسيلة من الوسائل الأخرى . ذلك انها تقتضى مجهودا للقراءة وهو مجهود قد يصبح عبئا على بعض الناس بسبب ما لديهم من عقبات عاطفية أو عيوب بدنية أو نقص فى التدريب .

كما انها تتطلب عملية تخيل مستمرة والقراء الذين لا يستطيعون ان يفوا بهذه المطالب بسبب قلة التجربة أو الكفاية قد يتخلون عن عملية

القراءة . أما الآخرين فان مقدار مشاركتهم بالتخيل هي المتعة التي تتميز بها القراءة أى يستمتعون بالكتابة بقدر مشاركتهم (١) .

ومن أجل هذا وحده تبدو الكلمة المطبوعة أكثر احتمالا فى أن تظل مصدرا رئيسيا للاستمتاع بالنسبة للذهن .

وان الاحصاءات العلمية الحديثة تذهب الى تأكيد العلاقة بين الاعلام والتعليم من خلال اثبات ان توزيع الصحف يرتفع ارتفاعا كبيرا فى امريكا الشمالية وغرب أوروبا ( ما عدا اسبانيا ) واستراليا ونيوزلندة حيث تقل نسبة الأمية عن ١٠٪ بينما تليها وسط اميركا وجنوبها واسبانيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتى حيث تتراوح نسبة الأمية فيها بين ١٠٪ و ٨٠٪ وتشمل المنطقة الأخيرة الهند والصين ومعظم الدول الافريقية الاسيوية حيث تربو نسبة الأمية على ٨٠٪ (٢) .

وينطبق ما قلناه عن الصحافة وعلاقتها بالثقافة والثروة على وسائل الاعلام الأخرى كالكتب والمجلات والاذاعة والافلام وغيرها .

وينبغى الا نخدعنا هذه الاحصاءات الدقيقة عن عادات الجمهور القرائية والاستماعية ففى مصر وسوريا وكثير من البلاد العربية . يلجا الأميون الى المتعلمين ليقرأوا لهم الصحف فلا نكون مبالغين اذا قلنا ان أكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون الى تلاوتها كما كما ان مستمعى الاذاعة لا يقلون عن ٨٠٪ من السكان .

وفى مصر وسائر البلاد العربية يزداد عدد قراء الصحف بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم .

فقد وجد مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعليما قانونيا فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة الى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليما عاليا . وقد أجرى هذا المكتب بحوثا متشابهة فى سوريا فوجد أن ٤٦٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف وترتفع هذه النسبة الى ٦٨٪ بين المتعلمين تعليما قانونيا وتصل الى ٦٥٪ بالنسبة للمتعلمين تعليما عاليا .

---

(١) اريك بارنو : المرجع السابق  
(٢) World Communications (1956)

وعلى ذلك فان الكلمة المطبوعة تصبح فى الوطن العربى مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلا حيث تصل بينهم وبين مناحى اهتماماتهم الثقافية ، وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الاسبوعية أو الشهرية . والصحيفة بذلك تيسر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذى بدأوه فى التعليم . كما ان الكلمة المطبوعة تصبح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يملكون الفرصة للدراسة المنظمة ولا يجدون فى حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم اسبابه .

ان عامة المتعلمين يجدون فى الكلمة المطبوعة المبسطة مجال تيسير المعرفة واتاحة اسباب اللغة .

وعلى ذلك فان لغة الصحافة ذات اثر كبير فى حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص النمو كما تضيف - باستمرار - الى رصيد الفكر العربى وحياته الفنية والتعبيرية جديدا .

واذا القينا نظرة سريعة على اثر الصحافة فى اللغة فى النصف الاول من القرن الحاضر فى مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب فى الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقالاتهم وكتبهم التى نشرت كمقالات فى الصحف اثر كبير فى تطور الشعر والادب العربى بوجه عام وهم يشتركون جميعا فى وفرة الحصول من المقالات فى المجلات والصحف على اختلاف انواعها غير انهم اختلفوا فى اسلوب الكتابة : فمنهم المتعلق وراء الفكر ( العقاد ) ومنهم المؤثر للأسلوب الحديث القريب التناول ( المازنى ) ومنهم الاكاديمى المتمكن من الاسلوب العربى الكلاسيكى القادر على معالجة نواحي الحياة الحديثة بهذا الاسلوب ( طه حسين ) .

والصحافة توجه النشاط العقلى للأمة . فتاريخ الصحافة اذا كان يشمل فترة طويلة من الزمن يسمح لنا بأن نتبين تأثير التطور الاجتماعى على عقلية الناس فاللغة الصحفية تتجه نحو التخلص من الخصائص الغيبية لتسير فى سبيل العقلية ونحو التعبير عن الافكار الشخصية لترقى الى التجديد .

ولا يهولن الحريصين على اللغة وسلامتها ذلك المنهج الجديد ، فانه لن يمس جوهر اللغة العربية بل يسير طبقا لخصائصها وأساليبها الاصلية والقديمة .

فاللغة العربية لا تضيق بالتجديد فقد اتسع صدرها لمراحل متعاقبة من التهذيب والتطور وبرهنت في كل ذلك على قدرتها وقوتها وعلى استجابتها لمن يريد أن ينهض أو يمدّها بقوة تساير بها ذلك النهوض الذي يزحف في سرعة على جميع الاقطار من كل جانب وفي شتى فروع الثقافة النقلية والعقلية .

وعلى ذلك فإن الصحافة العربية تسهم في تجديد اللغة العربية عن طريق عاملين رئيسيين ، أحدهما هو الكسب الخارجى أى ما يتسرب اليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ، ثم يتأصل فيها ويصبح جزءا ثابتا منها .

وقلما نجد لغة لم تتأثر كثيرا أو قليلا بسواها فلا بدع أن ، كن في لغتنا العربية الفاظ وأوضاع استقرت فيها على توالى العهود فأصبحت بمنزلة الفصحى من كلامها نستعملها في نثرنا وشعرنا دون أن نحسبها غريبة عنا « على حد تعبير الاستاذ انيس المقدسى » . (٢)

وبدراسة المفردات في لغة الصحافة تتجه ناحية أخرى غير الناحية التاريخية فالكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الصحفية تبعاً لقيمتها التاريخية . ذلك ان للالفاظ في الصحافة قيمة وقتية أى محددة باللحظة التي تستعمل فيها وقيمة مفردات خاصة بالاستعمال الوقتى الذى تستعمله .

وقد تمر لحظة تستعمل فيها كلمة ما استعمالا مجازيا ولكن هذه اللحظة لا تطول لان اللفظة في اللغة ليس لها الا معنى واحد في الوقت الواحد ومن ذلك في الأدب القديم مثلا .

أذان الشيطان - للنمام أو المسترق للسمع جاسوس القلوب - لمن كان حاذق الفراسة اطفأ الله ناره - أى افقره .

ركب رأسه - أى سار متعسفا لا يلوى على شيء .

قبلة الحمى - أى ما تتركه الحمى من أثر على الشفتين والثغر .

فقيمة الكلمة يعينها السياق ، اذ ان الكلمة في الصحافة بالذات توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا .

---

(٢) مؤتمر المجمع اللغوى - الدورة الحادية والثلاثون . ٦٤ - ١٩٦٥م

والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعانى المتنوعة التى يمكن أن تدل عليها . ويخلص السياق الكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها ويخلق لها قيمة حضورية ( على حد تعبير الدكتور مراد كامل ) .

ومن ذلك ما جرى فى لغة الصحافة جريانا طبيعيا من الفاظ وأوضاع جديدة لمعان شتى . فقل مثلا : -

فنان - للماهر فى الفنون . أصبح على أمر ما أى انكره ، ووضع فاعله موضع الملامة .

تجول فى البلاد - بدل جول فيها . اكتشف الأمر - أى كشفه وأظهره لأول مرة . خابره - أى فاضحه أو بادل الخبر ومنه قلم المخابرات حكم على المجرم بالاعدام أى بالموت . . . والإعدام أصلا فقد المال ، فحولوه الى فقد الحياة .

نظام وحدوى - نسبة الى الوحدة والقياس أن يقال وحدى ومثلها كتلوى نسبة الى الكتلة .

وكان الكتاب والخطباء يقولون بحكم السليقة ثوروى نسبة الى الثورة فعدلوا عنها مؤخرا الى القياس المتكلف وصاروا يقولون ثورى .

تكرر الشراب - أى تصفيته بتكرير نقله من حال الى حال . المظاهرات الشعبية - أى ظهور الشعب معا لمناصرة قضية ما وبعضهم يقول التظاهرات

والكلمة بكل معانيها الكامنة توجد فى الذهن مستقلة عن استعمالاتها المختلفة التى تتشكل بحسب الظروف الداعية لخروجها ذلك أنه ليس فى الذهن كلمة واحدة منعزلة فالذهن يميل الى جمع الكلمات والى اكتشاف صلات جديدة تجمع بينها عن طريق تنظيم المدركات .

وتأسيسا على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه الى الوضع اللفظى لختلف المعانى والأغراض ، فأضافت الى اللغة كثيرا مما لم تعرفه من قبل واستخدمت فى ذلك النحت والقياس والاشتقاق .



وقد زاد هذا الاتجاه اتساعا ابان نهضتنا الجديدة ومن هذه الالفاظ  
الحديثة التى وضعتها وعمتها الصحافة :

العضوية - أى الانتساب الى جمعية أو هيئة ذات نظام خاص .

المنطاد - لما يعرف فى الغرب بالبالون .

الدراجة - وهى ترجمة للبيسكلات .

الشيوعية - للنوع المعروف من النظام الاشتراكى .

الهاتف - للتليفون .

المذياع - لآلة الراديو المذيعة .

الأساة - للرواية المسرحية المحزنة .

البستنة - علم زرع البساتين .

البلاط - لقصر الملك أو مركز حكمه وإدارته للمملكة (٤) .

كما اتجهت لغة الصحافة فى اتجاه الوضع المجازى عن طريق توليد  
اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانى خاصة مثل :

القوة الضاربة أى السلاح الكافى لضرب العدو اجتمع المؤتمر على صعيد  
الوزارة - أى كان مؤلفا - نوزارة الدولة .

غسل يديه من المسألة - أى تبرأ منها .

ضرب السوق السوداء - السوق يتعامل بها خفية تهربا من التسعيرة  
القانونية هو صاحب الكرسى - أى رئيس المجلس .

الشارع يناصر فلانا - أى السوق وعامة الناس .

---

(٤) انظر محاضرة الاستاذ انيس المقدسى عن « الكلام المولد فى  
معاجمنا الحديثة » مؤتمر الجمع اللغوى - الدورة الحادية والثلاثون -  
٦٤ - ١٩٦٥ م .

- اخذ المبادرة - أى سبق غيره فى امرها .
- انتهاك صارخ لحقوق الشعب - أى انتهاك واضح شديد .
- ناطحات السحاب - للابنية - الشاهقة العلو .
- توترت العلاقات بينهم - أى ساءت واشتدت صوت فى الجلسة لفلان  
أى كان من مؤيديه اظهر تأييده له (٥) .
- كما اتجهت لغة الصحافة الى الاشتقاق الاسمى عن طريق اشتقاق  
صينغ من اسماء خاصة . ومن امثله :
- قنن - من القانون . نقول قنن الطعام أى تناوله بحسب قانون محدد .
- مول - من المال . مول المشاريع أى قدم المال اللازم لها .
- تطور - من الطور فنظام التطور هو التقدم من طور الى طور .
- عايد أو عيد - من العيد احتفل بالعيد أو هنا به .
- قيم - من القيمة . تقييم الاشياء أى تقدير قيمتها .
- استجواب - من الجواب . استجوب القاضى فلانا أى طلب منه  
الجواب .

وقد شاع اشتقاق وزن تفعل من اسماء المدن والبلدان والامم والاعيان  
حتى كاد يصبح قياسيا : كقولهم تمصر أى اتخذ الجنسية المصرية أو تفرنس  
أى اتخذ الجنسية الفرنسية ، وهكذا تأمرك وتألمن وتبلشف وتبلور  
واشباهاها . ومثل ذلك المنسوبات الى بعض الاسماء والصفات كقولنا  
ماهية - انسانية - أهمية - مسئولية - واقعية - تقدمية واشباهاها (٦) .

كما تتجه لغة الصحافة الى استعمال الكثير من التعبيرات التى  
ترجمت حرفيا من اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية . وهذه التعبيرات

---

(٥) المرجع السابق .  
(٦) المرجع السابق .

يبدو من ظاهرهما انها عربية ولكن الصحيح انها تعبيرات مولدة وتسمى Neologisme ومترجمة ترجمة حرفية ، ومن ذلك :

« على طول الخط » و « غسل يده من الامر »

وعلى ذلك فان منهج البحث اللغوى فى الصحافة ، ينبغي ان يتجه اولا الى الجمع والوصف ثم الى التحليل والتعليل والتأليف وقد نجح اللغويون والنحويون قديما فى جمع مواد اللغة العربية ووصفها وتوصلوا الى تدوين أكثر ما جاء فى النثر وفى الشعر معا ، وكان نجاحهم الذى احرزوه فى الصرف والنحو وأكثر منه مفردات اللغة .

على ان بعض المستشرقين اهتم اهتماما خاصا بالالفاظ والمصطلحات العربية الجديدة التى ادخلتها الصحافة . نذكر منهم على سبيل المثال اللغوى الالماني هانز فيهز الذى وضع فى اعقاب الحرب الثانية معجما بالمفردات العربية المستعملة فى الكتابات الحديثة .

وبعد سنوات قليلة اشترك مع لغوى انجليزى « د . ج . ملقون كون » فنقله الاخير الى الانجليزية بعد ان نقاه ووسعا فيه ونشراه سنة ١٩٦١ باسم « معجم العربية الكتابية الحديثة » .

ومثله Charles Pellot فى كتابه « العربية الحية » ، L'Arabe vivant المطبوع فى باريس سنة ١٩٥٢ و E.M. Bailey فيما جمعه من الفاظ الجرائد تحت عنوان قائمة الفاظ عربية حديثة A List of Modern arabic words وفريد فهمى ويوسف شلالة فى المعجم العلمى Dictionnaire pratique وعدد غيرهم ممن عنوا بهذا الامر قصر فوا انظارهم الى المستعمل فى لغتنا فى الكتابة الحديثة .

ومهما يكن فالذى لا مراء فيه ان معاجمنا الحديثة ارحب صدرا من القديمة فى قبول شتى المولدات - كما يقول الاستاذ المقدسى (٧) فهذه المولدات الصحفية لم يتسع ميدانها فى عهد كما اتسع عقب الحرب العالمية الاولى حين ظهرت هيئات لغوية رسمية فاضطلعت بهذه المهمة كالمجمع العلمى العربى فى دمشق ومجمع اللغة العربية فى القاهرة والمجمع العلمى العراقى ببغداد .

---

(٧) نفس المرجع .

والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط . وكان لكل منها يد تذكر فى هذا المجهود اللغوى الكبير الى جانب عمل الصحافة خارج الجامع : « على ان الانظار كانت من الناحية اللغوية متجهة اكثر الى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، اولا لما يتمتع به من صفة التمثيل العام وثانيا لانه جعل غايته الرئيسية وضع معجم كبير للغة العربية جامع لجميع مواردها الاصلية والمولدة والمعربة من قديمة وحديثة مع شرح واف لها وتاريخ الدخيل منها وتبيان لاصولها وطرق استعمالها ، (٨) » .

« والذى يراجع مقرراته والاسس التى وضعها ليشيد عليه هذا البناء العظيم يجد انه مع شدة حرصه على سلامة اللغة وغيرته على تراثها القديم لم يقف ازاء ما طرأ عليها من تطور وقفة المستنكر ، ولا تردد فى اقتباس الجديد الموافق ولا سمح للعصبية اللغوية ان توجه نظره الى ما وراء فحسب فتعميه عن رؤية ما هو امام بل جابه مشكلات اللغة بحس علمى فى أكثر الاحيان وناقش حلولها بصراحة وحرية تامة ، ولا ينكر انه كان يتعثر احيانا فى طريق وهمى طريق وعرة لا يؤمن فيها العثار - ولكنه على الغالب لم يكن بأبى النقد أو يأنف من التراجع عن الخطأ وتتجلى هذه المزايا فيه لمن يراجع المعجم الوسيط الذى اخرجته سنة ١٩٦٠ لجنة من المجمع . ويجب الاعتراف بأنه خدم اللغة خدمة تذكر أو سار شوطا لم يبلغه سواء فى تسجيل بل تفصيل ما استحدث فيها من الفاظ واوضاع اقتضاها ، تطور المجتمع العربى (٩) » .

والى ذلك يشير أمين سر المجمع فى تصديره لهذا المعجم حين يصف منهج المجمع فيقول :

« وتوسع فى المصطلحات العلمية الشائعة ودعا الى الاخذ بما استقر من الفاظ الحياة العامة وخطا فى سبيل التجديد اللغوى خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين - شأنهم فى ذلك شأن القدامى سواء بسواء . وعم القياس فيما لم يقس من قبل وأقر كثيرا من الالفاظ المولدة والمعربة الحديثة ، وشدد فى هجر الحوشى والغريب ، » .

ويبين مما تقدم ان لغة الصحافة لا تختلف فى منهج تطويرها للغة عما يريده اللغويون وحراس اللغة ، ورغم ان الصحفى مطالب بتكييف اخباره

---

(٨) المرجع السابق .

(٩) المرجع السابق .

ومقالاته وفنونه التحريرية وفقا للقوالب الصحفية المنشورة فان عليه ان يحرص على القواعد المصطلح عليها فى النحو والصرف والبلاغة وما اليها واذا كانت لغة الصحافة تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح فانها تحاول كذلك ان تحرص على خصائص اخرى للاستلوه لم ينكرها المجمعون وحراس اللغة من بساطة وايجاز ووضوح ونفاذ مباشر وتأكيد واصالة وجلاء واختصار .

وهناك بحث هام بحثا قام باعداده اللغوى الكبير الاستاذ انيس المقدسى تحرى فيه الشائع من المفردات المولدة ( اى غير الدخيلة ) وفى رأينا ان هذه المفردات انما هى من صنع الصحافة قبل ان تشيع فى لغة الادب المعاصر يضاف الى ما ورد فى المعاجم الحديثة مما اثبتته الاستاذ المقدسى نحو مائة مصطلح مولد من قبيل العبارات الشائعة - كقولنا اخذ المبادرة - انتهاك صارخ للعدل - رشح فلانا لكذا - تبلورت الفكرة - الى الملتقى - وامثالها .

ذلك ان لغة الفن الصحفى لا تهدف الى افساد حاسة الجمال لدى القراء بل العكس من ذلك تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة لتخطى عقبات التصميم المحدود المساحة للعمود فى الصحيفة والحروف الصغيرة التى تطبع بها ويكون من الصعوبة قراءتها - احيانا - وخاصة لضعاف البصر وهذه العوامل تهم الصحفى الى حد كبير اذ عليه ان يختار كلمة ويضعها فى جمل وفقرات تساعد على استبعاد تداعى المعانى او ازدواجها .

وتأسيسا على هذا الفهم اتجه مجمع اللغة العربية الى اقرار قياسية السين والتاء للجعل والاتخاذ وتصويب استعمال كتاب الصحافة وغيرهم استهدف الشئ اى جعله هدفا ، .

وقد سبق للمجمع ان اقر قياسية دخول السين والتاء للطلب او الصورة لكثرة ما ورد من أمثله نحو :

استعبد عبدا ، واستأجر أجيرا ، استخلف فلانا واستعمر فى ارضه ، واستشعر الرجل اذا لبس شعارا .

وفى اعتبار هذه الصيغة قياسية تيسير للاصطلاح العلمى والاستعمال الصحفى ولهذا ذهب المجتمع الى قبول ما يصلح من الكلمات على هذه



الصيغة للدلالة على الجعل أو الاتخاذ وبحث المجمع فعل « استهدف متعديا في مثل قول استهدف المصلحة العامة مع انه لم يرد متعديا في كتب اللغة فرأى تخريجه على أن السين والتاء فيه للجعل أو الاتخاذ فاستهدف المصلحة العامة جعلها أو اتخذها هدفا .

كما أقر المجمع (١٠) أن توهم أصالة الحرف الزائد وإن لم يبلغ درجة القاعدة العامة ، ظاهرة لغوية فطن لها المتقدمون ودعمها المحدثون ولهذا ذهب المجمع الى أن يقبل نظائر الانثلة الواردة على توهم أصالة الحرف الزائد أو التحول ، مما يستعمله المحدثون ، إذا اشتهرت ودعت اليها الحاجة وأقر المجمع كذلك جواز النحت واعتبره ظاهرة لغوية أخذ بها قديما وحديثا ، وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته فينحت عنه الحاجة من كلمتين أو أكثر على أن يستعمل الحرف الاصلى دون الزوائد وأن يلتزم الوزن العربى إذا كان النحت اسما فان تضاف اليه ياء النسب ان كان وصفا وأن يقتصر على وزن فعال وتفعال ان كان فعلا ، الا اذا اقتضت الضرورة غير ذلك .

كما اجاز المجمع (١١) صوغ المركب المزجى عند الضرورة فى المصطلحات العلمية وعلى الا يقبل منه الا ما يقره المجمع .

والمركب المزجى هو ضم كلمتين احدهما الى الاخرى وجعلها اسما واحدا اعرابا وبناء ، سواء اكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين، ويكون ذلك فى اعلام الاشخاص واهلام الاخبار والظروف والاحوال والاصوات والمركبات العديدة مثل : نيويورك - نيوفوندلاند - يورك شير - برادرود - واشباهها من اسماء الاماكن وكذلك الكلمات .

ماورد - مازهر - سنامكى - وامثالها من اسماء العقاقير .

وفى ذلك ما يبين التقارب الشديد بين لغة الصحافة وجهود المجمعين. بحيث نذهب مع الدكتور ابراهيم بيومى مذكور (١٢) الى ان لغة العلم اوشكت او كادت ان تصبح واحدة فى العالم العربى بأسره لان المجمعين « يعنون بأن يكون للمصطلح الاجنبى مقابل واحد رغبة فى التلاقى والتوحيد

---

(١٠) الدورة الحادية والثلاثون ٦٤ - ١٩٦٥ م .

(١١) نفس المرجع .

١٢ - نفس المرجع .

ويقينى ان لغة الحياة العامة نفسها ستتشابه وتتماثل ما أمكن وتقل أوجه الخلاف فيها من قطر الى قطر بفضل المذياع الصوتى والرئى والصحافة والمسرح والسينما ، .

ذلك ان لغة الصحافة هي لغة الوضوح والدقة والبيان والسرعة .  
يصطلح عليها العلماء والادباء والصحفيون فتكون قاسما مشتركا بين لغة العلم ولغة الادب وتكون عاملا من عوامل التقريب بين مستويات التعبير المختلفة .

وفى ضوء هذا الفهم للغة الصحافة ، اقرت المجامع اللغوية الالفا من المصطلحات التى تستمد من الصحفيين والكتاب الذين لم تحرمهم المجامع حق وضع المصطلح ولم تعترض سبيلهم وانما ذهبت هذه المجامع الى ان استعمال لغة الصحافة اقرب الى اصول اللغة واشيعه بين الباحثين وان يتخذ منه لغة موحدة فى العالم العربى بأسره .

على ان مسئولية الصحف ينبغى الا تنتهى عند حد الاجتهاد وكفى .  
اذ ان عليها ان تسهم فى تعميم المفردات التى تقرها المجامع اللغوية وما تقرره من قواعد لتسهيل اللغة ولاسيما ان هذه المفردات وهذه القواعد انما تستمد من لغة الصحافة نفسها وما تقطعه من شوط فى تطوير اللغة ووسيلة الصحافة فى تحقيق ذلك سهلة ميسورة لما ادخلته من تعديلات على مواد الجريدة وزاد بذلك عدد صفحات الطبعة الواحدة منها فهناك صفحة للادب وهناك صفحة المرأة وهناك صفحة الشباب الخ .

وذلك كله فضلا عن الصفحات الحديثة التى خصصتها الجريدة لشئون السينما والمسرح والرياضة .

ومعنى ذلك ان الصحيفة الحديثة غدت اشبه شىء بموسوعة شعبية كبيرة تضم اليها اشتاتا من الدراسات المختلفة يقبل عليها القراء ، كل بحسب ميوله واهوائه وكل بحسب ثقافته واستعداده .

وهكذا فرضت الصحافة الحديثة على نفسها واجبا فى غاية الخطورة هو واجبها نحو الادب والعلم والفن والثقافة وفى مقابل هذا الواجب تتحدد مسئولية الصحافة بازاء المصطلح العلمى وذلك عن طريق تعميمه بين القراء ليسايروا به ركب الحضارة الانسانية ويتمشون به مع التقدم البشرى فى كل مجال من المجالات السابقة .

وقد قام مجمع اللغة العربية بانجاز الفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات فى العلوم المختلفة مما انشأته الحضارة الغربية الحديثة . وقد اجاز المجمع استخدام بعض الالفاظ الاعجمية . وفى قرار التعريب « يجيز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب فى تعريبهم » وهذا القرار يجيز للعلماء ان يعربوا المصطلحات العلمية اذا لم يكن فى استطاعتهم ان يجدوا الفاظا عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز .

ومنطق اللغة الصحفية فى تعميم المصطلح العلمى ، كما يقول الدكتور سلوسن (١٢) يؤكد ان القارئ لا يضسره لفظ علمى غريب عليه اذا دعت الضرورة الى استعماله واللغة الصحفية لا تعتذر عن استعمال هذا المصطلح ولا تحاول ان تشرحه بنظرية علمية فهى مثلا تستعمل كلمة « وحدة حرارية » ( كالورى ) بدلا من ان تقول ما هى الوحدة الحرارية علميا وذلك عن طريق وضع المصطلح أو اللفظ العلمى فى سياق يوضحه مثل : « ان ثلاث قطع من السكر أو قطعة صغيرة من الزبد تولد ١٠٠ وحدة حرارية والانسان يحتاج الى ١٠٠ وحدة فى الساعة و ١٦٠ اذا كان يقوم بعمل مجهد » .

واذا كان ذلك شأن العلم الذى غزا كل مرافق الحياة وباتت أخبار العلم منعكسة على كثير من تصرفاتنا اليومية حيث لا سبيل للناس الى عزل أنفسهم عن أخبار العلم والكشوف الحديثة فان لغة الصحافة سرعان ما تعمم المصطلح العلمى على النحور السياقى فى تحويل المصطلحات الى عبارات عادية لا غموض فيها . وذلك يتطلب ان يكون المخبر الصحفى على دراية وافية بالموضوع الذى يحاول شرحه والا خلط خلطا مزريا فى روايته وكتب عن فكرة خاطئة .

وما يقال فى مصطلحات العلوم يقال فى الادب والفاظ الحضارة والفنون والفلسفة على انه فى مواجهة مسئولية الصحافة تلك يبقى ان تتضافر الجهود لتوحيد المصطلحات بين البلاد العربية حتى تحتفظ اللغة العربية بوحدةها وهى فى هذا الطور من النمو الذى تسير فيه لتلمق بركب الحضارة .

وغنى عن البيان ان لغة الصحافة تسمى لتكامل المجتمع بقضية الاتفاق العام ووحدة الفكر بين افراده وجماعاته كما ترحب بالتعديلات والتغيرات التى يمكن للجماعة ان تطبعها وتقبلها .

وتستعين لغة الصحافة على تحقيق هذا الهدف الكبير بمجموعة من الفنون التحريرية تصبح فيها اللغة اساسا لاكثر من شكل وفى مقدمة هذه الفنون التحريرية فن الخبر الذى يبدأ بعنوان دال على الخبر ومطابق لحقيقته ولكنه لا بد وان يكون مثيرا للانتباه دون تهويل أو خداع وقد يكون للخبر اكثر من عنوان .

ومع ذلك فان العنوان ينبغي ان يكون قصيرا ودالا وامينا . وفى جميع الاحوال يعتبر الخبر الصحفى اجابة عن ستة اسئلة تسمى بالانجليزية 5 W's and h منها خمس شقيقات والسادسة غير شقيقة اما الشقيقات الخمس فهن : من ؟ وماذا ؟ ومتى ؟ واين ؟ ولماذا ؟ واما الاخت السادسة غير الشقيقة فهي كيف ؟ والاجابة عن من ؟ تعبر عن شخصية أو عدة شخصيات صنعت الخبر ، وتجيب ماذا ؟ عن الشيء الذى حدث ، اما متى ؟ فليبيان وقت حدوث الخبر كما تبين اين ؟ مكان وقوعه ثم يأتى السبب لاجابة السؤال الخامس وهو لماذا وتبعث الاخت السادسة وهي كيفية وقوع الحادث الاخر وملابساته وظروفه . ولكن ليس معنى ذلك ان ترد الاجابات عن الاسئلة الخمسة بهذا الترتيب بل لا بد وان يختار العنصر الاساسى والهام اولا ، كما انه ليس من الضرورى الاجابة عن الاسئلة جميعا فى بداية الخبر والا تعرضت المقدمة للحشو المفتعل .

فالفرض من قالب الصحفى هو نشر الاخبار بوضوح ودقة تساعد القارئ على الفهم ولذلك فان الخبر ينقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية هي : العنوان والمقدمة وجسم الخبر وفى جميع الاحوال يعبر الصحفى عن الحقيقة الموضوعية ويبتعد تماما عن الذاتية فى اختيار الالفاظ أو فى بناء الخبر أو الاجابة عن الاسئلة الستة التى سبق بيانها .

وفى فن « الماكرات » تتجه اللغة الصحفية الى التسجيل والوصف لنقل تفاصيل روح الجلسة والوصف وتتطلب الامانة فى حذف التفاصيل التى لا ضرورة لها حتى لا يستغل الحذف للتشويه أو الانحياز لفريق دون اخر فالموضوعية فى لغة الماكرات القضائية والبرلمانية والسياسية والدولية من اهم معالم الصحافة الجيدة .

وأما صلب « التحقيق الصحفي » فيتخذ خمسة قوالب رئيسية هي :  
قالب العرض وقالب القصة وقالب الوصف وقالب الاعتراف وقالب الحديث .

وانجح التحقيقات ما يتصل بخبر جديد أو اكتشاف حديث كما يحدث  
في التنقيب عن الآثار .

ويحتاج الكاتب الى اعداد الخلفية العلمية من المعلومات الضرورية  
لموصف المكان الذي يذهب اليه كما ينبغي ان يكون قوى الملاحظة يقظا  
حاضر البديهة . وأهم من ذلك قدرة الكاتب على الوصف باللغة وراعيته في  
نقل ما يشاهده وكأنه يرسم لوحات حية .

على ان « المقال الصحفي » من بين فنون التحرير يملك لغة خاصة تنفذ  
الى المغزى أو الدلالة ، اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية عن طريق الفاظ  
تقوم على البساطة والوضوح وتيسر الفهم على القارئ العادي . وذلك  
لان الصحفي يعرض افكارا وآراء ويفسر اتجاهات ويشرح بيانات وهو  
الامر الذي يدفعه الى استخدام لغة غير منمقة خالية من الصور البيانية  
لأنها ربما تعوق القارئ في فهمه لفكرة الكاتب في سرعة ووضوح ويسر .

فالصحفي يرى الاشياء من ناحية دلالتها العلمية وتفسيرها  
الاجتماعي . الامر الذي يسم أسلوب مقاله بالأسلوب العلمي الاجتماعي .

ولغة الصحافة في هذه الفنون التحريرية وما يتفرع عنها ، تعتمد الى  
عرض معلوماتها عرضا مباشرا وموجزا وسريعا وتفضل استعمال الجملة  
القصيرة الايضاحية التي يتعلمها القراء عادة في المخاطبة . وكذلك الافعال  
المحكمة المغزى سريعة المعنى .

ان الفعل القصير النشط يتلاءم بشكل طيب مع الكتابة الصحفية  
الحديثة . وجميع الصحف تستهدف تيسير المطالعة للقارئ بغية التقليل  
الى الحد الأدنى من الجهد الذي يبذله لذلك فهي تفضل اللفظ القصير على  
الطويل والجملة القصيرة على الطويلة واذا نحن عمدنا الى تحليل أي عمود  
من اعمدة الصحف سبق ان قرأناه بسهولة جاز الا نجد فيه سوى عدد  
قليل من الالفاظ التي تشذ عن هذه القاعدة (١٤) .

---

(١٤) بوند : نفس المرجع .



ولذلك يراعى فى كتابة المواد التحريرية عادة الا يزيد عدد الكلمات فى الفقرة الواحدة على ٧٥ كلمة والا تتألف الفقرة من أكثر من أربع جمل وقد ينقص عدد الجمل الى جملة واحدة فى الفقرة . والجمل القصيرة البسيطة تفضل عادة عن الجمل الطويلة المركبة ولكن محاولة ايجاز الكلام فى عبارات قصيرة ينبغى الا تقضى الى جعل الاسلوب مهلهلا متداعيا (١٥) .

وبعد هذه الاطلالة السريعة على لغة الصحافة ، رأيناها عملت عملا عمليا مجديا وحاسما فى تجديد اللغة العربية ورسمت خطة لنظام جديد للقواعد النحوية ولطوائف تخريج العبارات العربية تخريجا اعرابيا ولغويا فى حدود خصائص اللغة العربية وذوقها الأصيل الذى رسمه السابقون الأولون .

وهى بذلك تكون قد أدت بنجاح تام كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة ، وكل ما نادى به الفيورون على هذه اللغة .



# الفصل الثامن

لغة الاذاعة

(المسموعة والمرئية)



لم يعد الناس مقيدون بالاصغاء المباشر فان المذياع والتلفاز ينقلان الآن صوت المتحدث يصل قبل اختراع المذياع الى اسماع بضعة الاف من الناس موجودين ضمن نطاق الاستماع اليه - أصبح الآن الجماهير على النطاق القومى بل الدولى ايضا (١) .

واستطاعت الاذاعة اللاسلكية بعد ولادتها بزمن ولمجرد جدتها ان تكسب انتباه المستمعين وتحافظ عليه وسرعان ما تضخم عدد المستمعين حتى بلغ الملايين وازداد عدد محطات الاذاعة الى الالاف وانتشرت البرامج على تعدد انواعها الى الالاف واختلاف الوانها فتجاوزت حدود التصور العادى - ونشأ عن ذلك كله تحميل الاذاعة مسؤولية هي من اعظم المسؤوليات التي ترتب حتى الآن على أى اختراع قام به الانسان على اعتبار انها قوة حيوية فى النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية والثقافية من حياة البشر .

والمشكلة ليست هي هل نستخدم الاذاعة وانما كيف نستخدمها . ذلك لان الاذاعة تستطيع ان تفعل عديدا من الاشياء تستطيع ان تزود بالاخبار من لا يقرأون الصحف .

وتستطيع ان تزود وتجرى بالتعليمات والنصح لاولئك الذين يحتاجون الى المعونة فيما يتعلق بالزراعة او تحسين الصحة او تنمية المجتمع وتستطيع ان تجرى بالتعليم الى الافراد والجماعات من غير القادرين على الذهاب الى المدارس وتستطيع ان تذيب الموسيقى القومية والمسرحيات التي تعتبر من تراث الامة الثقافى وتستطيع ان تذيب الترفيه الخفيف سواء كان موسيقى شعبية او ملهاة خفيفة او مسلسلات تمثيلية او حفلات او رياضة او ما اشبه (٢) .

---

(١) شرام : اجهزة الاعلام ص ٢٩٤ .  
(٢) امام : العلاقات العامة والمجتمع ص ٢١٣ .



وقد ثبت بالاحصاء الى ان الجمهور يحصل على ٦٠٪ من الاخبار عن طريق الاذاعة المسموعة وفي هذا ما يدل دلالة قاطعة على انه قد أصبح للكلمة المسموعة من الأثر ما يقل في خطورته وضخامته عن الكلمة المقرؤة وفي ذلك ما يضع الاذاعة في موضع متقدم من قائمة وسائل الاعلام التي تؤثر في تكوين الرأي العام .

على ان التعليم كما يؤثر على نوع القراءة في الصحف فانه يؤثر على نوع البرنامج الاذاعي ونوع الفيلم : فصغار السن وقليلو الحظ من التعليم يميلون الى الاطلاع على النكت ، والصور والتسلية الخفيفة وهم يفضلون ايضا الاخبار المثيرة وخاصة اخبار الجريمة وقد دأبت بعض الصحف ودور الاذاعة وغيرها على استغلال هذه الحقيقة سواء في البلاد العربية او غيرها بنشر الاخبار المثيرة والمعلومات التافهة المسلية والصور العارية وغيرها من الوسائل الرخيصة لرفع التوزيع وكسب المال بآية طريقة ولو تعارضت مع صحة الشعب العقلية ومستواه الاجتماعي (٣) .

فلننظر مثلا الى انواع البرامج الاذاعية التي يفضلها الاميون والمتعلمون تعليما ابتدائيا والمتعلمون تعليما ثانويا والمتعلمون تعليما عاليا وفي البلاد العربية اجريت هذه التجارب على المستمعين في مصر وسوريا والاردن ولبنان باعتبارها ممثلة للعالم العربي فكانت النتائج هي :

البرنامج المفضل	الاميون	تعلما ابتدائيا المتعلمون	المتعلمون ثانويا	المتعلمون عاليا
الاخبار	٤٥٪	٥٤٪	٦٠٪	٥٧٪
الموسيقى الشرقية	٥٩٪	٥١٪	٣٢٪	٢٩٪
الموسيقى الغربية	١٪	٨٪	٣٠٪	٤٢٪
القران الكريم	٤٤٪	٣٧٪	١٥٪	١٢٪
الاحاديث والمحاضرات	١١٪	٢٠٪	١٩٪	٢٣٪
موسيقى مختلفة	١٢٪	١٨٪	٢٤٪	٢٦٪

(٣) بوند : نفس المرجع ص ٥٠ .

ولا شك انه من الممكن تربية الشعب وتحسين ذوقه ورفع مستواه ، بل ان هذا واجب أساسى من واجبات الاذاعة ووسائل الاعلام المختلفة سيما ان قوة الصوت البشرى اذت الاتجاه المزدوج تستطيع ان توحى بصورة خيالية هي أكثر من ان تعوض من عدم توافر الرؤية . ذلك ان الصورة تتكون فى ذهن المستمعين دون ان تنقيد بتفصيلات محددة فهي لذلك صورة كاملة لأن المستمع يستطيع ان يكيفها وفقا لذوقه الخاص .

وعلى ذلك فان الاذاعة تكون فى موضع طليعى بالنسبة لجميع وسائل الاتصال بال جماهير فما هو السبب فى ذلك وكيف استطاعت ان تستأثر بكل هذا الانتباه والثقة العامة فى مثل هذا الوقت القصير ؟

ان « كنيث بارتلت » نائب رئيس مركز الاذاعة والتلفاز ومديره فى جامعة « سيراكيوز » هو مرجع فى شئون الاذاعة يبرز الخصائص غير العادية التى تتميز بها الكلمة وقد عددها بما يلى :

شمولها ، وطبيعتها المعاصرة ومخاطبتها المباشرة والفردية ومزاياها كاداة اجتماعية فريدة (٤) .

وعندما احست بعض المجتمعات الغربية بقوة تأثير الاذاعة المسموعة على المفكرين فيها بهذا الوسيط الجديد وسجلوا له انه يعيش على ديمقراطية التثقيف لانه يتيح للأفراد والجماعات فى كل مكان ان تفيد من المعرفة وان تتذوق الفن وانه اقوى من الطباعة فى تأصيل هذه الديمقراطية الثقافية . ومن هؤلاء المفكرين افراد حاولوا التبشير ببلاغة جديدة وكان على رأس هؤلاء برناردشو وبخاصة عندما عين مقرا لمجلس الاذاعة البريطانية وضم هذا المجلس علماء فى الصوتيات والنفس والتربية الى جنب الفنون والمتخصصين فى الاذاعة يذكر الجيل الماضى المناظرات والدراسات والتحقيقات الكثيرة على هذا الوسيط الثقافى وبرزت تساؤلات قيمة : منها البحث عن طبيعة الجماهير التى تتلقى الكلمة المذاعة وعن الوحدات والانماط التى تتألف منها وحرص بعض المعنيين بالفكر والفن على الاشارة الى برامج الاطفال والمرأة وكيف السبيل الى ان يسهم الاطفال انفسهم فى البرامج الخاصة بهم أو ان يشترك النساء من قطاعات اجتماعية مختلفة فى اقتراح البرامج النسائية أو تأليفها (٥) .

(٤) بوند : نفس المرجع ص ٥٦ .

(٥) عبد الحميد يونس : مجلة عالم الفكر - المجلد الثانى - العدد ٢٧ السادس - الكويت .

واستخدمت الاذاعة منهج العمل الميدانى وقياس الرأى العام فى تفهم حاجات الجماهير وحاولت - ولا تزال تحاول - ان تصل ما بين الانتاج من ناحية وبين التلقى من ناحية اخرى وهذا ما سارت عليه اجهزة الاعلام على اختلافها فمدت تقننت فى صنع الاسئلة التى تكشف عن رغبات المستفيدين من هذه الوسائل على تباعد ديارهم وتباين منهم بل واختلاف لغاتهم وتقوم بعد ذلك بتحديد الاجابات لكى تفيد من النتائج فى وضع البرامج وتنمية لغتها وتلبية ما يطلبه أولئك وهؤلاء من مضمون اعلامى وثقافى .

ونتيجة لذلك تميزت لغة الاذاعة بالوضوح والاقتصاد والسلامة حتى يمكن ان تصل الى الجمهور الغفير والمشاركة فى تتبع المضمون ومن جهة اخرى كان على هذه اللغة المذاعة ان تراعى اصول الالتقاء الاذاعى الامر الذى يقتضى تقدير القيمة الصوتية للالفاظ والتدقيق فى استخدامها وفى معرفة وقعها الحقيقى على الاذن وفى ذلك كله ما يتجه بهذه اللغة المذاعة الى الاقتصاد فى عدد الالفاظ والاقتصاد على القدر المطلوب لتحقيق الفهم والمشاركة .

وتأسيسا على هذا الفهم فان الاذاعة قد استطاعت ان تعمم اللغة المشتركة بين عامة المستمعين وان تمنحها قدر كبيرا من المرونة ولعل اهم ما جاءت به الاذاعة على اللغة جاء من ناحية الصوت وابراز الخصائص الصوتية للغة الضاد عن طريق الاذاعة والالتقاء .

ولا يخفى اثر الاذاعة فى الارتفاع بالمستوى اللغوى بين طبقات الشعب كافة . ولان كانت الصحافة قد دفعت باللغة المشتركة خطوات واسعة الى الامام على النحو المتقدم - فان الاذاعة وهى صحافة مسموعة ستكون عظيمة الاثر فى زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب وفى توحيد نطق المفردات وفى التقريب بين اللهجات .

ليس من المستبعد ان تنجح فى احلال الفصحى البسيطة محل العامية السائدة ومن ثم فان لغة الاذاعة تتميز عن لغة الصحافة فى ان الفاظ الاولى تصبح رموزا صوتية بالنسبة الى ابناء الاذاعة بدلا من ان تتخذ شكل رموز بصرية وعلى ذلك فان لغة الاذاعة اقل التزاما بالشكليات من الكتابة للصحف ذلك ان لغة الاذاعة هى لغة الاتحاد الحقيقى بين لغة الكتابة ولغة الحديث .

على ان الاذاعة لا تقوم على اللغات المحلية وانما تقوم - في اغلب الاحيان على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهي بعينها - كما اوضحنا - اللغة المشتركة او اللغة العربية الفصحى .

ومن البديهي ان المذيع ينتشر بسرعة عظيمة جدا فلن يمضي وقت طويل حتى نرى اجهزة الاذاعة تتغلغل في الريف كما تغلغل في المدن وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة ، وهي نحو هذا الفرق بالتدرج - القائم بين الفصحى واللهجات العامية .

#### ١ - الاذاعة في المنطقة العربية :

يمكن القول مبدئيا ان جميع البلاد العربية تمتلك المرافق الاذاعية اللازمة لتغطية الحاجات الوطنية . وتجري الاذاعة في كل منها باللغة العربية ولكن هناك عددا من الاقطار تذيع بعض البرامج بلغات اخرى اما باللغات الاجنبية الرئيسية وخاصة الفرنسية في بلاد المغرب العربي او بمختلف اللهجات المحلية مثل القبلية والبربرية والكردية والتركمانية .

وقد دخل التليفزيون معظم البلاد العربية ولو ان انتشار الخدمات التليفزيونية ومدى تغطيتها وعدد الاجهزة فيها تختلف اختلافا كبيرا من قطر الى قطر .

وبينما هناك عدد من البلاد مثل جمهورية مصر العربية بها مرافق تليفزيونية متقدمة من حيث الانتاج ومدى التغطية لا تزال بلاد اخرى تعاني نقصا شديدا في الناحيتين : الانتاج ومدى تغطية وربما جعلت الظروف الجغرافية والسكانية السائدة في بعض الاقطار امر تغطية البلاد بالخدمات التليفزيونية بنسبة ١٠٠٪ امرا باهظ التكاليف الى درجة التعجيز في حالة استخدام الوسائل التقليدية الارضية .

ويدعوا الامر الى الشك في امكان تحقيق التغطية الكاملة بهذه الوسائل ففي بعض البلاد كالسودان والسعودية . ومن مظاهر التفاوت الكبير بين بلاد المنطقة ما نراه في الكويت مثلا ، اذ استطاع التليفزيون الكويتي تغطية اجزاء الدولة كلها بجهاز ارسال واحد .

---

(٦) اعتمدنا في هذا الجزء على تقرير لليونسكو صدر في باريس مايو ١٩٧١ .

وفى معظم البلاد تتولى شئون الاذاعة هيئات رسمية توفر للبلاد خدمة تليفزيونية على مستوى وطنى وهناك بعض البلاد التى وضعت لنفسها خططا للتوسع فى الخدمة التليفزيونية تقضى بإنشاء قناة اخرى تستخدم احيانا لأغراض تعليمية . ويتم تمويل الخدمات التليفزيونية عن طريق الرسوم التى يدفعها الافراد للترخيص لهم بحيازة الاجهزة والمعونة التى تقدمها الدولة علاوة على ان الهيئات التليفزيونية فى بعض البلاد تقبل الاعلانات وفى لبنان يوجد شكل من اشكال التليفزيون التجارى .

ويجرى التعاون بين هيئات الاذاعة فى المنطقة العربية بواسطة اتحاد اذاعات الدول العربية .

ويضم هذا الاتحاد هيئات الاذاعة فى الدول الاعضاء فى جامعة الدول العربية وقد أنشئ فى نطاق الجامعة ومقره فى القاهرة .

وتنص اتفاقية الاتحاد من بين ما تنص عليه من أهداف على تنمية الطاقات العربية فى الحقل الاذاعى وتبادل الخبرات والمعلومات والمواد مما يعود بالمصلحة على هيئات الاذاعة وتنسيق استخدام الموجات فى المنطقة العربية وتوحيد موقف الدول العربية فى المؤتمرات الدولية التى تعقد لهذا الغرض .

وفى الدورة الثانية للجمعية العمومية المنعقدة فى ١٩٧٠ صدق الاعضاء على الميثاق الاذاعى العربى الذى وضع أسسا للاذاعة فى العالم العربى تتعلق بموضوعات منها تحقيق الاهداف الوطنية والحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية والعمل على التنمية التعليمية والثقافية وتوعية الرأى العام ومسئولية الهيئات الاذاعية والاعلانات التجارية .

ومن شواهد الاهتمام ببرنامج التبادل ما جاء فى توصيات لجنة البرامج التابعة للاتحاد فى عام ١٩٦٩ من أن هذا التبادل وسيلة لبلوغ اهداف الاتحاد ، ولا سيما ان اللغة العربية الواحدة والثقافية العربية المشتركة تمهدان الطريق لتبادل البرامج بين هيئاتنا الاذاعية . ومع هذا فتشير المعلومات التى اتيح للبعثة الاطلاع عليها انه لم يحدث تقدم كبير فى مجال تبادل البرامج .

ويمكن البحث عن السبب فى مجال التليفزيون بأن هناك نقصا فى الوصل الداخلى بين البلاد .



كما تجدر الإشارة الى ان عددا من الاذاعات العربية اعضاء ايضا  
فى اتحادات اذاعية اخرى كاتحاد الاذاعات الافريقية واتحاد الاذاعات  
الاوربية والمنظمة الدولية للراديو والتليفزيون .

## ٢ - الربط القائم والمتنظر فيما بين الاذاعات :

من الناحية العملية لا يوجد ربط دائم فيما بين الشبكات الوطنية القائمة  
حيث ان انشاء هذه الشبكات لا يسمح باقامة اكثر من ربط جزئى بينها .  
ومع هذا فهناك رغبة دافقة فى ايجاد برنامج للتبادل بين البلاد ففى شهر  
رمضان عام ١٩٧٠ قامت بلاد المغرب الثلاثة - المغرب والجزائر وتونس -  
بجهود ضخمة لتبادل البرامج يوميا ولتحقيق هذا الغرض اقيمت مؤقتا  
محطة ربط متنقلة تعمل بالمواجات المتناهية الصغر بين المغرب والجزائر .  
ويبدو ان الأجهزة النهائية اللازمة قد تم الاتفاق على شرائها .

وفى اجزاء اخرى من المنطقة يتقدم العمل فى تنفيذ مشروعات اخرى  
وقد احيطت البعثة علما على وجه الخصوص ان محطات الربط بين جمهورية  
مصر العربية وليبيا وبين جمهورية مصر العربية والسودان سوف ينتهى  
العمل فيها خلال السنوات الثلاث القادمة . وعلى أى حال فقد تقرر فى  
اجتماع الاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية ان الوصل بين  
جمهورية مصر العربية وليبيا سيتم عن طريق كابل ذى محورين ويحتمل ان  
يكون خاليا من القدرة التليفزيونية .

وترتبط مدينة الكويت بالبصرة فى العراق ولكن البصرة الآن ليست  
موصلة بالشبكة العراقية وينتظر حسب الخطة انشاء هذه الوصلة فى  
غضون عامين . وهناك ايضا محطة ربط يجرى بناؤها بين الاردن وسوريا  
ولبنان .

وعلى هذا يمكن القول بأنه يوجد أو سوف توجد وصلات جزئية بين  
مختلف الشبكات وبعض الشبكات الوطنية يصعب الوصل بينها كما هو  
الحال بالنسبة لجمهورية مصر العربية والسودان علاوة على ان عددا من  
الشبكات الصغيرة ( امارات الخليج ) لا يمكن وصلها بالشبكات الاخرى  
الا بصعوبة . ويبدو بصفة عامة ان مشروعات تجهيز شبكات التليفزيون  
ووصلها ببعضها لا تأخذ فى اعتبارها اكثر من احتياجات الخدمات  
التليفزيونية الراهنة لاهداف التوسع فى الخدمات وخاصة للاغراض  
التعليمية .

وهذه الصورة تجعلنا نتفاعل بالنسبة لمستقبل الفصحى .

وليس من شك في ان السفة العامة ستتوهمها هذه الاذاعة لانهم سيعملون على محاكاتها راغبين أو كارهين في نطق الالفاظ كما انهم سيأخذون منها الكثير من الجمل والتعابير وبهذا يتخلصون شيئاً فشيئاً من خصائص لهجاتهم المحلية .

وتأثير الكلمة المذاعة من هذا الجانب يختلف عن تأثير السينما التي تعتمد على أساليب خاصة في الكتابة اليها ذلك لان الاخيرة تشبه المسرح من حيث ان الجمهور يحتشد في صعيد واحد لتلقى الفن والتفاعل معه أي ان العقلية الجماعية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية ويقتضى ذلك وقتاً محكماً للعروض كما يقتضى اطاراً معيناً وسياقاً زمنياً لا ينبغي تجاوزه الا بالحد المعقول . أما الاذاعة فالمستمعون اليها فرادي ولو اجتمعوا في أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم .

ومعنى هذه الحقيقة ان الفرد تغلب عليه عقليته ولا يذوب تماماً في العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ولذلك تنقسم الكلمة بانها موجهة الى افراد .

انها تختلف عن الخطبة وتختلف عن الحوار في المسرحية أو الفيلم مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدا واصولها الى اخرى لها شخصيات اخرى ففي هذه المراحل نجد ان الاذاعة تنقل مناهج المسرح والسينما في الاحاديث المباشرة والحوار ولا تتخلص من منصة الخطيب والمعلم بيد انها تفيد من تجاربها مثلها في ذلك مثل اوعية الثقافة الاخرى وتتخلص من اسلوب الاوعية التي سبقتها ولا تزال تعاصرها .

وتنشئ بلاغة خاصة بها تلتزم اصولاً وقواعد اثمرتها طاقة هذا الوعاء وطبيعة اللغة الانسانية الى جانب الرموز والمؤثرات والزخارف الصوتية الاخرى (٧) .

ومن البديهي ان تزدهر الفنون اللغوية كلها . بفضل هذا الوسيط الجديد الذي اضفى على اللغة الاعلامية المشتركة بلاغة جديدة عن طريق

---

(٧) د . عبد الحميد يونس : مجلة عالم الفكر - المجلد الثاني العدد الاول - الكويت .

الايحاء الى الذهن ، والاعتماد على قوانين البساطة والوضوح والاقتصاد  
فى مكونات هذه البلاغة .

وكل ما احتاجت اليه لتحقيق اغراضها هو الاستماعة بزاوية فى  
الموقف الغامض والتنبيه الى الحركة والنقطة . ولم يكتف القاسمون على  
الاذاعة من تجاربهم ، ولكنهم طلبوا الاتفاق بمراجعة ما يقدمون للمستمعين  
وتم لهم ذلك بفضل استغلال اجهزة التسجيل الصوتى التى اتاحت لهم  
المراجعة والتنقيح قبل العرض ، ولكن الاذاعة تعرضت لما تعرضت له  
الوعية الثقافية ذوات الانتاج الكبير لتعدد المحطات وطول الساعات والتنوع  
الواجب فى البرامج والتجديد المستمر فى المادة المذاعة كل اولئك قد جعل  
البرامج تميل الى الكيف وتترخص فى الارتجال فى بعض الاحيان .

والى جانب كل هذا فان عنصرا اضافيا جعل عمل الرواية الاذاعى  
مختلفا عن دور الرواية فى الكلمة المطبوعة ذلك هو عنصر الصوت  
والموسيقى .

فهذا عنصر من النزعات الخفية فى النفس واطلق عمليات التصرف  
واخذ الناس الى اماكن سحرية نائية . وانجذبت الملايين الى مكبر الصوت  
بفعل الصوت هذا الذى اصبحت عاملا مؤثرا (٨) .

واذا غلت الاذاعة اخذت تفقد قناعتها بحدود الرواية والاشنكال  
السردية ارادت ان تصبح فنا استعراضيا عندما جاءت التلفزة اتضح ضيق  
حدود الاذاعة المسموعة وظهر انها لا يمكن ان تصبح فنا استعراضيا لانها  
ببساطة لا تعرض مادتها امام العين فكان على الاذاعة ان تصنع البرامج  
المختلفة ، التى تعتمد على قانون البساطة والاقتصاد فى اللغة المذاعة حتى  
تستأثر باى قطاع متبق من اهتمام الجماهير .

وهكذا عادت الاذاعة المسموعة تركز من جديد على عنصر الرواية  
على اعتبار ان الكلمة المذاعة اساسا وسيلة تعبير قوامها الرواية من  
ناحية الشكل الفنى على الاقل فالذيعون يروون نتائج المعركة الانتخابية  
واصابات المباراة واخبار الساعة كما نجد الرواية ( ممثلا فى مقدم الاغانى  
والمعلقين ومذيعى الرياضة ومديرى المحادثات مع الشخصيات الهامة

---

1. Barnaw : op. cit.

والمحاضرين والمحدثين وأصبحت التمثيليات أقل عددا وما بقى منها اتجه الى القصر والبساطة وظل دور الرواية سائدا فيها فى اغلب الاحيان (٩) .

ولا نستطيع ان نقول ان « التليفزيون » هو خاتمة المطاف بين الوسائل الاعلامية وانه صاحب الكلمة الحاسمة فى لغة الاعلام الجديدة التى استشعرتها الحياة بفضل التقدم الباهر فى الطاقة والحركة وانتاج الاجهزة الاعلامية .

والتليفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة وهو يجمع المسموع الى المنظور ويستغل الصور والصوت وانه يفضل عن الاذاعة من هذه الناحية ويشبه السينما من ناحية المنهج ولكنه يختلف عنها فى ان ما يعرض يقدم الى الناس حيث هم فينتقل اليهم ولا يكلفهم مشقة الانتقال اليه .

وهو يوجه الى الافراد فى اطارهم الاجتماعى والقومى ولكنه بحكم ارتكازه على المنظور فى المقام الاول يقتضى من المتلقين له موقفا سلبيا فهو ليس كالمذياع ينقل اللغة الثقافية حتى للعاملين فى المصانع والمزارع والدكاكين انه يتطلب استغراقا كاملا أو شبه كامل لتقم الافادة من عروضه .

والتليفزيون على خطره ومكانته قد حول الناس من الحركة الى السكون . وان غشيان المسرح أو السينما انما يكون فى وقت محدد وعادة الذهاب الى دور التمثيل أو العرض السينمائى وغيرها لا تتحقق الا فى مواعيت الراحة وليست فى كل يوم .

ومع ذلك فهذا الوعاء من اقوى الاجهزة الاعلامية لانه ينتزع الصورة والصوت ويوزعهما على الناس فى بيئة متسعة ولا تزال هناك خطوات فسيحة يخطوها التلفاز حتى يقرب من طاقة الاذاعة المسموعة على طى المكان (١٠) .

فالتليفزيون يعرض على شاشته العالم والاحداث وشتى مظاهر المخاطبة لشتى فئات الناس على اختلاف طبائعهم واتجاهاتهم وذلك عن طريق لغة مشتركة تستفيد من الصورة والحركة فى الاتصال اللغوى

---

(٩) نفس المرجع .

(١٠) عبد الحميد يونس ( المرجع السابق ) .

والاعلامى ذلك ان التليفزيون لم يعد يعتمد على الرواية فحسب . كما  
تعتمد عليه الاذاعة المسموعة والافلام الناطقة ( الجرائد السينمائية وافلام  
الاعلام ) .

وانما أصبح يعتمد كذلك على اناس يخاطبون الجمهور مباشرة  
اشخاص يقدمون تمثيلات واشخاص يظهرون كرواة وممثلين فكاهيين  
يؤدون ادوار فردية وباعة يروجون سلعا ومرشحين للمناصب يدافعون عن  
ترشيحهم ومحاضرين يرشحون ويفسرون . وكل هؤلاء يلجأون الى اللغة  
الاعلامية المشتركة التى تعتمد على السرد والرواية للسماح للغة « المرئية »  
ان جاز هذا التعبير بانشاء علاقة المواجهة الشخصية مع المشاهدين .

ولذلك فان هذه اللغة المرئية تتجه الى الهدوء والتبسيط والخلو من  
التكلف . وتنطوى مثل هذه اللغة الاعلامية على لغة تصبغ على السرد  
اقوى تأثير يمكن ان يبلغه لدى جمهور المشاهدين .

وتشترك اللغة المرئية مع لغة الاذاعة المسموعة فى سمات الوضوح  
والايجاز والتبسيط .

ونخلص مما تقدم الى ان اجهزة الاعلام الجديدة قد بعثت مرة اخرى  
الفلسفة البلاغية القديمة وخاصة فى ان الفن انما يستهدف المخاطبين  
او المستقبلين بالدرجة الاولى اى ان الاثر الفنى والاعلامى يقوم على  
مقومات الصناعة وهى تصميم العمل طبقا لمقال سابق وثانيا تنفيذ هذا  
العمل على اساس من قواعد محكمة ، تعنى اولا واخيرا بعلاقة الجزء وعلاقة  
الجزء بالكل وثالثا افتقار هذا العمل الى آلات وأجهزة لا يمكن ان يتحقق  
بدونها والمقدم الوحيد الذى يخرج من مجال الصناعة هو ان البرامج  
الاعلامية ليست مجرد اعادة لصياغة مادة سابقة .

على الرغم من هذا كله يوجد جيل جديد يجمع تجارب الكتاب والسينما  
والاذاعة والتلفاز فى صعيد واحد هذا الجيل يدرك ان اللغة ليست الا وسيلة  
لتحويل المسموع الى مرئى وان القلم والقرطاس ليسا وسيلة ابداع ولكنهما  
التان لمجرد التدوين والابداع يتم بهما وبدونهما على السواء كذلك بقية  
اجهزة التسجيل وأدواته .

وفطن هذا الجيل الطامع الى تحقيق لغة مشتركة بأسلوب مغاير  
لأساليب الذين سبقوهم وقد تم لهم ذلك من خلال استخدام فنون تحريرية



تستوعب خصائص الكلمة المسموعة والمرئية على نحو ما فعلت الصحافة لتحقيق لغتها المقروءة وجعلها لغة مشتركة ذات خصائص وسمات .

ومن هذه الفنون التحريرية التي تستخدم فيها اللغة المذاعة ( مرئية مسموعة ) في الخبر الذي يعتمد في صياغته على البساطة فهي تمكن مذيع الأنباء من التنقل بسهولة ويسر عبر نشرته .

أما تنظيم كتابة الخبر فهو شبيه بتنظيم كتابة الاخبار كلها أي إبراز الحقائق الأكثر أهمية في البداية بحيث يسهل حذف أي مادة في الدقيقة الأخيرة .

وتستغرق اذاعة نشرة الاخبار النموذجية عادة فترة خمس دقائق تخصص لأحداث الأنباء البارزة وهي تتألف من سبعة الى عشرة أنباء ملخصة ورشيقة الصياغة يجدر نشرها في الصفحة الاولى من الجريدة .

ويتضمن كل نبأ فيها من خمسين الى خمس وسبعين كلمة - الا المادة الخيرية المبرزة ابرازا خاصا فيمكن ان تتألف من ١٥٠ الى ٢٠٠ كلمة . أما الحافز الكامن خلف انتقاء الأنباء فهو عنصر التنوع فيتوخى كاتب الأنباء أو مذييعها اذا كان هو الذي يعد نشرته بنفسه ان ينتقى لها تشكيلة متنوعة من الأنباء المحلية والوطنية والدولية والاقتصادية والاجتماعية والدينية اذا كانت مؤنة ذلك اليوم توفر له ذلك كله .

فيكون بذلك قد حاول ان يلبي سلسلة واسعة النطاق من الانواق ثم يحاول ان يختتم ذلك كله بقصة ذات طابع انساني يفضل ان تكون من النوع الذي يخلف وراءه اصدااء ضحكة ما (١١) .

وينبغي لكل نبأ ان يحمل تاريخه ومصدره وتقضى العادة المتبعة حاليا بذكر مصدر النبأ في الجملة الاولى منه بدلا من الاكتفاء بمجرد اعلان اسم المدينة أو البلاد الوارد منها قبل بدايته كما هو الحال بالنسبة الى النبأ المكتوب ولما كان النبأ بعد ذاته يفرض الاهتمام به اهتماما فوريا فان عرضه في النشرة لا يتطلب اسلوبا خاصا للفت الانتباه اليه والواقع ان ادخال التعميق والدراماتيكية في صياغة برامج الأنباء الطارئة لا يكون الا بمجرد اضافة المزيد من الحيوية على الحقائق الا لان التعميق والدراماتيكية في

---

(١١) بوند : نفس المرجع .

الصياغة هما هدف في حد ذاتهما وينطبق هذا على كل المواد لا على كتابة الأنباء فحسب بل على اذاعتها الفعلية ايضا فالمستمع يشعر بأن الذي يبلغ سمعه هو بطريقة ما عناوين انباء الصحف تتلى عليه تلاوة ولذلك ليس هناك ما يدعو مذيع الانباء الى ان يلوم نفسه اذا هو انتهج اسلوب الكلام البسيط الذي تنطبع به اذاعة الموضوعات الاخرى (١٢) .

وينبغي ان يبدووا الخبر من مقدمته حتى خاتمته نفعا حيا مؤثلا متناسبا يتناسب مع النفس الطبيعي وبذلك يخيّل الى المستمع ان المذيع يرتجل الاخبار ارتجالا ويقلوها تلاوة سليمة طبيعية قاطعة لا ترد فيها ، كما لو كان ممثلا يؤدي دوره على خشبة المسرح ويقوم الاسلوب الاذاعي على نفس القواعد التي يقوم عليها اسلوب اللغة الاعلامية للحصول على اكبر النتائج بأقل الوسائل أى استخدام أقل عدد ممكن من مفردات اللغة للتعبير عن أكبر عدد ممكن من الاشياء مع مراعاة الوضوح والبساطة والاقتصاد والتأثير .

وهنا نصدق قول الفيلسوف برجسون : ان فن الكتابة هو ان ينسى الكاتب ان الكلمات عدته ومعنى ذلك ان كل كلمة يجب ان تعبر عن شيء ما ، ومعنى ذلك ايضا ان تستبعد الكلمات الغامضة والعبارات العامة التي لا تؤدي الى معنى .

ومن الفنون الاذاعية كذلك فن التعليق الذي يقابل فن المقال الافتتاحي في تحرير الصحف وتدخل في مادة التعليق الاذاعي كل عناصر المقال الافتتاحي الجيد من انتقاء خبر يشغل بال الراى العام الى تحليل للنبا وتفسير معلل للاراء الواردة .

وتتوقف قيمة التعليق الاذاعي على معرفته واتساع افاقها وقدر كاف من الاطلاع مع توسع في الادلة والبراهين لوضع الحدث في مكانه التسلسلى ويشير الى ما ينطوى عليه من اهمية نسبية تساعد المستمع العادى على تكوين ارائه الخاصة حول موضوع التعليق .

وتتضمن تعليقات المعلقين الاذاعيين وبرامج الاخبار الصحفية المتعمقة منذ زمن طويل افتتاحيات كبيرة كما ان التلفاز ما فتىء منذ مدة يتجه نحو المزيد من التعبير عن الراى .

---

(١٢) المرجع السابق .

ولما كان الدور الذى يلعبه المقال الافتتاحى يزداد اتساعا فى نطاقه فان الدور الذى سيلعبه التلفاز فى المستقبل القريب قد يكون هو المهم فى تعبئة الراى العام .

وتشترك الاذاعة المرئية والمسموعة مع الصحافة كذلك فى فن تحريرى آخر هو فن الحديث الذى يقابل فنون « المقال » المختلفة والتي تعتمد على الكلمة المقرؤة فى الصحافة ويتميز الحديث الاذاعى بلغة مشتركة أساسها الالفة واليسر والبساطة ينتظمها اسلوب ليس فيه استعلاء ولا هبوط عن مستوى المستمع ولكن لمخاطبة الصديق للصديق لجذب جمهور المستمعين واشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة وتوجيه السياسة التى تتبعها الدولة أو يتبعها المجتمع وتتحقق هذه الالفة عن طريق تحقيق اجابات لما يحتمل ان يتجه اليه ذهن المستمع أو المشاهد من تساؤلات .

أما اللغة التى تستخدم فى الحديث الاذاعى المسموع والمرئى فهى تلك اللغة المشتركة الاعلامية المفهومة البسيطة .

وتعتمد هذه اللغة على الفاظ تتمتع بمزايا « ضوتية » تجعلها قريبة من افهام المتعلمين والاميين على حد سواء .

كما تنقسم هذه اللغة بالموضوعية « التى تنأى بها بعيدا عن الذاتية أو الشخصية من جانب التحدث » وتأسيسا على ذلك فان هذه الفنون التحريرية المذاعة والرئيسية تقوم جميعا على الرمز المشترك سواء كان صورة أو كلمة أو اشارة أو نغمة أو حركة أو غير ذلك فالرموز فى الاذاعة المرئية والمسموعة شأنها فى ذلك شأن وسائل الاعلام الاخرى – هى عمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل .

والسؤال الذى تواجهه وسائل الاعلام المختلفة ومن بينها الاذاعة والتلفاز هو : كيف ترسل الرسائل الى الناس بحيث تنتقل المعانى كاملة دقيقة ؟ أو بمعنى آخر كيف تؤدى الرموز اللغوية وغيرها معانيها المختلفة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة ؟

إذا كنا فى دراستنا للغة الصحفية نذهب الى الاستعانة بعلم الدلالة ( السيمياء ) Sémantique لفهم العلاقة بين الرموز والمعانى والقيم الدلالية للرموز وقدرتها على الابانة أو الترميز والغموض : فان هذا العلم نفسه من أهم العلوم التى تساعد اللغة المذاعة على تحديد خصائص تيسر

لها استجابة لدى جمهور المستقبلين على ان اللغة المذاعة تقتضى ان تدرس كذلك فى ضوء علم الصوتيات Phonétique او النطقيات للبحث فى الاصوات ذات الوظيفة الدلالية كالسين والصاد فى مثل : سبر وصبر .

وقد اثبت علماء الصوتيات او النطقيات ان الاصوات اللغوية تنقسم قسمين رئيسيين :

الأول ما يمكن ان يسمى بالاصوات الساكنة والثانى باصوات اللين .

فالاصوات الساكنة اقل وضوحا فى السمع من اصوات اللين ذلك ان اصوات اللين تسمع من مسافة قد تخفى عندها الاصوات الساكنة او يخطأ فى تمييزها فالفتحة ومثلا وهى صوت لين قصير ، تسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيرا مما تسمع عندها الفاء . ولهذا نتخذ الاساس الذى بنيت عليه التفرقة بين الاصوات الساكنة واصوات اللين اساسا صوتيا وهو نسبة وضوح الصوت فى السمع . ففي الحديث بين شخصين بعدت بينهما المسافة قد يخطئ احدهما سماع صوت ساكن ولكن يندران يخطئ سماع صوت لين وكذلك الحال فى الحديث بالهاتف .

وليست كل اصوات اللين ذات نسبة واحدة فى الوضوح السمعى بل منها الاوضح فاصوات اللين المتسعة اوضح من الضيقة أى أن الفتحة اوضح من الضمة والكسرة كما ان الاصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة بل منها الاوضح ايضا فالاصوات المجهورة اوضح من الاصوات المهموسة .

والوضوح السمعى الذى بنيت عليه التفرقة بين الاصوات الساكنة واصوات اللين هو تلك الصفة الطبيعية فى الصوت لا المكتسبة من طول او نبرة (١٢) فصوت اللين اوضح بطبعة من الساكن .

ومن النتائج التى حققها المحدثون أن الاعلام الميم والنون اكثر الاصوات الساكنة وضوحا وأقربهما الى طبيعة اصوات اللين . ولذا يميل بعضهم الى تسميتها « اشباه اصوات اللين » .

---

(١٢) ابراهيم انيس الاصوات اللغوية ، الفصل الخاص بمعنى طول الصوت ومعنى النبر .

ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الاصوات الساكنة واصوات اللين ففيها من صفات الاولى ان مجرى النفس معها تعترض حوائل وفيها أيضا من صفات اصوات اللين انها لا يكاد يسمع لها اى نوع من الحفيف .

واصوات اللين فى اللغة العربية هى ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة وكذلك ما سموه بالالف اللينه والياء اللينه ، وما عدا هذا فاصوات ساكنة (١٤) .

واما الاصوات المتقاربة المخارج فهى : ( الذال الثاء الضاء . الدال الضاد التاء الطاء اللام النون الراء السين الصاد ) ووجه الشبه بين كل هذه الاصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان ( بما فيه طرفه ) والثنايا العليا على أنه رغم تقارب مخارجها تفرق بينها صفات صوتية متباينة وقد خصت كتب القراءات النون ( بالبحث الخاص وافردت لها فصولا درست فيها احكام النون من اظهار واخفاء وادغام وقلب (١٥) .

ويعرض للنون من الظواهر اللغوية مالا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من اصوات ولانها بعد اللام اكثر الاصوات الساكنة شيوعا فى اللغة العربية والنون اشد ما تكون تأثرا بما يجاورها من اصوات حين تكون مشكلة بالسكون .

اما الجيم العربية الفصيحة ، فليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف ينطق بها . فصحاء العرب ، لانها تطورت تطورا كبيرا فى اللهجات العربية الحديثة فطورا نسمعها فى السنة القاهريين خالية من التعطيش وهى جيم أقصى الحنك ونجدها وقد بولغ فى تعطيشها كما هو الحال فى سوريا واخرى نجدها صوتا آخر يبعد الى حد كبير عن الصوت الاصلى مثل نطق بعض اهالى الصعيد حين ينطقون بها « ولا » .

ويظهر ان الجيم التى نسمعها الان من مجيدى القراءات القرآنية هى اقرب الجميع الى الجيم الاصلية ان لم تكن هى نفسها ومما تفيد فيه اللغة المذاعة فى علم الصوتيات معرفة طول الصوت اللغوى سواء كان صرنا لين او صوتا ساكنا .

---

(١٤) المرجع السابق ص ٢٨ وما بعدها .

(١٥) المرجع السابق ص ٥٩ وما بعدها .



ونعنى بطول الصوت الزمن الذى يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدرا عادة بجزء من الثانية . ذلك ان لطول الصوت أهمية خاصة فى النطق باللغة المذاعة نطقا صحيحا فالاسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به يترك فى لهجة المتكلم من الأثر أجنبيا عن اللغة ينفر منه أبنائها .

وليس من الضروري ان يعرف المذيع مقدار الزمن الذى يستغرقه نطق كل صوت ليصح نطقه بل ان المران السمعى يكفى عادة فى ضبط هذا الطول دون حاجة الى المقاييس الآلية والصوت اللغوى قد يتأثر من حيث طوله بما يجلوه من الأصوات ومما لاحظته العلماء ان صوت اللين يزداد طولاً اذا تلاه صوت مجهور .

وتتطلب اللغة المذاعة تقسيم الكلام المتصل الى مقاطع صوتية عليها تبنى فى بعض الأحيان الأوزان الشعرية ذلك ان الكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف فى نسبة وضوحها السمعى .

واللغة العربية حين النطق بها تتميز فيها مجاميع من المقاطع تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها الى بعض فهى وثيقة الاتصال . وبذلك ينقسم الكلام العربى الى تلك المجاميع من المقاطع .

وكل مجموعة اصطلح عامة على تسميتها بالكلمة . فالكلمة ليست فى الحقيقة الا جزءا من الكلام تتكون عادة من مقطع واحد أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض ولا تكاد تنقسم فى أثناء النطق بل تظل مميزة واضحة فى السمع .

ويساعد بلا شك على تمييز تلك المجاميع ومعانيها المستقلة فى كل لغة الأذن الموسيقية تستطيع ان تقسم الكلام العربى بمجرد سماعة الى المجاميع من المقاطع ولو لم يفهم المعنى وفى الغالب تنطبق تلك المجاميع كما تسمعها الأذن الموسيقية على الكلمات . فاذا سمع امرؤ ذو أذن موسيقية جملة عربية لا يفهم معناها استطاع فى غالب الأحيان ان يقسمها الى مجاميع من المقاطع كل مجموعة هى فى الحقيقة إحدى كلمات هذه الجملة .

١ - صوت ساكن + صوت لين قصير .

٢ - صوت ساكن + صوت لين طويل

٢ - صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن .

٤ - صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن

٥ - صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان .

ساكنان والانواع الثلاثة الاولى هي الشائعة في اللغة العربية وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي .

على أنه من الممكن الانتفاع بحقائق هذا العلم من الناحية العلمية أي الاهتداء على ضوءه الى ما ينبغي ان تتجه اليه اللغة المذاعة من ناحية النطق شأنه في ذلك شأن علم السيمياء ( الدلالة ) الذي راينا اثارة في تطوير ودراسة لغة الاعلام بوجه عام كذلك فمن الممكن ان يقام على القواعد التي يكشفها علم الصوتيات أو النطقيات بحوث فنية ترشدنا الى تحقيق لغة مذاعة فعالة ومؤثرة والى وضع قواعد وطرق لكتابتها وفي النهوض باللغة ومحاربة ما يطرأ عليها من لحن أو تحريف وفي توسيع نطاقها وترقية لهجاتها العامية وما الى ذلك من الشئون اللغوية التي ينبغي ان توضعها دراسة الكلمة المذاعة .

الامر الذي يساعد على علاج عيوب النطق نتيجة للمعجز عن اخراجه الحروف من مخارجها الصحيحة كالفاة والثاثة ، أو نتيجة للتعود على نطق كلمات معينة بلهجة المدن كما تساعد دراسات هذا العلم على دراسة التأثير الصوتي للقاء والتعبير لدى جمهور المستمعين الامر الذي يسعى الى تحقيق خصائص مناسبة ومؤثرة في الاتصال الاذاعي المسموع والمرئي .

وتحقق هذه البحوث كذلك نتائج لا بأس بها في تصحيح ارسالة اللغة عند قراءة الاخبار وغيرها من المواد الاجتماعية الاذاعية والتلفازية بحيث يراعى في اللغة تحقيق القواعد الخاصة بمخارج الحروف ونطق الكلمات والوقف والاستطراد والاستفهام والتعجب وما الى ذلك من فنون الالقاء .

فليس من شك في ان نبرات صوت المذيع وطريقة الالقاء وحركات وسكنات المتكلم تعطى الالفاظ قوة في تحقيق المعنى الدلالي دون ان يلقي عليها اظلالا من عنده بحيث يتلو المذيع نشرته تلاوة حية في جلاء ودقة ووضوح وموضوعية تبرز من حياء صوت المذيع .

وتأسيسا على ما تقدم نجد انه يجب على اللغة المذاعة ( مسموعة ومرئية ) ان تتميز بهذه السمات :

أولا : سمة القصر فى الجمل والعبارات فلا ينبغي للمذيع ان يعتمد الى الجمل الطويلة أو المتشاركة ولا يصح له ان يعتمد كثيرا على الجمل الاعتراضية وبذلك يسهل على المستمع التقاط الكلمة المذاعة كما يتيسر له الحصول على معناها الاجمالى ومعنى ذلك باختصار ان بناء اللغة المسموعة أو المرئية ينبغي ان يختلف عن بناء اللغة المكتوبة وذلك ان المستمع أو المشاهد لا يستطيع ان يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب .

فهو فى حالة الكلام المكتوب يعدل من سير القراءات قصد التغلب على صعوباتها .

ان الايجاز من سمات اللغة الاعلامية لانه منبع الوضوح وقد تنبه لهذه الحقيقة الفيلسوف الفرنسى باسكال منذ ثلاثة قرون مضت حينما اعتنر لصديق له بسبب خطاب طويل كان قد كتبه اليه فاوضح انه لم يكن لديه وقت كاف ليكتب خطابا قصيرا موجزا (١٦) .

ولكن يوجز المحرر فلا بد له من ان ينسق الخبر فى ذهنه قبل ان يضعه على الورق : وعادة ما يدور الخبر حول محور أساسى واحد مهما تكن تفصيلاته معقدة ولا يمكن كتابة الخبر أو المادة المذاعة بايجاز الا اذا كان المحرر قادرا على ادراك هذا المحور الأساسى بشكل واضح . وعندئذ يستطيع ان يصنف التفصيلات ذات الصلة الوثيقة بالموضوعات ويرتبها فى أفضل نظام يصور هذه النقطة الأساسية يطرح جانبا التفصيلات التى ليست لها علاقة بالموضوع هذا ما يجب على محور الاخبار فى أية وسيلة اتصال ان يفعله . أما فيما يتعلق بالخبر التلفازى فهناك قيود الوقت التى تستلزم ان يكون الايجاز عنصرا اكثر أهمية مما هو عليه فى وسائل الاتصال الأخرى .

والفضل كتابه غالبا ما تكون نتيجة لاعادة الكتابة حيث نكتشف امكان تحسين بنيان الخبر أو المادة المذاعة فالمراجعة تجعل الخبر اقصر وتكشفه بشكل يبرز معناه بوضوح وجلاء .

(١٦)

Maury Green : Television News, Anatomy and Process (1969)

ثانيا : تجنب العشو اللفظى وهى سمة مرتبطة بما تقدم لان العشو اللفظى من عناصر التشويش فى استقبال الرسالة الاذاعية او التلفازية فالمحرر الذى يعمل فى الصحف المدرك للقيود الدرامية لوسيلة الاتصال التى يعمل بها يلجأ الى نثر بعيد عن الزخرفة والمحسنات معنوية او لفظية فالصورة فى التلفاز مثلا تمثل شهادة صادقة للحقيقة من خلال تقرير مرئى ينادى عن الوصف العاطفى .

فالتحرير الجيد يجب ان يعتمد على البساطة ويعطى الاعتبار الملائم للصورة فى التلفاز خصوصا من خلال تحقيق الوضوح والايجاز والدقة .

ولذلك يجدر الابتعاد عن الجميل الاعتراضية وكذلك الاعراض فى استخدام اسماء الموصول التى قد تعود على الفاعل وقد تعود على المفعول لان سوء استخدامها يؤدى الى تعويق فى استقبال الرسالة المسموعة او المرئية ويحسن تكرار اسم اشخص المعنى كما يجب تجنب استخدام كلمتين متشابهتين فى النطق ومختلفتين فى المعنى فى جملة واحدة لتلا يساء سمعها بينما التبديل فيها يضمن الوضوح .

ثالثا : سمة الدلالة ذلك ان ادراك العلاقات الدلالية للالفاظ يساعد المحرر على جعل معنى خبره او مادته المذاعة واضحا وترتبط هذه السمة ارتباطا وثيقا بسمة الايجاز والتنظيم وبدون تفهم العلاقات الدلالية للالفاظ فان الاحداث تصبح غير ذات معنى فى حين ان المستمع او المشاهد يبحثان عن هذا المعنى .

ولما كان العالم يزداد مع الزمن تقيدا والمنازعات التشابكة تزداد خطورة فان معنى الاحداث يصبح اكثر اهمية مما كان عليه فى اى وقت مضى والمستمع او المشاهد يدرك كلاهما ذلك بالفريضة ان لم يكن بالوعى . ذلك ان العالم الذى يعيش فيه هو ذاته الذى تحقق به المخاطرة (١٧) .

وعلى ذلك فان المحرر الذى يعد المادة المذاعة او المشاهدة ينبغي ان يتمتع برؤيا خاصة فى الدلالات والمفاهيم المتعلقة بكافة الشئون الانسانية .

رابعا : سمة اليناس عن طريق استعمال العبارات الواضحة الالفاظ المألوفة للمستمعين او المشاهدين وتجنب الالفاظ المبهمة او الغامضة ذلك ان

لغة الاذاعة والتلفاز لغة منطوقة وليست لغة أدبية وأفضل المحررين هم فقط أولئك الذين يستطيعون أن يكتبوا بنفس الأسلوب الذي يتحدثون به فأسلوب المتحدث هو الذي يحقق الألفة والائناس في اللغة المذاعة .

خامسا : استخدام المجاز في بعض الأحيان بحيث لا يكون مبهما أو غامضا وأن يكون الهدف منه مزيدا من الوضوح وتعمام المعنى .

وإذا كانت لغة الصحافة لا تفضل بالمجاز على الإطلاق فإن التلفاز يقتضى في لغته جملة لامعة مضيئة تخفف من الملل المحتوم الذي تحتوى غالبية الاخبار الهامة (١٨) .

سادسا : سمة التطابق بين الكلمات والصورة في التلفاز لان المشاهد « يميل الى تصديق الصورة مما يثق في الكلمة » (١٩) .

ويلاحظ الصحفي البريطاني هنرى قيولى ذلك عندما يقول (٢٠) ان معظم التقادير التلفازية تكتفى فقط بوصف الصورة وبهذا فهي لا تقوم بالكثير من المصادقة عليها . ولكن الهدف من وراء الكلمات في اخبار التلفاز لابد وأن يكون تحويل الانتباه عن الصورة والقول : ان القصة لم تكن كذلك فقط فهذا لم يكن مجملها كلها .

ويؤكد فيرلى أن اخبار التلفاز تقفز من حادث الى حادث وبدلا من عالمنا الحقيقى المتميز بالرقابة المألوفة فهي تعطى البديل في صورة عالم غير حقيقى يروج بالحركة ، ويتخيل في هذه الأيام تقريبا أن تعتبر أية مشكلة أو حدث الا بمثابة أزمة ونتيجة لرؤية الاشياء من خلال هذا المنظار فان المشكلات والاحداث تصبح ازومات في الواقع (٢١) .

ومن ذلك يبين أن تحرير المادة التلفازية ينبغى أن يضح معنى الحدث في الاعتبار وان ينقل هذا المعنى باكبر قدر من الوضوح وعندما تشددة الصورة فلا بد من استخدام التطابق بين الصورة والالفاظ .

---

Ibid	(١٨)
I bid	(١٩)
I kid	(٢٠)
Failie, H : Can you Believe your Eyes (1967)	(٢١)



سابعاً : ان التكرار سمات اللغة الاعلامية وهو مع الزم الخصائص  
فى لغة الاذاعة ذلك انه ليس فى وسع المستمع أن يعود الى مراجعة الكلام  
كما يستطيع ذلك فى الجريدة كما أن للتكرار فائدة لغوية فى تعميم المفردات  
وتثبيتها فى اذهان المستمعين .

على انه فى لغة الاذاعة المرئية والمسموعة يجدر الابتعاد عن الصيغ  
المستهلكة للعناوين والتي تنجم عن قيود المساحة فى اعمدة الصحف وهى  
القيود التى تنتفى فى الاذاعة والتلفاز .

ثامناً : ان التحرير للاذاعة والتلفاز يقتضى فهم الخصائص الصوتية  
للغة ولمفرداتها بحيث يماون المقدم على الهواء ، على تحقيق الوضوح  
والايناس فى ارسالة وفى هذا الخصوص فان لغة المادة الاذاعية المرئية  
مستمدة الى حد كبير من المادة الاذاعية المسموعة وبالرغم من ان الأساليب  
تختلف فى الخدمات التحريرية المختلفة الا ان الخصائص الصوتية للغة  
أمر مشترك بالنسبة لها جميعاً .

فالمادة يجب أن تحرر بوضوح مشكولة الالفاظ الغريبة مصححة بعدد  
الكتابة مع وضع علامات الترقيم بين اجزاء الكلام المكتوب لتمييز بعضه من  
بعض أو لتوزيع الصوت عند قراءته وكذلك تجنب كتابة الاسماء والالفاظ  
الاجنبية بالحروف اللاتنية حتى يسهل نطقها نطقاً صحيحاً ويفضل أن  
يوضع تحتها خط حتى تسترعى انتباه المذيع الى وجود هذه الكلمة الاجنبية  
فياخذ عدته للتغلب على ما سوف يوجهه من صعوبة .

ويستحسن عدم الالتجاء الى اختصار الاسماء أو العبارات فى حروف  
للدلالة عليها فى النسخة المعدة من النشرة ليقرأها المذيع - كان تكتب  
« ج م ع » للدلالة على جمهورية مصر العربية وبخاصة ان هذه  
الاختصارات مازالت غريبة على اللغة العربية وغير معروفة للكثيرين .

كما ينبغى فى التحرير الاذاعى أن يكتب الهجاء الصحيح والهجاء  
المنطوق ليستفيد بهما المذيع وسيما فى المصطلحات العلمية غير الشائعة  
ويكتب الهجاء المنطوق مع التأكد على المقاطع كذلك بين قوسين لتمييزها عن  
بقية النص .

تاسعاً : عند استعمال الارقام فى لغة الاذاعة يجدر ان تحول الى  
ارقام كاملة حيثما امكن كالاستعاضة عن رقم ١٨٢٥ بيضة مثلاً برقم  
١٠٠٠ الخ ..

توضح بالحروف وأن الأرقام الأصلية تستخدم للأعداد الأكبر .

ومع ذلك فإن الأعداد الكبيرة جدا تكتب بالكلمات والأرقام معا فمشر  
الاف تكتب ( ١٠ الاف ) والـ ٥١٤٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيها تصبح « ٥١٤ مليون  
جنيه » .

ويلجأ الى ذلك في اللغة المذاعة لتجنب تشتت ذهن المستمع أو المشاهد  
خلال نطق الأرقام الكبيرة .

عاشرا : يستحسن استخدام صيغة الفعل المضارع في لغة الاذاعة  
المسموعة والمرئية . كما يفضل الفعل المبني للمعلوم ، على استعمال الفعل  
المبني للمجهول الا عند الضرورة القصوى عندما يستخدم المذيع بعض  
الالفاظ التي اشتهرت بالبناء للمجهول كلفظ ( عني بأمره ) .

هادى عشر : اللغة التقريرية هي اللغة الاعلامية لتحقيق مطلب  
الوضوح الاعلامى ويعنى ذلك في اللغة المذاعة ان الافكار تحظى بتأثير عند  
نقلها صوتيا باستخدام اللغة التقريرية الاكثر مباشرة وذلك ينبغى الابتعاد  
عن الشرط غير السليم والاطناب واستخدام صيغة المجهول والابتعاد كذلك  
عن صيغ الفعل المعقدة حيث يمكن استخدام صيغ الفعل البسيط والابتعاد  
عن الجمل المطولة الثقيلة والنثر المنمق الحافل بالمحسنات البيانية وافتقاد  
الدقة عند استعمال الكلمات والتأكيد الذى ليس فى محلة .

وعلى ذلك فإن أسلوب التحرير الاذاعى ( مسموعا ) ( ومرئيا ) يعتمد  
على استخدام اللغة بطريقة فعالة عن طريق البناء الفنى للشكالى والفنون  
الاذاعية والتلفازية المختلفة .

ثانى عشر : والى جانب ما تقدم فإن لغة الاذاعة المرئية والمسموعة  
هي فرع من فروع اللغة الاعلامية وفيها ما فى اللغة الاعلامية من خصائص  
تقوم على التبسيط والتمنجة والتكرار وما يمكن ان نسميه باللغة المشتركة .

ولا شك أن هذه اللغة الاعلامية فى الصحافة والاذاعة والتلفاز التى  
تتوسل بجميع وسائل التعبير قادرة على الخروج من الحدود الادارية للاقاليم  
العربية والان تتقارب اللهجات التى يتوزعها لسان قومى وتتقارب فى الوقت

نفسه لهجات اللغة الاعلامية وليس من المستبعد ان تنجح لغة الاعلام فى العربية الفصحى المشتركة محل اللهجات السائدة .

ان الصراع بين الفصحى والعامية قد تحسمة - على صعيد الاذاعة - لغة الاتصال بال جماهير التى تخاطب المتعلم والامى معا وتقى باحتياجات التطور والمعاصرة بحيث تصبح القضية هى نجاح الاتصال بال جماهير .

وفى الواقع ان قضية الفصحى والعامية تجسد اكثر من غيرها قومية الثقافة ومحليتها وان السير نحو الفصحى هو سير نحو قومية الثقافة ووحدتها على حين ان السير نحو العامية هو التقيض المصادى للوحدة القومية .

ونصدر فى ذلك حقيقة تاريخية هى ان وحدة اللغة بفضل القرآن الكريم كانت الحافطة للوجود العربى والشخصية القومية .

وقد جاء فى البرامج التى وافق عليها المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى دورته الاولى ( ١٩٧٠ ) ان تقوم المنظمة بعقد مؤتمر سنوى عن دور احدى الوسائل الاتصال الجماهيرى واثرها فى الثقافة العربية . وقرر المؤتمر العام فى دورته الثانية ( ديسمبر/كانون ) الاول ١٩٧١ اختيار موضوع ( التلفزيون واثاره الاجتماعية والثقافية والاخلاقية فى الوطن العربى ) ليكون موضوع اول حلقة فى هذه البرامج تعقد خلال عام ١٩٧٢ .

ولا شك ان الاذاعة المرئية ( التلفزيون ) المسموعة ( الراديو ) بما لهما من خصائص وامكانيات من اهم وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الحاضر واكثرها نفاذا الى البنية . الاجتماعية والثقافية والاخلاقية للمجتمع وان انتشار الاذاعة فى الوطن العربى يجعل من الضرورى دراسة اثارها فى الجوانب المختلفة للحياة العربية .

والاذاعة بهذه الصفات - تقوم بتزويد الجماهير وبزاد ثقافى وفنى واجتماعى وتشترك بصورة واضحة فى تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفى تغيير العادات السلوكية وتعديل القيم الاخلاقية من خلال تقديم القدرة والانماط الانسانية وفى تكوين الذوق الفنى والحضارى من خلال الاختيار والمفاضلة .

وهكذا تصبح الاذاعة - فى البلاد التى تستخدمها - من اكثر ادوات الثقيف الاجتماعى فعالية وابعدها اثرا وان البلاد العربية - وهى تمر الآن

بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغير الاجتماعي المصاحب للتطور الاقتصادي والسياسي والحضاري - تحتاج الى دراسات متعددة حول هذه الاداة التثقيفية المهمة في المجال الاجتماعي حتى يمكن لها الاستفادة بطاقاتها التأثيرية المتزايدة مع انتشارها السريع في عمليات التنمية الشاملة للمجتمعات العربية هذه التنمية التي تشمل جوانب الحياة الاقتصادية والتربوية والروحية للأفراد والأسرة والمجتمع خاصة وأن غالبية الاذاعات المرئية في الوطن العربي تشرف عليها الدولة مما يتيح فرصة التخطيط المتكامل .

وخلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة تمت على المستويين الدولي والعربي مجموعة من الاجتماعات للبحث في طبيعة وسائل الاتصال الجماهيري واثارها ومن بينها الاذاعة المرئية ( التلفزيون ) ولكن هذه الاجتماعات أما انها كانت شاملة تبحث الاطار العام للاذاعة المرئية وأما انها تناولت تأثيرها ودورها في التعليم والتنمية الريفية والتثقيف العمالي ومحو الامية وغير ذلك . ولكن هذه الدراسات والاجتماعات لم تسلط الضوء بالقدر الكافي على اثار الاذاعة المرئية في المجال الثقافي والاخلاقي الذي يعتبر من أخطر مجالات التأثير في الحياة الانسانية .

كما ان الاذاعة المسموعة المرئية قد ادخلت تعديلات جوهرية على طريقة تلقى الاعمال الفنية الثقافية الأخرى من خلالها مثل : المسرح والموسيقى والسينما والفناء والفنون التشكيلية وهكذا ادخلت تعديلا أساسيا على التذوق الجمالي والفني في حياة الانسان المعاصر .

بل تعدت ذلك الى استحداث انواع وأشكال فنية لها صفات خاصة من حيث استخدام اللغة والبناء التشكيلي الدرامي ... الى آخر ذلك من العناصر الفنية .





انخاتمة

الاعلام ومستقبل الفصحى



الآن وقد بلغنا نهاية الطريق الطويل الذى سرنا فيه فى هذا البحث من محاولة ايجاد منهج للبحث الاعلامى فى اللغة ، الى دور الوسائل الاعلامية فى تنمية اللغة العربية وتعميمها ، نضع توصيات عما يمكن ان تفعله البلدان العربية بشأن أجهزة الاعلام :

١ - من واجب الدول العربية ان تفحص القيود المادية والقيود الادارية الموضوعية على تداول الاعلام العربى ، بغية التعاون على حلها ومنع استغلالها ، ذلك ان تعميم اللغة المشتركة والتقريب بين اللهجات لن يتم ما لم يتدفق الاعلام من أسفل الى أعلى ومن أعلى الى أسفل فى القناة بين القادة الوطنيين والشعوب العربية

ولذلك فان إتاحة أفضل الفرص وأوسعها أمام تداول الاعلام .  
والصحف بوجه أخص - فى جميع أقطار الوطن العربى مشرقه ومغربه أمر أساسى فى عمليات التنمية اللغوية .

٢ - تقديرا لدور الاذاعة والتلفزيون فى التأثير اللغوى وتكوين الرأى العام العربى عن طريق ما يقدم من خلالهما من مواد سواء كانت اعلامية أو ثقافية أو فنية ، نظرا لضيق مجال انتشار الكتاب والصحيفة وتفشى الأمية وقلة الفرص المتاحة للتأثر بوسائل الثقيف الأخرى كالسرح والسينما ينبغى أن تعنى الدول العربية بالاذاعة والتلفاز باعتبارهما جزءا لا ينفصل عن السياسة الاعلامية فى كل قطر عربى بتدعيم القيم العربية القومية وتعميم العربية الفصحى لغة للتعبير من خلال الوسائل الفنية التى تجعل من اللغة أداة ملائمة للعرض الاذاعى .

٣ - من واجب الدول العربية أن تحاول إقامة علاقة تعاون بين إدارات الحكومة المسئولة عن تنمية أجهزتها الاعلامية وتلك المسئولة عن التعليم وغيره من التنميات المتصلة ، ولسنا فى حاجة الى القول بأن تنمية التعليم والقدرة على القراءة والكتابة فى بلد من البلدان مرتبطة ارتباطا وثيقا بتنمية

وسائل الاتصال بحيث يكاد يكون من المستحيل الفصل بين الاثنين . والسبب في ذلك ليس راجعا الى أن أحدهما يساعد الآخر فحسب ، بل أيضا لتأثير التعليم على انماط الناس من حيث ملمسهم الاعلامي أو اذاعتهم له ، . الاستثمار في التعليم يساهم أكثر من تلمس الاعلام والبحث عنه ، في الكتب والمجلات والصحف .

وهكذا يكون التعليم منشطا هائلا لتدفق الاعلام المفيد من وإلى الفرد .

ولذلك فإن الخدمات الاعلامية العربية مطالبة بتجديد الكفاءات في وسائلها المختلفة لخدمة مناهج التعليم المدرسي وتعليم الكبار في الاقطار العربية المختلفة وبخاصة فيما يتعلق بمحو الأمية .

فالتعليم من أنجح الطرق لتجاوز العامية ، ولذلك يجب أن يلتزم التعليم بالفصحى في كل مراحل التعليم العام ، وإلى اتخاذ الوسائل كافة لتعميم التعليم بالعربية في الجامعات والمعاهد العليا .

٤ - أن اللهجات العامية تعرقل شيوع الارسال الاعلامي في اقطار الوطن العربي وتحد من تأثيره المرجو ، وتبديد الجهد المبذول فيه فلا ينتفع به في نطاق واسع ، ولذلك فإن مجابهة هذه اللهجات في وسائل الاعلام بعامة كسب كبير للاعلام العربي بقدر ما هو كسب للغة القومية ووحدة الفكر العربي .

• وان صراع الفصحى والعامية قد تحسمه - على صعيد الاذاعة - لغة الاتصال بال جماهير التي تخاطب المتعلم والأمرها ، وتفي باحتياجات التطور والمعاصرة ، بحيث تصبح القضية هي نجاح الاتصال بال جماهير .

٥ - ان أقسام الصحافة ومعاهد الاعلام بالجامعات العربية ، مطالبة بتحقيق هذا المنهج في اللغة الاعلامية لتعميم الفصحى ودراسة العربية في ضوء المنهج الاعلامي دراسة تنطلق من محاولة التصور التي اثبتناها فيما سبق ، نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية العربية ، وقيامها بوظيفتها ، يرتكز على ثمار علوم اللغة وما توصلت اليه من نتائج تفيد في دراسة تأثير اللغة على الجماهير .

## كتب اخرى للمؤلف

---

- ١ - المقاومة في الادب الجزائري المعاصر ١٩٧١
- ٢ - طه حسين وزوال المجتمع التقليدي ١٩٧٧
- ٣ - الرؤية الابداعية في ادب يوسف السباعي ١٩٧٧
- ٤ - محمد حسين هيكل في نكراه ١٩٧٨
- ٥ - الاعلام ولغة الحضارة ١٩٧٨
- ٦ - المدخل الى وسائل الاعلام ١٩٨٠
- ٧ - فن التحرير الاعلامي ١٩٨٠
- ٨ - نحو بلاغة جديدة بالاشتراك مع  
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ( ١٩٨٠
- ٩ - كيف تكتب بحثا جامعا ( بالاشتراك مع  
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ) ١٩٨٠

## تحت الطبع :

- ١ - الرؤية الابداعية في شعر الهمشري .
- ٢ - فن المقال الصحفي .
- ٣ - التفسير الاعلامي للادب .
- ٤ - نظرية الاعلام في النقد الادبي .



## الفهرس

---

### صفحة

٣	- المقدمة
٧	- الفصل الأول : اللغة والرأى العام
٣٥	- الفصل الثانى : اللغة والاتصال بالجماعير
٥٥	- الفصل الثالث : اللغة وعلم الإعلام اللغوى
١١٥	- الفصل الرابع : اللغة الإعلامية
١٤١	- الفصل الخامس : لغة التعبير الإعلامى
١٦١	- الفصل السادس : الإعلام فى التنمية اللغوية
١٨٥	- الفصل السابع : لغة الصحافة
٢٠٥	- الفصل الثامن : لغة الاذاعة ( المسموعة والمرئية )
٢٣٣	- الخاتمة : الإعلام ومستقبل الفصحى





surpasses the difficult equation between tradition and modernism, and tries to make the levels of the linguistic expression approximate so that it may not be separated from the traditional language and the language of civilization.

of religion, language, culture and civilization we are of the opinion that the characteristics of the Arabic language made it the most circulated language in the world. Modern linguistics consider it to be the third language in modern world, with regards to its circulation and extension.

Therefore the Arabic language of mass communication is the lingua franca. Our language is one of the richest languages in tradition. It is also one of the oldest languages which survived till the present time. It included the knowledge of the ancient peoples. Now it has been proved that it can include the fruits of the modern human thinking. It takes even part in the development of the literary and intellectual riches of the modern world.

In the language of mass communication the classical language realizes this approximation between the three levels of the language, i.e. the scientific, literary and practical levels. The classical Arabic language, beyond any doubt, made use of the Arabic development as well as that of mass communication, and gained more influence in mass communication on the local and universal grounds. It is used in international organizations as an official language. This necessitates that the lingua franca in mass communication



In describing the lingua franca we say : First it is subdued to certain rules, which very slowly make it far from development in a long time. For this reason it is superior to the dialects used in daily talks, circulated in homes, streets and markets.

Therefore it is used by those who like to improve their speech and expression, as well as the men engaged in mass communication on a large scale.

Second, it is, as says Henry Sweet, the language which the listener cannot discern to which locality belongs the speaker.

The Arabic lingua franca is renowned first many communicative characteristics, among which is the fact that it is a language comprehended by the common people. The people's dialects did not prevent them from understanding the simplified texts of the classical language. It is also a democratic language which addresses the old and the young in the same tone and does not confuse the singular pronoun with the plural one. It is a universal language, used by numerous people, since establishment of the Arab State in the later years of the second Hegira Century and the first years of the third Hegira Century, which had the Arabic Character in the fields

difficult language which can only be spoken by few people. Every classical language is not always difficult and every colloquial language is not easy to be understood by the listeners, as says Al Akkad.

Mass communication and the Arabic lingua franca :

Using the classical Arabic language in mass communication is not very difficult. The language of mass communication is that easy simplified language. The mass media are characterized by showing the essentials of the Arabic language, like elasticity and depths, which made it pulsating with life and the true translation of meanings and thoughts as well as the wide scope of the words and expressions, which the practice, taste and circulation judge whether they are good or not.

Generalizing the classical Arabic language necessitates, in the contemporary stage of mass communication, a constant effort to generalize this classical language and make use of its genuine characteristics. The mass media form the standard of people's activities and their relations. If their content conceals their nature, the "mass medium" itself reacts with the cultural model, within the frame of which it works.

The stage of broadcasting - particularly on the Arabic ground - is connected with the Arabic lingua franca. The nature of modern mass communication supports, to a great extent, this assumption of the proceeding of the Arabic language. People, in the age of radio and television are content only with positively taking part in mass communication. This social requirement imposes upon the mass media, which is a characteristic of our contemporary civilization to have the Arabic classical language as a lingua franca, which expresses this effective role, particularly after using the Arabic artificial satellite.

Mass media address the masses since the beginning. The best linguistic levels for them are those which belong to the comprehensive perceptions and artistic impressions. The classical Arabic language is the means to achieve this, because it is the language of civilization. It is also in our countries because it is based on the restitution of the general Arabic and Islamic characteristics. The lingua franca is the language which goes beyond the borders of the Arab country to all those who speak Arabic.

In the language of mass communication it is necessary to differentiate between the classical language and the

If the printing led to explosions in the society and became individual and divided, and if these explosions were connected with the flourishing of the colloquial languages and the calls for using them, the period of electricity was not a factor of exploding and parting. Therefore we find that radio and television led to reunion. We live in a world which is more approximate to agglomeration and integration, like the electric circuit. The community feeling and the universal feeling flourished in this stage of broadcasting.

For this reason, we see that the calls for using the colloquial language in Egypt and the other Arab countries, when they reached the apex in the later stages of printing - if this arbitrary decisive differentiation between the stages can be done - the stage of broadcasting was striking the doors of the world. This meant on the Arabic ground announcing the birth of an "Arabic Village" from the Atlantic Ocean to the Arabian Gulf, if this expression is right. Using the artificial satellites in mass communication, will lead to the revival of the Arabic community feeling, and resistance of the regionalism and the calls for using colloquial language closely connected with it.

as it was the case of the Latin language in Europe. The printing prepared a suitable climate for this call. Therefore we cannot differentiate between the call for using colloquial language and the call for writing the Arabic language with Latin letters when we assume the effect of printing on the general social entity.

The later years of the last century and the first years of the present century witnessed a rise in printing and press in the Arab Countries. This is the stage which witnessed the call of "Spetia" (1980) and Wilcox (1893) in the Review of "Al Azhar" and the Egyptian writers who followed them like Salama Mousa. They predicted that the Arabic language would come to an end as did the Latin language.

Those orientalist, and those who followed them among the Arabs, did not realize that the linguistic development in the Arab Homeland differs from the Latin language in the days of the nationalities in Europe. But those who call for this were confused because the Arabs have to pass by a new stage of the human communicative development, i.e. the stage of "broadcasting" which enabled the man to make the limited moment a universal instant.



We find first that the printing stage culminated in the decomposition of the Islamic World and dividing it into parts. When the Islamic and Arabic Orient knew the printing, press flourished. Nevertheless the regional calls appeared in the later years of the last century and the first years of this century. We are of the opinion that the callings for using the colloquial language are not only connected with regionalism, but also with this printing stage.

Printing, as says Marshal McLohan created the individualism and nationalism in the 16<sup>th</sup> Century in Europe. The Gutenberg's invention of the movable type had great effect. Civilization derives its character from the mass medium. The European nationalities, in the stage of printing, were connected with putting an end to the latin language. The colloquial language flourished and turned into independent languages in Europe.

Those who were affected with this vision call for regionalism as those who call for regionalism for political purposes. Those who call for colloquial languages were naturally affected with printing too. They called for using numerous dialects and employing them as official languages in the Arab Countries to put an end to the Arabic language as

### Mass Communication and Lingua Franca

The Arabic language like any human language passed by the stages of the human development as H.G. Wells says that language is the main pivot of the whole human history movement. He divided this history into : first the period of speech, second the period of writing, third the period of printing and fourth the period of broadcasting. He took into consideration the assisting factors of this main Pivot, like the invention of steam and electricity, as well as the close relation between printing and mass production. Wells beyond any doubt, was one of the precursors of a new eloquence and art. He realized that human progress goes on with astonishing paces, especially in the field of controlling the immense energy. He expressed the need of the people to a new language for mass communication, which does not represent resurrection of old theories, or display the consequences of natural sciences in the human field, but they are a conditional response of what the language has gained of new energies.

On the basis of this conception we try to know the effect of mass communication on the Arab Homeland, on the one hand, and on the Arabic classical language , on the other.

We are of opinion that this is right when we say that our Arabic language is in need of intellectual and cultural affluence and approximation of intellectual levels. This necessitates employing the Arabic language in the fields of modern civilizations, including different sciences. The mass media are, in the first place, responsible for this because the language which they use with its social practical level is the language of civilization.

ication we will find that it goes deeply into body of civilization. The process of communication is achieved on different levels of language and symbols. Communication is achieved on three levels of linguistic expression :

First : The aesthetic level used in literature.

Second: The theoretic scientific level used in science.

Third : The social functional objective level used by different kinds of mass communication.

These three level exist in every human society. The difference between the sound integrated society and that decomposed ill community is that the linguistic levels are approximately equal in the first while they are remote from each other in the second. The approximation of the linguistic expressions proves the homogeneity of the community, the equilibrium of its various classes, and the vitality of its culture, and consequently leads to its integration and soundness of mind. It is an established fact that the periods during which prevails a kind of harmony among the three levels are mainly the most flourished periods. If the linguistic level differs greatly from the other linguistic level there is mental severance in the community, which leads to disorder, weakness, senility and decomposition.

centuries, between the primitive culture and the contemporary civilization. But new forms and skeletons, emerged to enlarge these functions and extended them. The "writing" developed to let the community keep its stock of knowledge so that it may not be lost by depending on personal communications or the memories of old folk. The "printing" developed to so that the machine may multiply what is written to man, more cheaply and rapidly than man himself can do.

It is impossible, to imagine a civilized community. It is impossible too to imagine a primitive tribe employing what a modern community employs. Every social stage has a suitable mass medium. Here we perceive the close relationship between mass communication and the language of civilization through investigating the human history. Mass communication is necessarily an art of civilization. It solves the problem of formulating knowledge in an actual practical way. "Walter Lippman" the American political commentator says that "The modern community does not lie in the scope of direct vision of any one. It is not always comprehended and if a group of people comprehended it another group will not comprehend it". Thus the language of mass communication becomes a language of civilization, endeavouring to explain and integrate. If we throw a comprehensive look at mass commun-



of Information , and says : "Information is the objective change of the thinking of masses, their behaviour, their trends and their inclinations at the same time". Mass communication is an objective expression of the contributor, whether he is a journalist, announcer, or engaged in cinema and television.

Mass communication and the language of civilization :

Mass communication does mean communicating with all the people but according to Reevers and his two colleagues, it includes selection of categories - groups or special masses who can be of great numbers - within the masses. The mass media meet with masses through a process of mutual selection. The mass media tend to select their masses basically through the content. The masses also tend to select the mass media through the content. The masses attracted by a certain mass medium may differ throughly from those attracted by another kind of mass media. Nevertheless it is obvious that they are interlaced, to a great extent.

If the function creates the organ, the functions of mass communication created what we call "genres of the mass media ". These functions have not changed, since

to it. Thus the communication circulates and forms the most important characteristics of the reactive society.

Thus the role of the language in the process of mass communication and in editing the message, in particular is clearly shown. This linguistic message is transmitted through mass media to propagate rapidly. This depends naturally on the harmony between the sender and the receiver. If we realize the close relation of mass communication with life we find that the emphasis of mass communication is parallel to the relationship of communications dexterities with life. The recent studies proved that it is possible to help the writer of any mass media to emphasize the most necessary aspects of communication. The efficient writer does not disregard the role played by the language in the process of mass communication and does not neglect exciting the interest of others. Mass communication idiomatically - means providing people with the right news, sound data and established facts, which help them to form a pertinent opinion about a certain fact or a certain problem, in such a way that this opinion expresses what the masses think as well as their trends and inclinations. This means that the only end of mass communication is convincing the others through information, facts, figures, statistics and so on Ottogroth<sup>1</sup> gives a definition

theory to great fields of science.

Words in mass media have two forms of existence :

Compulsory existence and actual existence. Every word, heard or uttered leaves a group of impressions in the mind of both the speaker and listener. The first plays a positive part, particularly in mass media as he begins communication and the second plays a negative part as he receives the message. Schramm says that when we communicate with others we try to have something in common with whom we communicate. In other words we have both a sender and a receiver of a certain message. The sender tries to communicate his information or endeavours to express his feelings, which he transforms into words, heard or written. After sending the message, the sender expects that the receiver has in his mind, the similar image which he -the sender- has in his own mind.

If we analyze the process of mass communication we find that it includes five main elements : The sender who formulates his idea in certain symbols, and sends them to the receiver who deciphers these symbols and explains their meanings. He then responds to them, expressing his impression by sending a new message formulated in symbols, to the first sender, who in turn receives, deciphers and responds

Language in the Process of mass Communication :

If the special meaning prevails over the general meaning of the language, the "informative" expression which is more restricted than the language, requires comprehending the relationship between the language and the mass media. Language is a series of gestures which exist in every community for the sake of this community and thus it is the most important means of mass communication. Therefore we have to know how to deal with and employ it in mass communication, through our understanding of its complex construction. Words, which are the smallest units of language are not mysterious things or riddles but they are incidents in time and space. They have material dimension and symbolizes meanings.

If the conception of mass communication remained unlimited for a long time, a new theory came into being in the last few years. This theory helps us to evaluate objectively the data, included in any message, whether it is a report about a matter, a poem by Al Akkad, a telephone call, a piece of music, weather forecast or a scientific discovery. This theory is called the information theory, which emanated from mere practical problems. Claude shanon, the American Scientist laid the foundation of the theory of probabilities in information. Many Scholars began later to apply this



the spoken word and then the written word, and later on the stage of printing until it witnesses now the stage of broadcasting and the rise of mass media.

On the basis of this conception we put on these pages a questions about the effect of this communicative stage on the Arab Home and on the one hand, and on the classical Arabic language as the channel of the creative writings, on the other.

First, the subject of the relationship between the language and the communicative expression requires a kind of agreement of the basic idioms, among which we first cite the "language", which is considered the most important means of the mass media. It is the "tongue" nevertheless it was considered by ancient peoples as identical to "dialect". The Arab tongue, is the Arabic language in a wider sense. This language was confounded and included different dialects, each of which was known as a certain language, such as the "Modar language" and the "Tameem language. Now we say the English language or the Arabic language. This means the linguistic entity of a certain nation, although the dialects differ in pronunciation and meaning of words.





## **Mass Communication and the Mother Tongue**


The world witnesses today an increasing interest in mass communication and mass media, and a true belief in its mission and objectives. Mass communication in modern world develops in an astonishing manner, as result of the technological progress in the mass media, electronics and printing. The Arab States, at present times, adapt themselves to keep pace with this progress in mass communication by sending forth an Arabic space-communication satellite for broadcasting radio and television programs dealing with cultural and informative subjects.

This astonishing development in mass communication is only an extension to the triumphs achieved by the language to realize mass communication on a large scale. The language became predominant due to its great influence on the thinking of individuals and communities. Therefore we consider that the victory of mass communication over the limitations on broadcasting, imposes upon the mass media in the first place a promotion of the standard of Arabic language, which witnessed as any other language the different stages of the human evolution since the dawn of the human life, as it employed






---





# MASS COMMUNICATION & MOTHER TONGUE BY

Dr. Abdul Aziz Sharaf  
prof. (Mass Comm.) Cairo Univ.  
Literary Editor, Al Ahrani Daily,  
Cairo - Egypt.



---







Dr. Abdul Aziz Sbaraf

Prof. ( Mass Comm. ) Arab Univ.  
Literary Editor, Al Ahram Daily  
Cairo — Egypt.

MASS

COMMUNICATION

&

MOTHER

TONGUE

عام ١٩٤٥ أعلن الدكتور  
ناجي وكيل جماعة أبولو  
بعد هجرة أبي شادي إلى  
إعادة صياغة أبولو ورابطة  
جديد في جمعية أدبية جديدة  
جمعية الأدباء ، وظلت الجمعية  
سالة الأدب والشعر في مصر  
جماعة أبولو ولرابطة الأدب  
تقى توفى الشاعر إبراهيم ناجي  
مارس ١٩٥٣ ، فاجتمع أعضاء  
لأدباء ومن بينهم الدكتور محمد  
نعم خفاجي ، مصطفى عبد  
السحرتي ، وديع فلسطين  
عبد العزيز شرفا ، محمد ناجي  
، وأعلنوا إعادة تكوين الجمعية  
في باسم رابطة الأدب الحديث

ما قدمته الرابطة من مهرجانات  
في مهرجانات الكبير بمناسبة  
ثلاثة وخمسين عاما على  
ومرور خمسين عاما على قيام  
ومرور تسعة أعوام على وفاة  
الأدب العربي د. طه حسين ،  
الربيع وثمانين عاما على ميلاد  
العربية الكبير توفيق الحكيم ،  
رحمته على وفاة شوقي  
( الشعراء ) وحافظ ( شاعر )

و أجل ذلك اجتمع حشد كبير في  
الصحفيين في مساء الثلاثاء ٢٦  
نوفمبر ١٩٨٢ بدعوة من رابطة  
الحديث بتقديم الأستاذ ثروت  
والأستاذ أنيس منصور ،  
نور سمير حسين ، والدكتور  
عبد المنعم خفاجي ، والدكتور  
يحيى صبري ، والدكتور أحمد هيكل  
نور كمال بشر ، والدكتور عصمت  
ماوي ، والدكتور محمد عويس  
، جريدة ، وجلاجلي العشري ،

فتفتح الحفل د. عبد العزيز شرف  
في العام للرابطة

واللغة العربية في طيات  
اللغوي . الذي يقيد من دراسة خصائصها . في الوظيفة الهادفة .  
والإشراق . والوضوح . لتفقيه الأسلوب الإعلامي في الوسائل المختلفة من  
الاستعمال التخديري للغة في الدعاية والسياسة . وذلك يقتضي دراسة مزاج  
الفن والتعبير في اللغة العربية وخواص القصص في المفردات والعبارة

Bibliotheca Alexandrina

0355488

جريدة يومية تصدر بمقتضى  
مجلس مجلس  
السعودية في إطار برنامج  
الكفاءات الإدارية  
الخاص لعام ١٤٠٣ هـ  
عن الإدارة العامة  
بمواقيد من ٨٠٠  
١١

للإدارة العامة والشؤون العامة

جريدة يومية تصدر